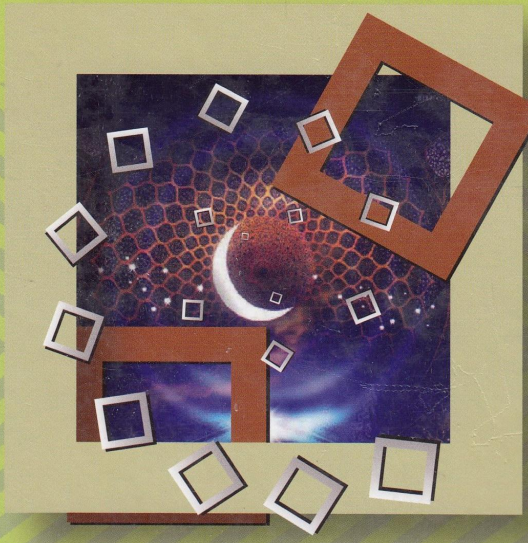
جامعية القرآن الكريم

بحث في الحدود الموضوعية للقرآن



مصطفى كريمي

جامعية
القرآن الكريم

بحث في الحدود الموضوعية للقرآن

جامعية القرآن الكريم

بحث في الحدود الموضوعية للقرآن

مصطفى كريمي

تعريب

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية

شبكة الفكر
alfeker.net



طبع في لبنان

جميع الحقوق
محفوظة ومسجلة
لمؤسسة العرفان
للثقافة الإسلامية

الطبعة ١٤٣٦هـ
الأولى ٢٠١٥م

جامعية القرآن الكريم

بحث في الحدود الموضوعية للقرآن

تأليف: مصطفى كريمي

تعريب: مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية
البريد الإلكتروني: al.orfan@yahoo.com
توزيع: مؤسسة المصباح الثقافية
عدد النسخ المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٢٤٧٣ لسنة ٢٠١٤

تنفيذ طباعي
دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - بيروت لبنان
dar.alkari2012@gmail.com

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية
E.mail: al.orfan@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

لم تُحسم بعد حدود النصّ القرآني، فقائل يرى أنَّ القرآن الكريم جامع لكل صغيرة وكبيرة في الحياة، فهو الموسوعة الكبرى، ويُستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام:٣٨)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، فيستدلون بالقرآن على إثبات موسوعيته لا بمعطياته!.

وقائل يقصر النصّ القرآني على جزئيّات يسيرة من العقيدة والشريعة والأخلاق، ويستدلّ لذلك بدور السُنّة في بيان تفاصيل العقيدة والشريعة والأخلاق، فينفون عنه ذلك من دون أن يتركوا حسم الأمر إلى البحث والتحقيق.

وفي خضم هذا التنافس الإثباتيّ ينبغي الاشتغال بالبحث والتحقيق لإثبات تلك الحدود، التي هي في اتساع مستمر، وبوصفه شاهدًا على ذلك أنَّ مُفسِّري القرآن قبل أكثر من قرن من الزمان لم يكونوا ملتفتين إلى الآيات الكونية الآفاقية ودقة التوصيفات القرآنيّة لها، وإن كانت مجملة، حتى جاء التفسير العلميّ التجريبي ليفتح أمامنا آفاقًا جديدة في الفهم والتطبيق.

من هنا حاول المؤلف الأُستاذ مصطفى كريمي في كتابه القيّم «جامعيّة القرآن الكريم... بحث في الحدود الموضوعيّة للقرآن»، أن يُوقفنا على مديات هذه الجامعيّة أو الشمولية للقرآن الكريم، فهو لم يكن بصدد إثبات أصل الجامعيّة بقدر ما كان مشتغلاً بحقيقة البحث، وهذا هو المهم في المسألة، فإنَّ إثبات الجامعيّة الإجمالية أمر يمكن إدّعاؤه وإثباته، ولكن المسألة أبعد من ذلك.

ومن دواعي سرورنا أن نختصّ بأوّل ترجمةٍ لهذا الكتاب ولا يفوتنا أنّ نثمن الجهد المبذول من قبل الاستاذ المترجم نبيل يعقوب الذي أنفق الكثير من وقته لإخراج هذا الكتاب بحلته العربية والّذي نتوقّع أن يكون له رواجٌ مهم في الوسطين العربيّ والإسلاميّ؛ إسهامًا منا في رفد الساحة العلميّة والمكتبة الفكريّة بما يُساعد على تطوّر الفكر الإسلاميّ والقرآني الأصيل.

جدير بالذكر أننا بذلنا جهدًا غير قليل في تنظيم مصادر الكتاب الواردة في الهوامش، حيث كان جزء كبير منها مبهماً لم تُحدَّد فيه هوية الكتاب نفسه، فاقتضى منا المراجعة والتحقيق وإثبات المصدر بهويته.

وأخيرًا نسأله ـ تعالى ـ التوفيق الدائم لخدمة القرآن وحملة القرآن وأهله، كما لا يفوتنا توجيه الدعوة الصادقة لأساتذتنا الأعزّاء من أصحاب الاختصاص

العالي في المجالات المعرفيّة الإسلاميّة عمومًا، وفي مجال الفكر الديني خصوصًا أن يرفدونا بنتاجهم القيّم؛ بغية العمل على طباعته ونشره، ومنه ـ تعالى ـ نستمدّ التوفيق.

مؤسّسة العرفان للثقافة الإسلاميّة

مقدمة

إنَّ رسالة كل نبيّ هي تسلّم الوحي التشريعيّ، وهذا الوحي يكون نصّ الرسالة وجوهرها، وأنَّ نزول أيِّ رسالة يكون بمقدار القابليّة الوجوديّة لمتلقيها، وما دام النبيّ الأكرم ﷺ كان أكمل الناس وأفضل الأنبياء عليهم السلام، وشريعته تمثل آخر مرحلة من مراحل البرنامج الإلهيّ للبشر؛ لذلك جاء القرآن الكريم يتمتع بجامعيّة في مقابل سائر الكتب السماويّة الأخرى، وأنَّ من جملة الخصائص التي ينسبها القرآن لنفسه، سِعَة نطاق الأمور المطروحة فيه، ومن جملة ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وفيما يتعلق بما أعطاه اللَّه تعالى لرسوله ﷺ ولم يعطه لغيره من الأنبياء عليهم السلام، قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»[2].

(١) النحل/ ٨٩.

(٢) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج١٦، ص٣١٣، ح١.

بناء على ذلك، ينبغي أن نتعرَّف مقدار سعة نطاق الأحكام والمعارف في القرآن الكريم؛ ولماذا يكون الانتفاع الكامل من هذا البرنامج الإلهيّ والوفاء به مرهونًا بالتسليم العلميّ والعمليّ لمعارفه وأوامره؟.

إنَّ هذا الأمر المهم سيتيسر عندما تتحدد الوظائف التي بيَّنها القرآن للمتدينين، ويتعيَّن البحث العلميّ الذي يجب على العلماء المؤمنين مراجعته في القرآن، ويجعلون معطياته مِحَكًّا لتقييم صحة نتائجهم أو عدم صحتها.

لقد عُبِّر عن نطاق القرآن الكريم بالحدود الموضوعيّة للقرآن، ويُعبَّر أحيانًا عن ذلك في اللغة الفارسيّة بلفظ ـ الجامعيّة ـ وفي اللغة العربية بلفظ ـ الشموليّة[1] ـ، وإنَّ استعمال لفظ ـ النطاق ـ و ـ الحدود ـ في هذا المجال أفضل من استعمال لفظ الجامعيّة؛ ذلك لأنَّ لحاظ نوع من الجامعيّة في لفظ ـ الجامعيّة ـ يمكن أن يؤدي إلى تداعيات في الذهن فيكون هناك تصور بأنَّنا قد حكمنا مسبقًا على أنَّ القرآن يشتمل على كل شيء.

إنَّ مسألة الحدود الموضوعيّة للقرآن لها جذور تاريخية قديمة، وبهذا الصدد توجد آيات وروايات متعدّدة، فضلاً عن أنَّ علماء المسلمين اهتموا بحدود القرآن بسبب دوره المهم في حياة المسلمين، وقد طُرحت أبحاث حول ذلك في المصادر القديمة؛ من قبيل بحث الإعجاز المضموني للقرآن الذي طُرح في العلوم القرآنيّة، والبحوث التفسيرية التي طرحها المفسرون ضمن شرح الآيات المتعلقة بنطاق الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم.

---

(١) ارتأينا الإبقاء على العنوان الذي اختاره المؤلف؛ لوضوحه عند أهل اللغة العربية، ولانتفاء اختلاطه مع المعنى السياسيّ للفظ (الجامعيّة)، فكلمة (الشمولية) التي هي تعبير آخر عن الجامعية صار لها من الوقع السياسي المعلوم الأثر، وبغية انتفاء اجترار تلك المضامين المرتبطة بكلمة (الشمولية)، فضلاً عمّا ذكره المؤلف أعلاه. (الناشر).

إنَّ الحاجة للبحث حول الحدود الموضوعيّة للقرآن تلبية لمتطلبات عصرنا وأجيالنا الصاعدة تختلف عما هو عليه في السابق، لاسيّما الجانب السلبي من هذا البحث ودراسة أساليب الآيات والروايات وقدرتها على تعيين حدود القرآن؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّ مسألة تعرُّف على حدود الوحي بالنحو الحالي غالبًا ما تُطرح لغرض حل التعارض بين العقل والوحي، وهذا المنهج لم يكن مطروحًا في المجتمعات الإسلاميّة السابقة بهذه الأهمية؛ وذلك لأنَّه:

١ـ كان القرآن يُشجّع على استخدام العقل في كشف الحقائق، ولم تكن تشعر تلك المجتمعات بوجود تعارض بين العقل والوحي.

٢ـ إنَّ العلم التجريبي لم يجد تلك التوسعة والدقة التي تجعله يتمكن من مواجهة المعطيات الوحيانيّة.

لقد وردت شبهات من الغرب المسيحي عن طريق بعض المفكرين بالتزامن مع تأسيس الحكومة الإسلاميّة في إيران القائمة على أساس القوانين الإسلاميّة والقرآن، وقد أدَّت هذه الشبهات إلى طرح مسألة الكشف عن حدود القرآن الكريم في بلدنا بجديّة أكثر، وتدوين الكتب والمقالات القيِّمة حول جامعيّة القرآن الكريم وحدود الدين.هذا ومن الممكن دراسة الحدود الموضوعيّة للقرآن من جهتين:

الأولى: وتتّضح بالإجابة على السؤال الآتي: ما المواضيع التي تناولها القرآن؟وهل جميع المسائل الدنيويّة والأخروية للإنسان تندرج ضمن حدود القرآن؟.

الجهة الأُخرى: وتتّضح بالإجابة على السؤال الآتي: ما مقدار ما تناوله القرآن الكريم من هذه المسائل؟.

إنَّ الهدف الأساس من هذا الكتاب هو البحث حول الجهة الأولى، حيث نسعى لدراسة جميع الأدلّة المتعلقة بذلك من دون أي فرض مسبّق، والحصول على الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم التي لها ظاهر وباطن.

إنَّ الكتاب الذي بين أيديكم، يتكون من اثنتي عشر فصلاً فضلاً عن المقدمة والخاتمة، وهذه الفصول هي:

الفصل الأول: ويشتمل على الخلفية، والمفاهيم، والمباني.

والفصل الثاني: ويتناول دراسة المناهج، والنظريّات.

والفصل الثالث: ويتعرَّض إلى بيان الأدلّة العقليّة لحدود القرآن الموضوعيّة.

والفصل الرابع والخامس والسادس ـ بحسب الترتيب ـ وهذه الفصول تبيِّن دلالة أوصاف القرآن الكريم وأهدافه وعلم النبيّ ﷺ على سعة حدود القرآن.

والفصل السابع والثامن: يتناولان دراسة الأدلّة القرآنيّة والروائيّة المتعلقة بالحدود الموضوعيّة للقرآن.

والفصل التاسع: ويختص بإثبات الجامعيّة التامَّة للقرآن في ظاهره وباطنه وخصائص النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

والفصل العاشر: ويختص بنقد الآراء الأخرى التي قيلت في المسألة.

والفصل الحادي عشر: ويتعرَّض للحدود الموضوعيّة الخاصّة بظاهر القرآن، والتي تتمتع بنطاق واسع نسبيًّا، والفصل الثاني عشر: ويضم أسلوب كشف المسائل الظاهريّة للقرآن وتصنيفها.

في الختام، أشكر اللَّه تعالى أن وفقني لتدوين هذا البحث من هذا الكتاب، كما أعرب عن إكباري وإجلالي لأرواح الأنبياء والأئمة المعصومين ﷺ، والعلماء، والشهداء الذين مضوا على طريق الحق، وأثمِّن الجهود التي بذلها جميع الإخوة من أجل تنظيم هذا البحث، لاسيّما مدير لجنة الدراسات القرآنيّة في مركز الأبحاث العالي للثقافة والفكر الإسلاميّ، سماحة حجة الإسلام والمسلمين أسدي نسب، والمدير السابق سماحة حجة الإسلام والمسلمين الدكتور نصيري، والمحقق الكريم سماحة حجة الإسلام والمسلمين شاكرين، والمدير التنفيذي للجنة سماحة السيد نبي اللَّهي، كما أثمِّن الجهود العلميّة التي بذلها سماحة حجة الإسلام والمسلمين كريم پور قراملكي في إعداد الطرح الإجمالي للبحث، واعتبره أحد شركائي في هذا العمل، بالرغم من أنني قد حُرمت من مساعدته في المراحل الأخيرة من العمل بسبب هجرته العلميّة لغرض التبليغ خارج البلد، ولا يفوتني أن أعرب عن تقديري وامتناني للمصحح على ما بذله من جهود في سبيل إخراج البحث بالشكل الأفضل، وأسال اللَّه تعالى أن يمنَّ على الجميع بالتوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

مصطفى كريمي

الفصل الأول
الخلفية والمفاهيم والمباني

الخلفية والمفاهيم والمباني

١ - بيان المفاهيم الأساسية:

إنَّ توضيح الألفاظ والمفاهيم الأساسية المستخدمة في عنوان البحث تُعتبر من جملة الأعمال الضروريّة والأساسية في البحث العلميّ وتبادل الأفكار، فإنَّ بعض الألفاظ لها معان واستخدامات لغوية أو عرفية متعدّدة، ومن الممكن أن يكون لأحد الألفاظ استخدامات متفاوتة في العلوم المختلفة[1]، أو يكون له مصاديق مختلفة في الوقت الذي يكون له معنًى واحد، أو يفقد معناه الابتدائيّ بمرور الزمن ويختص بمعنًى جديد، أو تكون للمفهوم المأخوذ بنظر الاعتبار مراتب مختلفة.

بناء على ذلك، فإنَّ الغفلة عن المعنى والاستخدامات المختلفة والتحولات في معنى اللفظ والمفهوم المستفاد، وعدم تحديد المعنى واستخدامه المأخوذ بنظر الاعتبار، يؤدي أحيانًا إلى الاشتباه والمغالطة.

---

(١) من قبيل لفظة «العلم» التي لها تطبيقات اصطلاحية مختلفة (انظر: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازيّ، مفاتيح الغيب، ترجمة محمد خواجوي، ص١٣١ و ١٣٢).

إنَّ بيان المراد من المفاهيم المحورية للبحث يؤدي أحيانًا إلى فض النزاع أو تغيير رأي بعض الموافقين والمخالفين لرأي من الآراء، فضلاً عن كونه يساعدنا على الوصول إلى الحقيقيّة.

١ ـ ١ ـ الحدود الموضوعيّة:

المراد بالحدود هنا الناحية ومنطقة الحكم،[١] ويطلق عليها النطاق أيضًا، وحدود القرآن تنقسم على ثلاثة أنواع، وهي:

١ـ **الحدود الموضوعيّة**: وترتبط بنطاق الموضوعات والمسائل، ويطلق عليها «جامعيّة القرآن» أيضًا.

٢ـ **الحدود المكانية**: وترتبط بالنطاق المكاني لدعوة القرآن ورسالته، ويُطلق عليها «عالميّة القرآن».

٣ـ **الحدود الزمانية**: وتهتم بدراسة استمرار دعوة القرآن في نطاق الزمان، ويُطلق عليها عنوان «خلوديّة القرآن».

إنَّ موضوعنا الأساسي هو البحث في الحدود الموضوعيّة للقرآن، ومن الطبيعي أنّنا سنستعين بالخصائص المتعلقة بوصف عالمية القرآن وخلوده أيضًا، كما سنستعين بالأوصاف الأخرى عندما نريد أن نبحث عن أدلّة الحدود الموضوعيّة للقرآن.

ويمكن دراسة الحدود الموضوعيّة للقرآن من جهتين:

الأولى: وتتّضح بالإجابة على السؤال الآتي: ما المواضيع والمسائل التي

---

(١) محمد معين، فرهنك فارسي (القاموس الفارسي)، ج٢، ص٢٧٢٠.

يبيِّنها القرآن الكريم؟ وهل تندرج جميع المسائل الدنيويّة والأخروية للإنسان في حدودالقرآن؟

الجهة الأخرى: وتتّضح بالإجابة على السؤال الآتي: ما مقدار ما تناوله القرآن الكريم من هذه المسائل؟، وهل بيَّن الأحكام والمسائل العقائدية فقط، أو أنَّه تعرَّض للمناهج أيضًا؟.

إنَّ الغرض الأساسي من هذا البحث هو دراسة الجهة الأولى؛ أي النطاق الموضوعي للقرآن الكريم، أما الجهة الأخرى فتحتاج إلى دراسة المواضيع والمسائل التي اهتم بها القرآن كلٌّ على حدة، وهذا يحتاج إلى بحث مستقلٍّ وواسع، إلا أنَّ المجال سيسمح لنا ـ إلى حدٍّ ما ـ بإلقاء مثل هذه النظرة على بعض المواضيع والمسائل القرآنيّة.

١ ـ ٢ ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المعجزة الإلهيّة الخالدة، وكتابنا السماويّ ـ نحن المسلمين ـ الذي أنزله اللَّه تعالى على النبيّ محمد ﷺ، وهو الآن بين أيدينا بنفس الصورة التي كان عليها، ولمعاني القرآن الكريم مراتب متعدّدة، ولأحكام تلك المعاني ومراتبها حدود مختلفة؛ لذلك يجب علينا أن نعُيِّن النطاق المراد منّا البحث عنه والكشف عن حدوده.

إنَّ مرادنا من القرآن الكريم في هذا البحث يشمل ظاهر وباطن ـ ظهر وبطن ـ هذا الكتاب الإلهيّ، فإنَّ من خصائص هذا القرآن الكريم أنَّ له بطنًا، فضلاً عن الظهر، ولعلنا نستطيع أن نعتبر أنَّ أصل وجود البطن بالنسبة للقرآن من مسلمات الثقافة الإسلاميّة، وهذا ما سيأتي ذكره مفصلاً، وقد صرَّح بعضٌ ممن تحدَّث عن جامعيّة القرآن الكريم بأنَّ القرآن هو بيان لكلِّ شيء؛ لأنّ له بطنًا.

إنَّ القرآن الكريم لم يستخدم لفظة (البطن) أو (الباطن)، ولم يُخبر بصراحة عن وجود البطن لخصوصه، لكن يُفهم من بعض الآيات مع ضمِّ الروايات التي تفسر التأويل بالباطن بأنَّ القرآن له بطن؛ وذلك من قبيل الآية المباركة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١] بضم رواية عن الإمام الصادق عليه السلام فسَّرت التأويل بالبطن أيضًا[٢]، فضلًا عن السؤال الذي طرحه الفضيل بن يسار على الإمام الصادق عليه السلام حول الحديث المشهور المروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: (ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن)، حيث أجابه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر)[٣].

وتوجد روايات كثيرة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في الكتب الروائيّة للشيعة وأهل السُنّة تدل بوضوح على أنَّ للقرآن الكريم ظهرًا، فضلاً عن البطن، وأنَّ هذه الروايات توجد بالقدر الذي وصلت إلى حد التواتر المعنوي[٤]، وهذا يجعلنا نستغني عن البحث عن سند الروايات[٥].

---

(١) آل عمران/ ٧.

(٢) انظر: حسين الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٩٦، ح٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٢١٢ ـ ٢١٦، جعفر بن يعقوب الكليّنيّ، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّه لم يجمع القرآن كلّه إلا الأئمة عليهم السلام، وأنَّهم يعلمون علمه كلّه، ح١؛ محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٨٩، كتاب القرآن، باب إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً وأنَّ علم كل شيء في القرآن وأنَّ علم ذلك كلّه عند الأئمة عليهم السلام، ولا يعلمه غيرهم إلا بتعليمهم.

(٥) للإطلاع على البحث حول روايات البطن، انظر: محمد هادي معرفة، التفسير الأثريّ الجامع، ج١، ص٢٠ ـ ٣٣؛ علي أكبر بابايي (باطن القرآن)، مجلة معرفت، العدد ٢٤، السُنّة السابعة، خريف ١٩٩٨م؛ محمد كاظم شاكر، روش هاى تأويل قرآن (مناهج تأويل القرآن)، ص٨٧ ـ ٩٧؛ حيدر علوي نجاد، ظاهر و باطن قرآن در گستره روايات (ظاهر وباطن القرآن في إطار الروايات) مجلة بحوث قرآنية، العدد ٥ ـ ٦، ربيع ١٩٩٦م.

فمثلاً، قال الإمام علي ﷺ: «إنِّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ليس من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن»[١].

كما يُفهم من بعض الروايات الأخرى أنَّ القرآن الكريم له بطون متعدّدة، ومثالاً على ذلك، ما رواه جابر الجعفي عن الإمام الباقر ﷺ أنَّه قال: «إنَّ للقرآن بطنًا، وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر»[٢].

وينبغي لنا أن نحدد هل مرادنا من هذا البحث ظهر القرآن أو بطنه؟ فإنَّ هذا سيساعدنا على معرفة حدود القرآن الكريم؛ لأنَّه مع هذا الفرض يمكن أن نفهم من بعض الآيات والروايات إمكانية بيان حدود القرآن الكريم، أو الإشارة إلى معانيه الباطنية، عندما نستعين ببطون القرآن.

لقد أخذنا بنظر الاعتبار في هذا البحث المعارف الموجودة في القرآن الكريم، سواء تمكَّنا من استخراجها هنا أم لم نتمكن، وبغير ذلك ستكون حدود معارف القرآن الكريم نسبية؛ لأنَّه مع وجود مراتب مختلفة لمعاني القرآن[٣] سيكون الانتفاع بالقرآن أكثر، حيث تُستخرج منه بعض الأحكام والمعارف الجديدة مع مرور الزمن وانتشار المعرفة البشرية، وربما يُعلم من ذلك أنَّ تفسير القدماء لم يكن مطابقًا للواقع، وعلى سبيل المثال نشير هنا إلى تفسير آيتين، وهما:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٤].

لقد ذكر المفسرون من علماء السلف بأنَّ المراد من المنشآت في هذه الآية وفي الآية ٣٢ من سورة الشورى المرتفعات، والمراد من الجوار السفن،

(١) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص٢٧٠، ح٦.
(٢) أبو نصر محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص١٢.
(٣) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٦٥.
(٤) الرحمن/ ٢٤.

واعتقدوا بأنَّ معنى الجوار المُنشآت هي السفن الجارية[١]. مع أنَّه طبقًا للشواهد العلميّة المعتبرة يحتمل جدًا أنَّ المراد من الجوار المُنشآت الأنهار الجارية التي تصب في البحار نتيجة لاختلاف درجات حرارة القطبين والمحيطات[٢].

والآية الأخرى: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٣].

لقد ذهب المفسرون من علماء السلف إلى أنَّ كلمة «**لموسعون**» في الآية الشريفة تعني: «التوسعة بالرزق» و«خلق موجود أعظم من السموات»[٤]، إلا أنَّ المفسرين المعاصرين ذكروا وجهًا آخر استنادًا إلى نتائج علميّة معتبرة توصَّل إليها علماء العلوم الطبيعية[٥]، قالوا: إنَّ جميع الأجرام السماويّة والمجرات كانت مجتمعة في البداية في مركز واحد، ثمَّ حدث هناك انفجار عظيم استتبعه تلاشي أجزاء العالم وتحولها إلى أجرام وهي في حالة دوران سريع حول بعضها، وأنَّ السماوات في حالة توسُّع[٦].

فضلاً عن الشواهد المذكورة، فإنَّ الاختلاف بين التفاسير القديمة والجديدة دليل واضح على هذا المدعى، وهو اكتشاف معارف جديدة عن القرآن يوماً بعد يوم.

في ضوء ذلك، لو أنَّ آية بَيَّنت حدودًا للقرآن الكريم، مع عدم تعارض ذلك مع العقل، فحينئذٍ لا يمكن رفع اليد عنها بذريعة عدم العثور على شاهد عليها

---

(١) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٩ و١٠، ص٣٠٤ و ٣٠٥.

(٢) انظر: علي أكبر قرشي، قاموس القرآن، ج١، مادة بحر.

(٣) الذاريات/ ٤٧.

(٤) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مصدر سابق، ج٩ و ١٠، ص٢٤٩.

(٥) ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، تفسير نمونه (التفسير الأمثل)، ج٢٢، ص٣٧١ـ٣٧٤.

(٦) للإطلاع التفصيلّي على هذه النظرية، انظر: محمد علي رضايي اصفهاني، پژوهشى در اعجاز علمى قرآن (بحث في الإعجاز العلمي للقرآن)، ج١، ص٩٤ ـ ٩٦.

في ظاهر القرآن أو الروايات الموجودة[١].

٢ـ خلفية الموضوع والبحث

فضلاً عن وجود الآيات والروايات المتعدّدة حول جامعيّة القرآن وحدوده الموضوعيّة، كان المتدينون وعلماء المسلمين يهتمون دائمًا بهذه المسألة؛ بسبب دور القرآن وأهميته في حياة المسلمين؛ ذلك لأنَّ الإنسان هو باحث ويرغب بالتعرُّف على الأمور المتعلقة بمصيره من جهة، ومن جهة أخرى يسعى لاستغلال أي شيء في مسيرة تكامله ووصوله إلى أهدافه.

كما ويمكن أن يُعثر في المصادر الروائيّة الإسلاميّة[٢] وكتب علماء المسلمين السابقين على مطالب مبعثرة هنا وهناك حول الحدود الموضوعيّة للقرآن، من قبيل الأبحاث التي جاءت تحت عنوان: «الإعجاز المضموني للقرآن»[٣]، وطرحت في بعض كتب علوم القرآن تحت عنوان العلوم المستنبطة من القرآن[٤]، وكذلك البحوث التفسيرية التي ذكرها المفسرون في توضيح الآيات المتعلقة بجامعيّة القرآن[٥].

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١٨، ص٣٨٢؛ ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، تفسير نمونه (التفسير الأمثل)، ج٢٢، ص٣٤٧.

(٢) ستأتي بعض هذه الروايات في البحث القادم.

(٣) انظر: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص١٢ ـ ١٦.

(٤) انظر: جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، نوع ٦٥.

(٥) انظر: أبو طاهر يعقوب فيروزآباديّ، تنوير المقباس عن تفسير ابن عباس؛ محمد بن الحسن الشيخ الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٢٤٤ وج٦، ص٢٠٩؛ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٩٠؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان، ج٢، ص٣٥٣ و ج٥ و ٦، ص٥٨٦؛ جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، نوع ٦٥، ص٣٣؛ أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص٨؛ محمود بن محمد بن محمد أبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص٥٨٢؛ محمود الزمخشريّ، الكشاف في تفسير القرآن، ج٢، ص٢١ ـ ٣١ و ٤٨١ و ٥١٦؛ محيي الدين ابن عربي، رحمة الرحمان في تفسير وإشارات القرآن، ج٢، ص٧٧ ـ ٧٨.

وبالطبع أنَّ هذه الأبحاث لا تتمتع بالانسجام الكافي، ويمكن الاستنتاج من هذا الأمر أنَّ مسألة تعيين الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم لم تكن مطروحة عند السلف من علمائنا كما هي مطروحة في عصرنا ولجيلنا الصاعد بهذه الضرورة القصوى؛ ولاسيّما من جهة محدوديّة نطاقه، والبحث عن أساليب الكشف عن النصوص الدينيّة، والقدرة على تعيين الحدود الموضوعيّة للقرآن.

ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّ مسألة الحدود الموضوعيّة للدين عموماً، والحدود الموضوعيّة للوحي ـ باعتباره المصدر الأساسي للدين ـ خصوصاً، غالبًا ما تُطرح في صورتها الحالية لغرض حل التعارض بين العلم والدين، وكذلك العقل والوحي، ولم تُطرح هذه المسألة في المجتمعات الإسلاميّة على هذا النحو وبهذا المقدار من الأهمية، بخلاف المجتمعات في سائر الأديان الأخرى[1].

(١) إنَّ البحث الأساسي عن حدود النصوص الوحيانية له تاريخ قديم بين علماء الغرب، وقد كان هذا البحث يُطرح بينهم لغرض إيجاد العلاقة بين العلم باعتباره علمًا بشريًّاوالدين، ويتبع ذلك علاقة العقل والوحي، وكذلك إيجاد الحلول للتعارض بينهما، وقد اعتبر بعضٌ أنَّ البحث عن علاقة العلم والدين من البحوث العميقة والمشهورة في تاريخ الفكر الإنساني، وأنَّ قدمته تعود إلى ألفي عام (انظر: آ.ج.آربري، عقل ووحي از نظر متفكران إسلامي العقل والوحي من وجهة نظر المفكرين الإسلاميّين ترجمة حسن جوادي، ص٣)، ويعتقد البعض أنَّ مسألة تعارض العلم البشري والدين في الغرب كانت مطروحة قبل الإسلام، وأنَّ فيلون السكندري اليهودي (٣٠ق. م إلى ٥٠م) سعى من أجل إيجاد الانسجام بين الفلسفة واليهودية (أبو الفضل عزتي، رابطه دين و فلسفه علاقة الدين والفلسفة ص٢٦، ومن جملة الطرق التي طرحها الغرب من أجل حل التعارض بين العلم والدين والعقل والوحي التشكيك في مقدمات التعارض عن طريق التفكيك بين حدودها، ثمّ إنّ مسألة الفصل بين حدود العلم والدين والعقل والوحي طُرحت بين علماء المسيح منذ القرن الثالث عشر بجدية (اتين جيلسون، عقل و وحي در قرون وسطيالعقل والوحي في القرون الوسطى، ترجمة شهرام پازوكي، ص٦١ و ٦٢) وبدا ذلك أكثر ضرورة مع تطور العلم، ومن بين العلماء المسيح قام غاليلو (١٥٦٤ إلى ١٦٤٢) العالم الإيطالي الكاثوليكي المعروف بطرح هذه المسألة بصراحة أكثر من الجميع؛ ليتمكن بهذا الطريق حل التعارض بين نتائجه العلمية والكتاب المقدس (ايان باربور، علم و دين العلم والدين ترجمة بهاء الدين خرمشاهي، ص١٣٢).

إنَّ الدين الإسلاميّ ومصادره ـ لاسيّما القرآن الكريم ـ تُشجِّع على استخدام العقل والعلم في كشف الحقائق، وأنَّ العقل والشرع يُكمل أحدهما الآخر، ثمّ إنّ المسائل المؤدّية إلى طرح تعارض العلم والدين والعقل والوحي لم تكن بالقوَّة والحجم الذي هي عليه في الوقت الحاضر، فإنَّ هذه المسائل باتت تثار اليوم في بحوث معرفة حدود الدين، ومعرفة حدود مصادر الدين، ومن جملتها القرآن الكريم، ثمّ إنّ العلم التجريبي لم يكن في السابق بهذه السعة والدقَّة حتى يتمكن من إبداء رأيه في الميادين المتعلقة بهداية الوحي[١]. وهذه المسألة أدَّت إلى جعل العلماء يعزمون على التوصل إلى معرفة الحدود الموضوعيّة للقرآن والقاسم المشترك بين العلم والوحي، ليقوموا بحلِّ هذا التعارض.

لقد طُرحت مسألة تعارض الفلسفة والقرآن مع ورود الفلسفة اليونانية إلى المجتمعات الإسلاميّة في العهد الأول من عصر الترجمة «القرن الثاني الهجري»، وأنَّ بعضًا ـ مثل الكِنْدي[٢] ـ تطرَّق إلى تأويل الآيات المعارضة للنتائج الفلسفية في سبيل حل هذا التعارض[٣]، كما طُرحت بعده مسألة تعارض الدين والفلسفة بين العلماء الإسلاميّين، وقد بُذلت جهود في هذا المجال أيضًا، ومن ضمنها الدراسة المنظمة والمنطقيّة والشاملة لابن رشد حول الانسجام بين الحكمة والشريعة في كتابه «فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» الذي أدهش عقول الغرب ولفت أنظارهم[٤].

---

(١) محمد تقي جعفري، فلسفه دين (فلسفة الدين)، ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) من عام ١٨٥ إلى ٢٦٠هـ ق.

(٣) انظر: حنا فاخوري وخليل حر، تاريخ فلسفه در جهان اسلام (تاريخ الفلسفة في العالم الإسلاميّ)، ترجمة عبدالمحمد آيتي، ص٣٨٠.

(٤) انظر: أبو الفضل عزتي، رابطه دين و فلسفه (علاقة الدين والفلسفة)، ص٢٦.

ومع تطور العلوم الإنسانية في المجالات المختلفة وتأسيس الحكومة الإسلاميّة على أساس قوانين الإسلام والقرآن في إيران، طُرحت مسألة كشف حدود الدين والحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم بجديّة، واسترعت انتباه العلماء والصحف والأوساط العلميّة مرَّة أخرى، وأنجزت في هذا المجال بحوث جيّدة وتمَّ نشرها.

لقد تمَّ تأليف مجموعة من الكتب حول حدود الدين، من قبيل: درآمدي بر قلمرو دين «**مدخل إلى حدود الدين**» بقلم حسن علي علي اكبري، قلمرو دين و گستره شريعت «حدود الدين ونطاق الشريعة » بقلم عبدالحسيّن خسروپناه، قرآن و قلمروشناسى دين «القرآن ومعرفة حدود الدين» بقلم مؤلف هذا الكتاب، قلمرو دين «حدود الدين» بقلم علي رضا پيروزمند وآخرون، إلا أنَّ باب البحث في هذا المجال لا يزال واسعًا.

إنَّ المسألة الأساسية في هذا البحث هي الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، وقد دوَّنت في هذه المسألة كتب ومقالات مهمَّة، من جملتها كتاب: جامعيت قرآن «جامعيّة القرآن» بقلم السيد محمد علي ايازي، الذي طُبع قبل ذلك ضمن مجموعة مقالات مؤتمر المباني الفقهية للإمام الخمينيّ قدس سره[1] تحت عنوان: جامعيت دين «جامعيّة الدين»، وإنَّ هذا التغيير في الاسم يدل على أنَّ المؤلف المحترم يعدُّ جامعيّة الدين وجامعيّة القرآن واحدة، والحقيقة أنَّ هذا الأمر متوقف على إثبات أنَّ الدين بتمامه جاء في القرآن، هذا أولاً.

وثانيًا: أنَّ تمام محتوى القرآن هو دين، والحال أنَّ هذين المبنيين المهمّين لم يتم إثباتهما وحسب، بل حتى لم يُطرح كلام حولهما أيضًا.

---

(١) جامعيت الشريعة (جامعية الشريعة) مجموعة مقالات مؤتمر المباني الفقهية للإمام الخمينيّ قدس سره، ج١٠، ص٩٩ـ ٢٢١.

إنَّ المؤلف في الصفحة (٥٧) من الكتاب يطرح السؤال الآتي: إلى أي حدٍ تعرَّض القرآن للمسائل الدينيّة؟ وفي الصفحة (٥٨) يقول: هل معلومات القرآن هي أعم من المسائل الدينيّة وغير الدينيّة؟ إنَّ مثل هذه الأسئلة تدل على أنَّ الحدود الموضوعيّة للدين والحدود الموضوعيّة للقرآن ليست متساوية، ثمّ إنّ المؤلف في كتابه هذا لم يوضح كيفية الجمع بين جامعيّة هذين الأمرين.

بناء على ذلك، لم نعثر على مصدرٍ بَحَثَ جميع جوانب هذه المسألة بالدقة والتفصيل، بحيث يجعلنا نستغني عن هذا البحث.

٣ـ فوائد وآثار البحث عن الحدود الموضوعيّة للقرآن:

إنَّ البحث عن الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم له آثار وفوائد متعدّدة، وإذا ضممنا لهذا عدم كفاية البحوث الموجودة في هذا المجال، فستثبت لنا ضرورة هذا البحث يقينًا.

وأمَّا فوائد هذا البحث فهي كما يلي:

٣ـ١ـ إنَّ وضوح الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم يُبعد أتباعه عن التوقعات غير المناسبة منه، بل يجعلهم يستفيدون من كل ما ورد فيه.

٣ـ٢ـ إنَّ الكشف عن الحدود الموضوعيّة والفاعلة للقرآن الكريم، يؤدي إلى تمهيد الأرضيّة لمعرفة حدود الدين الإسلاميّ؛ لأنَّ القرآن وحي إلهيّ، وفي مقدمة المصادر الأساسية للدين الإسلاميّ.

٣ـ٣ـ إنَّ معرفة الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم تؤدي إلى تعيين وظائف الإنسان الدينيّة؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم نزل من أجل أن يهدي الإنسان إلى الصلاح والفلاح، وما دام القرآن هو آخر مراحل الوحي الإلهيّ، ولا ينزل بعده

وحي آخر، فسيبقى مصدر أنوار الإنسانية للأبد؛ بناء على ذلك، ينبغي للناس المؤمنين أن ينظموا سلوكهم الفردي والاجتماعي على هذا الأساس.

٣ـ٤ ـ بتعيين الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم يتمكن العلماء من تحديد الأمور التي يجب أن يراجعوها في النصوص الدينيّة في البحث؛ لأنَّ القرآن الكريم ينتهل من علم اللَّه العالم بجميع خفايا الأمور وظواهرها؛ إذن فهو مصدر للمعرفة اليقينية، ويجب أن يعكس الصورة الصحيحة أو الخاطئة للنتائج العقليّة والتجريبية، وباتضاح الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم سوف يُعلم في أي المسائل يجب أن يكون القرآن ملاكًا للحكم على صحَّة النتائج العقليّة والتجريبية أو خطئها.

٣ـ٥ ـ إنَّ لمعرفة الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم ـ باعتبارها أحد المباني التفسيرية ـ دور في كيفية فهم وتفسير القرآن؛ وذلك لأنَّ نوع تلقي أي مفسر عن حدود مواضيع ومسائل القرآن الكريم يؤثر في فهمه للمعاني وكيفية استخدامها؛ بناء على ذلك يكون من فوائد البحث حول الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم التعرُّف على أحد مباني تفسير القرآن الكريم.

٤ ـ النسبة بين حدود القرآن وحدود الدين الإسلاميّ:

إنَّ الحدود الموضوعيّة من جملة الأبحاث المتعلقة بالدين الإسلاميّ، وتوجد هناك نسبة بين الدين الإسلاميّ والقرآن الكريم باعتباره مصدرًا له، وبالنظر لذلك ينبغي أن نبحث عن النسبة بين الحدود الموضوعيّة لكلٍّ منهما؛ ليتضح لنا هل الدين الإسلاميّ بتمامه جاء في القرآن الكريم، أو لا؟ وفي حالة مجيء تمام الدين الإسلاميّ في القرآن ستنطبق أدلّة جامعيّة وسعة حدود الإسلام على حدود القرآن الكريم أيضًا، ولو افترضنا أنَّ الإسلام لم يأت بتمامه في القرآن

لابد من الإجابة على السؤال الآتي: هل كليات مسائل القرآن الكريم توجد فيه أو بعض مسائله؟ إنَّ الإجابة على هذه الأسئلة تُعلم من البحث حول مصادر الدين الإسلاميّ والنسبة بين حدود القرآن وحدود المصادر الأخرى أيضًا، وإذا ثبت أنَّ المصادر الأخرى للدين قد أخذت من القرآن الكريم، أو أنَّ القرآن هو المصدر الوحيد للدين الإسلاميّ، فإنَّ حدود الإسلام وحدود القرآن ستكون واحدة.

وفيما يلي سنتحدث عن مصادر الدين، ونوكل البحث حول النسبة بين القرآن ومصادر الإسلام الأخرى في العنوان اللاحق، فنقول:

إنَّ اللَّه تعالى جعل للبشر حجتين:

الأولى: الأنبياء عليهم السلام وهم الحجة الظاهرة.

الأخرى: العقل وهو الرسول الباطن.

إنَّ كل ما جاء به رسل الظاهر؛ أي الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يعدُّ من الدين؛ ولذا قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام لهشام: «يا هشام، إنَ للَّه على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة؛ فأمَّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأمَّا الباطنة فالعقول»[1].

من الممكن أن يكون هناك اشتراك بين حدود رسالة الأنبياء عليهم السلام وبين ما يتوصل إليه العقل البشري هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ الإجماع الكاشف عن السُنّة يعدُّ حجَّة، فمع أخذ هذين الأمرين بنظر الاعتبار، لا يكون العقل والإجماع من مصادر الدين المستقلة، وأنَّ الكتاب والسُنّة هما المصدران الوحيدان للدين

(١) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٢٩، كتاب العقل والجهل، ح١٢.

فقط، إلا أنَّ المشهور عند علماء الشيعة أنَّ العقل والإجماع من المصادر الأربعة للفقه.

إنَّ المراد مما قد يقال، وهل هو يتنافى مع ما قلناه، أو لا؟ هذا ما سيتضح من خلال المباحث القادمة.

٤ ـ ١ ـ العقل كاشف عن الكتاب والسُنّة، وليس مصدرًا إسلاميًّا.

إنَّ العقل أشرف قوَّة في وجود الإنسان، وأحد الحجتين التي جعلهما اللَّه تعالى لهداية الإنسانية، فالعقل يمارس فعلاً بارزًا في إيصال الإنسانية إلى السعادة؛ لهذا السبب هو يتمتع بمنزلة رفيعة في الآيات[١]، والروايات[٢].

وبالرغم من أننا نعترف بجلالة العقل لكن علينا أن نجيب على السؤال الآتي: هل العقل مصدر ديني مستقل كالكتاب والسُنّة، أو لا؟.

إنَّ المدركات العقليّة هي التي تُكتسب من غير طريق النقل والحس والتجربة الباطنية، فعند ارتباط العقل بالقرآن يمكن أن تكون له أنواع مختلفة من المدركات، ويمكن أن توجد هذه المدركات في:

١ ـ مبادئ الكتاب والسُنّة التصديقية.

٢ ـ فهم الكتاب والسُنّة.

٣ ـ طول الكتاب والسُنّة.

---

(١) ولو تتبعت الكتاب الإلهيّ ثم تدبرت في آياته وجدت ما قد يزيد على ثلاثمائة آية تتضمن دعوة الناس إلى التفكر أو التذكر أو التعقل، أو تلقن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحجة لإثبات حق أو لإبطال باطل أو تحكي الحجة عن أنبيائه وأوليائه (انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٧٤).

(٢) انظر: محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجة.

٤ ـ عرض الكتاب والسُنّة[١].

القسم الأول: يشمل إثبات وجود اللّه وعصمة الأنبياء وأمثال ذلك، وهو يتعلق بالمباحث السابقة التي هي مقدمة إلى فهم نصوص الدين.

والقسم الثاني: يتعلق بفهم النصوص الدينيّة.

والقسم الثالث: يتعلق ببحث البيان الإرشادي، وسنشير إلى ذلك في البحث عن المناهج الصحيحة لتعيين حدود القرآن.

والقسم الرابع: هو القسم الوحيد المتعلق بهذا البحث، وهذا البحث طُرح في أصول الفقه أيضًا، ومع التأكيد على أنَّ البحث يحتاج إلى دقّة وتفصيل أكثر، فضلاً عن التعرُّض لجوانب المسألة الذي يحتاج إلى مجال آخر، سنقوم بالبحث حول هذا القسم من مدركات العقل باختصار.

وبالنظر لكون علماء المسلمين بحثوا دور العقل في فهم الدين بالتفصيل في أصول الفقه والاستنباط والأحكام الفقهية، فنحن أيضًا سندرس دور العقل في استنباط الأحكام الفقهية، كما سنحدد بهذا البحث مصدريّة العقل للإسلام أو عدم مصدريّته.

إنَّ علماء المسلمين انقسموا حول دور مدركات العقل في استنباط الأحكام الفقهية على ثلاثة طوائف، يمكن أن يوجد لكل طائفة منهم اختلاف جزئي مع الطائفة الأخرى[٢]. وهذه الطوائف هي:

---

(١) انظر: محمد باقر الصدر، بحوث في علم الأصول، ج٤، ص١١٩؛ حسن علي اكبريان، در آمدى بر قلمرو قرآن (مدخل على حدود القرآن)، ص١٩٧ و ١١٩.

(٢) انظر: محمد بن الحسين محسن الغروي، مصادر الاستنباط بين الأصوليين والإخباريين، ص١٨١ و ٢٢٢.

١ـ أصحاب الرأي من فقهاء أهل السُنّة: وهذه الطائفة تعتقد بأنَّ مدركات العقل بشكل عام ـ سواء كانت مدركات قطعية أم ظنية ـ هي حجة في الاستنباط.

٢ـ الإخباريون الشيعة وأصحاب الحديث من أهل السُنّة: وهذه الطائفة تعتقد بأنَّ العقل ليس له دور في استنباط الأحكام أبدًا، وهو ليس حجة.

٣ـ أغلب علماء الأصول: إنَّ أصحاب هذه الطائفة يعتقدون بأنَّ المدركات العقليّة اليقينية حجة في استنباط الأحكام الشرعية، إلا أنَّهم لا يتمكنون من الاعتماد على المدركات العقليّة غير القطعية في الاستنباط الفقهي.

ويمكن الاعتراف بأنَّ علماء الأصول ابتعدوا تقريبًا عن إفراط الطائفة الأولى وتفريط الطائفة الثانية، واختاروا طريق التدقيق والتفصيل؛ وعليه من المناسب البحث حول معرفة مرادهم من حجية العقل في هذا الباب: وهل هو مطابق للواقع، أو لا؟ وعليه سنقوم بمناقشة القول الثالث.

٤ ـ ١ ـ ١. نبذة تاريخية عن دخول العقل إلى الاجتهاد:

إنَّ الأشخاص الذين تعرَّضوا إلى البحث التاريخي حول هذا الموضوع يعتقدون بعدم إمكانية إثبات تاريخ دقيق لدخول العقل في أمر الاستنباط والأحكام، لكن يمكن التخمين بأنَّ ابن الجنيد[١] هو الذي قد أدخل العقل إلى ساحة الاجتهاد منذ أواسط القرن الرابع الهجري[٢].

---

(١) الوفاة: ٣٨١هـ.ق.

(٢) قال الشيخ محمد رضا المظفر: «وأقدم نص وجدته ما ذكره الشيخ المفيد في رسالته الأصولية» (أصول الفقه، ج٢، ص١٢٢)، ويمكن الجمع بين كلام الشيخ المظفر هذا وما قلنا من هذا البيان: إنَّ ابن الجنيد هو أول من أدخل العقل إلى ساحة الاجتهاد، والشيخ المفيد هو الشخص الذي ذكر هذا الأمر في كتاباته.

ومن بعده اعتبر تلميذه الشيخ المفيد[١] العقل وسيلة للوصول إلى الكتاب والسُنّة وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد كان الشيخ المفيد يعتقد بأنَّ أصول الأحكام الشرعية هي الكتاب والسُنّة وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويمكن التوصل إليها بثلاث طرق، وهي:

١ ـ **العقل**: طريق الوصول إلى حجية القرآن وأدلّة الأخبار.

٢ ـ **اللغة**: طريق معرفة معاني الكلام.

٣ ـ **الأخبار**: طريق إثبات الكتاب والسُنّة وأحاديث الأئمة عليهم السلام.

بناء على ذلك، فإنَّ الشيخ المفيد لم يعدُّ العقل مصدرًا مستقلاً إلى جانب الكتاب والسُنّة، وقد صرَّح بقوله:

«العقل هو السبيل إلى معرفة حجيّة القرآن ودلائل الأخبار»[٢].

ثمّ إنّ الشيخ الطوسي رحمه الله[٣] تلميذ الشيخ المفيد لم يُصرِّح أيضًا في كتابه عدَّة الأبرار ـ الذي يعدُّ أول كتاب أصولي جامع ـ بأنَّ العقل مصدر مستقل، وإنَّ ابن إدريس[٤] هو أول من صرَّح بحجيّة الدليل العقليّ، حيث قال: «فإذا فُقد الثلاثة ـ الكتاب والسُنّة والإجماع ـ فالمعتمد في المسألة الشرعية ـ عند المحققين الباحثين في المسألة الشرعية ـ التمسك بدليل العقل فيها»[٥].

---

(١) الوفاة: ٤١٣هـ.ق.

(٢) محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مصنفات الشيخ المفيد، ج٩، التذكرة بأصول الفقه، ص٢٨.

(٣) الوفاة: ٤٦٠هـ.ق.

(٤) الوفاة ٥٩٨هـ.ق.

(٥) محمد بن إدريس، السرائر، ص١٨.

وبناء على رأي ابن إدريس لابد من التوجه نحو العقل في حالة عدم وجود دليل من الكتاب والسُنّة والإجماع، وبعد ابن إدريس فإنَّ أغلب الأصوليين قد أشاروا إلى أنَّ الدليل العقليّ هو حجة في الاستنباط[١].

ثم إنَّ الشيخ المظفر ﷺ بحث حول الدليل العقليّ في عدَّة أماكن من أصول الفقه، وقد فهم من تصريحات المحقق الحلي[٢]، والشهيد الأول حول الدليل العقليّ أنَّ المسألة لم تتضح بشكل جيد في زمانهم؛ ذلك لأنَّهم قد وسَّعوا في مفهومه بحيث شمل الظواهر اللفظيّة والاستصحاب أيضًا.

وحتى الميرزا القمي[٣] فهم ذلك من القدماء فيما يتعلق بالدليل العقليّ أيضًا، فقد كان يعتقد بأنَّ المراد من الدليل العقليّ الحكم العقليّ الذي يكون وسيلة للحكم الشرعي، ومن الحكم العقليّ يتحقق الانتقال إلى الحكم الشرعي[٤].

٤ ـ ١ ـ ٢. الدليل العقليّ وأقسامه:

قال الشيخ الأنصاري في تعريفه للدليل العقليّ الذي يكون في عرض الكتاب والسُنّة: «عُرِفَ الدليل العقليّ بأنَّه يُتوصل به إلى حكم شرعي»[٥].

وفي هذا الصدد قال الشهيد الصدر: «الدليل العقليّ كل حقيقة يدركها العقل ويمكن أن يستنبط منها حكم شرعي»[٦].

---

(١) انظر: محمد إبراهيم جناتي، منابع اجتهاد از ديدگاه مذاهب اسلامي (مصادر الاجتهاد في رأي المذاهب الإسلاميّة)، ص٢٢٤ ـ ٢٢٨.

(٢) الوفاة: ٦٧٦هـ.ق.

(٣) الوفاة: ١٢٣١هـ.ق.

(٤) انظر: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج٢، ص١٢٤ ـ ١٢٦.

(٥) مرتضى الأنصاري، مطارح الأنظار، ص٢٩٩.

(٦) الشهيد الصدر، المجموعة الكاملة لمؤلفات محمد باقر الصدر: ج٤، الحلقة الثالثة، ص٢١٧.

كما قال الشيخ المظفر ﷺ في بيان مراده من الدليل العقليّ: «كل حكم عقلي يوجب القطع بالحكم الشرعي، وبعبارة ثانية هو كل قضية يتوصل بها إلى العلم القطعي بالحكم الشرعي»[١].

والظاهر أنَّ تعريف الشيخ المظفر ﷺ أدق من تعريف الشيخ الأنصاري؛ لأنَّه في بحث الحكم الشرعي ينصب الاهتمام على الدليل الذي تكون نتيجته القطع بالحكم الشرعي، ثمّ إنّ تعريفه يعدُّ أكمل بالقياس إلى تعريف الشهيد الصدر أيضًا؛ ذلك لأنَّه يُبحث في الأصول عن الدليل العقليّ الذي ينتهي إلى الحكم الشرعي اليقيني، وليس الاحتمالي.

إنَّ هذا البحث مثل أي قياس آخر يتكون من مقدمتين إمَّا أن تكونا عقليتين كلتيهما أو أحدهما دليل عقلي؛ وبناء على أنَّ المقدمتين عقليتين كلتيهما أو أن أحدهما عقليّة فقط ينقسم عليالمستقلات العقليّة وغير المستقلات العقليّة[٢].

٤ـ١ـ٢ـ١. المستقلات العقليّة:

في هذا القسم تكون المقدمتين كلتيهما عقليّة، ومثالاً على ذلك: أنَّ العقل العمليّ[٣] يحكم بحسن العدل وقبح الظلم، والعقل النظريّ أيضًا يحكم بالملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع، وأنَّ كل ما هو حسن لدى العقل يكون

---

(١) محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج١و٢، ص١٢٤ـ١٢٦.

(٢) للتفصيل أكثر انظر: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج١و٢، ص٢٠٦ ـ ٢٥٩.

(٣) يوجد اختلاف بين العلماء حول تقسيم العقل على نظري وعملي وتعريف كل منهما، والمشهور هو أنَّ العقل ينقسم على نظري وعملي على أساس مدركاته، أو بتعبير أفضل مدركات العقل. وإذا كان ما يدركه العقل من الأمور الواقعية المتعلقة بالموجودات، مثل كون الكل أكبر من جزئه الذي لا يحتاج إلى عمل وسلوك، ففي هذه الصورة يطلق عليه العقل النظري، وإذا كان ما يدركه العقل متعلق بالواجب وغير الواجب، أو الأمور التي تحتاج إلى عمل معيَّن، مثل إدراك حسن العدل وقبح الظلم، ففي هذه الصورة يُطلق عليه العقل العملي (انظر: محمد باقر الصدر، بحوث في علم الأصول، ج٤، ص١٢٠؛ محمد حسين الأصفهاني، مصدر سابق، ج٢، ص٣١)

حسنًا عند الشرع أيضًا، ثمَّ إنَّ العقل يتوصل إلى نتيجة مفادها أنَّ رعاية العدل واجتناب الظلم واجب شرعي.

والظاهر أنَّه يُطرح في هذا القسم من الدليل العقليّ الحسن والقبح العقليّين بمثابة كاشف عن الحكم الشرعي فقط.

٤ـ١ـ٢ـ٢. غير المستقلات العقليّة:

في هذا القسم تكون إحدى المقدمتين شرعية والأخرى عقليّة، والسبب في تسمية هذا القسم بالدليل العقليّ غلبة الجانب العقليّ على غير العقليّ، ومثال على ذلك حكم العقل بأنَّ مقدمة الواجب الشرعي واجبة شرعًا تتكون من مقدمتين.

والنموذج لذلك: أنَّ الوجوب الشرعي للحج على المستطيع هو المقدمة الأولى، والحكم العقليّ النظريّ على الملازمة بين الوجود الشرعي لذي المقدمة والوجوب الشرعي لمقدمته هو عقلي، ثمَّ أنَّ العقل يستنتج بأنَّ تهيئة مقدمات الحج للمستطيع واجب شرعًا.

وهنا يُطرح السؤال الآتي: هل الأحكام العقليّة تؤدي إلى الحكم الشرعي في تمام الأدلّة غير المستقلات العقليّة، أولا؟، يوجد اختلاف في الرأي بين علماء الأصول حول ذلك، لاسيّما في كون مقدمة الواجب واجبة، حيث ذُكرت عشرة أقوال لهذه المسألة تقريبًا، والحق مع القائلين بعدم حكم العقل بوجوب مقدمة الواجب شرعيًّا.

وفي ضوء المثال السابق فإذا صدر أمر من الشارع بأداء مقدمة الواجب، فإنَّ هذا الأمر يُحمل على الحكم الإرشادي، فإنَّ علة عدم شرعية حكم العقل بوجوب المقدمة هو كفاية الأمر بذي المقدمة من قبل الشارع لتحريك المكلف

على فعل مقدمته وليس هناك حاجة إلى الحكم الشرعي؛ لأنَّ العقل يحكم بوجوب أي عمل يتوقف عليه الامتثال لأمر المولى، وفي مثل هذه الحالة لا يكون للأمر المولوي بالإتيان بالمقدمة من قبل الشارع أي فائدة ولغوًا؛ ولهذا السبب تُحمل أوامر الشارع لفعل مقدمات الواجبات الشرعية على الأوامر الإرشادية.

٤ ـ ١ ـ ٣. نقد دلالة الدليل العقليّ على الأحكام الدينيّة:

الظاهر أنَّ كل من العقل النظريّ والعمليّ لا يتمكن لوحده من توليد الحكم الشرعي؛ فالعقل النظريّ لا يتمكن من ذلك لأنَّه:

أولاً: إنَّ ملاكات الأحكام هي توقيفية كالأحكام نفسها، ويمكن التوصل إليها عن طريق السماع من مُبلِّغ الأحكام والمُنصَّب من قبل اللَّه تعالى فقط، والسر في ذلك يعود إلى أنَّ مصالح الأحكام التي هي ملاكات أحكام الشارع لا تندرج تحت ضابطة معينة حتى نتمكن من فهمها، وعلى الأقل يمكن القول بأنَّ الوصول إلى تلك الملاكات صعب جدًا[١]. وبتعبير الشيخ الأنصاري: إنَّ ذلك موجب للوقوع في الخطأ كثيرًا[٢].

ثانيًا: حتى لو فرضنا قدرة العقل على فهم الحكمة التامّة للحكم وإمكان سراية ذلك الحكم إلى الموارد المشابهة، لا نتمكن أيضًا من القول: إنَّ الحكم الشرعي يثبت بوساطة الدليل العقليّ؛ لأنَّ الدليل العقليّ في مثل هذه الصورة لم يكن له دور سوى إيجاد المصداق للحكم الشرعي الذي ثبت بالدليل النقلي.

---

(١) الشهيد الصدر، المجموعة الكاملة للمؤلفات، ج٤، ص٣، الحلقة ٣، ص٢٥٠؛ بحوث في علم الأصول، ج٤، ص١٣٥ـ١٣٩.

(٢) مرتضى الأنصاري، فرائد الأصول (الرسائل)، ص١١٢.

أما بالنسبة للعقل العمليّ فلا يمكنه إثبات الحكم الشرعي بصورة مستقلة أيضًا؛ لأنَّ العقل العمليّ يُدرك فقط بأنَّ الفعل الفلاني يستحق الامتثال ذاتاً أم لا، أمَّا حكم ذلك الفعل لدى الشارع ولزوم امتثاله أو عدم امتثاله في نظر الشارع، فهو من الأمور الواقعية الخارجة عن حدود العقل العمليّ.

يوجد اختلاف في الرأي بين علماء الأصول حول قدرة العقل على إثبات الحكم الشرعي في غير المستقلات العقليّة، وأنَّ بعض مسائله كاستحالة اجتماع حكمين في موضوع، هي في الحقيقة نفي للحكم لا إثباته.

والشارع نفسه قال: «إنَّ كل شيء لم يصدر فيه حكم فهو مباح وطاهر»؛ وعلى أساس ذلك سنقوم بدراسة الدليل العقليّ في المستقلات العقليّة فقط، وفي رأي أغلب علماء الأصول أنَّ الدليل العقليّ منحصر في الحسن والقبح العقليّين، وأنَّ كل من العقل النظريّ والعمليّ له دخل فيهما.

٤ ـ ١ ـ ٣ـ ١ . مقدمات دلالة العقل على الحكم الشرعي:

إنَّ ما قاله علماء الأصول حول دلالة العقل على الحكم الشرعي في المستقلات العقليّة، يمكن تلخيصه بالنقاط الآتية:

١ ـ الأحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد الحقيقيّة.

٢ ـ إنَّ العقل النظريّ يُدرك المصالح والمفاسد الحقيقيّة للأمور، والعقل العمليّ يحكم بحسن الأمور التي لها مصلحة، وبقبح الأمور التي لها مفسدة، وكونها جديرة بالفعل أو الترك؛ مثل إدراك حسن العدالة وضرورة مراعاتها، وقبح الظلم وضرورة تركه.

٣ـ إنَّ العقل النظريّ يرى ملازمة بين الحكم القطعي العقليّ والشرعي؛ لأنَّ الشارع من العقلاء، بل هو سيد العقلاء: كل ما حكم به العقل حكم به الشرع.

٤ ـ إنَّ القطع حجّة.

النتيجة: إنَّ الحكم الشرعي يثبت مستقلاً، مع اقتران العقل العمليّ والنظريّ، وفي ضوء ذلك يعدُّ العقل جزءًا من مصادر الدين أيضًا.

٤ ـ ١ ـ ٣ ـ ٢. مناقشة المقدمات:

سنقوم هنا بمناقشة المقدمات السابقة:

١ ـ إنَّ كون الأحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد الأخلاقيّة هو من الأصول المسلمة في بعض كتب الشيعة الأصولية والفقهية، ويدّعي بعضهم أيضًا أنَّ الشيعة يذهبون إلى أنَّ كل حكم شرعي يكون لازم الاستيفاء في الموضوع بسبب المصلحة، وكل نهي يكون واجب الاحتراز بسبب وجود المفسدة في المنهي عنه[١]. وفي المقابل رفض بعضهم أن تكون جميع أوامر الشرع ونواهيه دائرة مدار المصالح والمفاسد الحقيقيّة، وقد أوردوا بعض الآيات أيضًا بوصفه شاهدًا على هذا المدَّعى؛ مثل حرمة صيد السمك من قبل اليهود في يوم السبت[٢]، مع أنَّ الصيد يوم السبت لا يفرق مع الأيام الأخرى[٣].

٢ ـ لقد قيل في المقدمة الأولى بأنَّ العقل العمليّ يُدرك المصالح والمفاسد الحقيقيّة، إلا أنَّ الظاهر أنَّ العقل البشري لا يتمكن وحده أن يصل إلى العلَّة التامة للأحكام وجميع مصالحها وموانعها؛ لأنَّه من الممكن أنَّ مصالح الأحكام الشرعية لم تكن مراد العقلاء في أوامرهم ونواهيهم، والمبتني عليه حفظ النظام

---

(١) مرتضى مطهريّ، آشنايى با علوم اسلامى (مدخل إلى العلوم الإسلاميّة)، ج٣، ص٥١.

(٢) لقد أشارت بعض الآيات القرآنيّة إلى هذا الموضوع (انظر، البقرة/ ٦٥؛ النساء/ ٤٧ و ١٥٤؛ النحل/ ١٢٤؛ الأعراف/ ١٦٣).

(٣) احمد عابدي، مصلحت در فقه (المصلحة في الفقه)، مجلة نقد ونظر، العدد ٤، السّنة الرابعة، ص١٦٦ ـ ١٧٧.

وبقاء النوع[١]، ولعل الأمر هذا هو الذي جعل علماء الأصول يعتقدون بأنَّ العقل العمليّ وحده الذي يتمكن من معرفة الحسن والقبح العقليّين، وهذا المقدار عادةً لا يكفي في إثبات مصدريّة العقل للأحكام الدينيّة أيضًا.

إنَّ العقل العام يثبت فقط المباني الجامعيّة للقوانين الفقهية وليس المقررات ذاتها، ثمّ إنّ العقل الخاص يثبت أداة العلم الحصولي الاكتسابي الذي يقبل الخطأ وتكون قدرته العلميّة محدودة؛ إذن فالعقل هو أداة لكل حكم نشك في أنَّه مطابق للواقع أم لا؛ لذلك لا يمكننا أن نعتبر جميع نتائج العقل حقيقية[٢].

٣ـ إنَّ العقل يتمكن من الأمر بالملازمة بين حكم العقل والشرع في حالتين، الأولى: أن يفهم بصورة قطعية أنَّ إيجاب هذا الحكم ليس فيه مفسدة، فضلاً عن إدراك جميع المصالح الموجودة في الحكم الشرعي؛ لأنَّ مع إحراز مصلحة في الوجوب قد يكون له إيجاب للمنع أيضًا، والأخرى: أن لا يعدُّ الشارع حكم العقل كافيًا في هذه الموضوعات.

إلا أنَّه لم تثبت أيٌّ من هاتين المقدمتين؛ ذلك لأنَّه، أولاً: إنَّ حكم العقل بعمل هو بسبب مصالح تؤدي إلى حفظ النظام الإنساني، وليس من المعلوم أنَّ المصالح المراد للشارع في الأحكام هي هذه المصالح أيضًا، وثانيًا: قد تُحرز المصلحة وعدم المانع في حكم الفعل، ويتوصل جميع العقلاء إلى ضرورة الامتثال له، من قبيل ما هو موجود في بحثنا؛ إذ أنَّ مثل الحسن والقبح العقليّ يُعد من المشهورات الخاصة[٣]، والآراء المحمودة[٤] التي تحكم بها العقلاء

(١) انظر: محمد حسين الغروي الأصفهاني، نهاية الدراية، ج٢، ص٢٢٥.

(٢) انظر: علي عابدي شاهرودي، جاى يگاه عقل در اجتهاد (دور العقل في الاجتهاد)، مجلة كيهان انديشه، العدد٦١، ١٩٩٦م.

(٣) انظر: ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج١، ص٢١٩.

(٤) المصدر السابق: ص٢٢٠.

من أجل حفظ النظام وبقاء النوع الإنساني، وفي مثل هذه الصورة لا تكون هناك حاجة للحكم المولوي من قبل الشارع؛ لأنَّ الحكم المولوي يحتاج إلى الداعي، وهنا لا يوجد داعي بسبب كفاية حكم العقل في تحريك الناس لفعله.

إنَّ الإشكال الآخر الذي يُطرح حول الحكم بالملازمة هو أنَّه على وفق هذا الرأي يجب أن تكون هذه الملازمة جارية لنتائج العقل الأخرى أيضًا، ومن هذا الطريق نتوصل إلى أنَّ النتائج القطعية للعقل في هذا القسم من المعارف جزء من الإسلام أيضًا؛ مع أنَّ أغلب القائلين بالدليل العقليّ لا يؤيدون أنَّ جميع النتائج القطعية للعقل تكون جزءًا من الدين.

٤ـ لا شك في أنَّ القطع حجة، وحجيته ذاتيّة[١]. ويستحق البحث هنا أن يُطرح السؤال الآتي: هل حجية القطع حقيقية وبمعنى الكشف عن الحقيقة، أو أنَّ حجيته بمعنى المنجزية؟.

إنَّ هناك معانيَ عدَّة للقطع[٢]. والمراد في بحثنا معناه الأصولي فقط؛ أي المنجزية والمعذرية، فالحجية بمعنى الكاشفية ليست ذاتيّة القطع؛ لأنَّ الذاتي في باب البرهان لا ينفصل عن معروضه؛ إلا أنَّ القطع يكون مطابقاً للواقع أحيانًا، ولا يكون مطابقاً أحيانًا أخرى، هذا فضلاً عن أهمية صحة الاحتجاج في

(١) انظر: آقا ضياء الدين العراقي، نهاية الأفكار، تقرير محمد تقي البروجردي، ج٣، ص١٠؛ مرتضى الأنصاري، فرائد الأصول، ص٥؛ محمد كاظم الآخوند الخراساني، كفاية الأصول، بحث القطع.

(٢) مثال على ذلك: ١ـ الحجية المنطقية والمقصود منها حقانية القطع وموضوعيته، وأنَّ القطع يشتمل على الحق من أي طريق حصل، وهذا المعنى للحجية متعلق بعلم المنطق وعلم المعرفة. ٢ـ الحجية التكوينية والمراد منها محركية ودافعية القطع للقاطع، وهذه المحركية طبيعية وتكوينية وليست مراد أصول الفقه. ٣ـ الحجية بمعنى التنجيز والتعذير، بمعنى أنَّ القطع منجز ومعذر ضمن العلاقة بين المولى والعبد، ويُبحث في علم الأصول في مثل هذا المعنى من الحجية (انظر: محمد باقر الصدر، بحوث في علم الأصول، ج٤، ج١، ص٢٨؛ الآخوند الخراساني، درر الفوائد في الحاشية على الفرائد، ص٢٤).

الأصول كونها من الأحكام العقلائية وليست من الأحكام الواقعية[١].

بناء على ذلك، فإنَّ حجية القطع لا تؤدي بنا إلى القول: «بما أننا توصلنا إلى القطع؛ إذن كلَّما حكم به العقل حكم به الشرع »؛ ذلك لأنَّ هذا القطع يمكن أن لا يكون مطابقًا للواقع، ونحن على أي حال نؤيد وجوب الاهتمام بحكم العقل، ونعمل على وفقه بحيث يكون معذرًا ومنجزًا، وما دام العقل هو أحد الحجتين الإلهيّتين، فنحن على يقين من أنَّ الحكم الشرعي الذي جاء في القرآن والروايات القطعية صادرٌ من اللَّه تعالى.

من الضرورة التذكير بمسألة وهي أنَّ كلامنا هو حول نفي أن يكون العقل مصدرًا شرعيًّا في عرض الكتاب والسُنّة لا يعني كوننا إخباريين، بل إننا نعتبر دور العقل في استنباط الأحكام من الكتاب والسُنّة مهمًّا جدًا؛ لأنَّ المعارف العقليّة القطعية هي إحدى قرائن فهم الكتاب والسُنّة، وعن طريق العقل فقط يمكن استخراج الأصول والقواعد الكليّة مثل «قاعدة اليد » و «قاعدة الضمان» وأمثال ذلك، وتطبيقها على موضوعاتها، وأنَّ الاجتهاد ليس شيئًا سوى ذلك.

ما دام البحث عن مصدريّة العقل كان يُطرح بجديّة في أصول الفقه فقط ـ كما أشرنا إلى ذلك من قبل ـ لذلك ناقشنا الأدلّة الأصولية المتعلق بالفقه والتكليف ونقدناها، وهذا المطلب يجري بخصوص المعارف أيضًا، وأنَّ معارف القرآن وأهل البيت ﷺ هي التي تُحتسب من الدين فقط[٢]، وبالإمكان نسبتها إلى اللَّه تعالى، إلا أنَّ النتائج العقليّة ليست كذلك.

---

(١) جعفر السبحانيّ، تهذيب الأصول (تقريرات أبحاث آية الله العظمى الإمام الخمينيّ)، ج٢، ص٩ و ١٠.
(٢) انظر: محمد رضا حكيمي، مكتب تفكيك (مذهب التفكيك)، ص٥٤ و ٥٥ و٨١ و ٨٢.

نستنتج من المباحث السابقة أنَّ العقل ليس مصدرًا دينيًّا مستقلاً في عرض الكتاب والسُنّة، إلا إذا قلنا بأنَّ الدين شامل لجميع الأحكام والمعارف الناجمة عن كل معرفة يقينية[١]، وأنَّ تمام العلوم عندما تكون يقينية فهي من الدين؛ حتى الفيزياء وإن كان صاحبها ملحدًا[٢]، ويلزم من مثل هذا القول:

أولاً: أن ينتفي وجود شيء في مقابل الدين، وأن لا يكون هناك طرح لمسألة بعنوان علاقة العلم والدين، مع أنَّ الآيات والروايات التي سوف تأتي في البحث تثبت خلاف ذلك.

ثانيًا: أن نعتبر كافة نتائج العقل ـ كالمسائل الفلسفية مثلاً ـ جزءًا من الدين، وهو كلام خاطئ أيضًا، وقد أشار أحد المفكرين إلى هذا الأمر بقوله: «إنَّ لكلٍّ مِنَ الدين والفلسفة العقليّة مجرًى ومبنًى مستقل، فالفلسفة هي وليدة الفكر والعقل البشري، أما الدين فهو وليد الوحي والإلهام السماويّ»[٣].

---

(١) انظر: جوادي آملي، تسنيم، تفسير القرآن، ج١، ص١٩١ و ١٩٢؛ جوادي آملي، منزلت عقل در هندسه معرفت ديني (منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينية)، ص١٧٠؛ ما دام سماحة الأستاذ جوادي آملي يعتقد بأنَّ فكر الإنسان قاصر عن الوصول إلى معنى الوحي والسُنّة، فهو لا يضم العقل إليهما، ويعتقد بأنَّ العقل لا يكون في رتبة الوحي والسُنّة، وأنَّ المنطقة الممنوعة للوحي النبوي ممنوعة دائماً على العلماء غير المعصومين (المصدر السابق، ص٢٠٧ و ٢٠٨)، ثمّ إنّه لا يعدُّ العقل مصدراً لصدور الحكم أيضًا (المصدر السابق، ص٤٣)، وبالتأكيد لا يمكن القول: ما دامت عقولنا قاصرة عن التوصل إلى معنى الوحي والسُنّة، إذن علينا أن نقبل بأنَّ العقل مصدر للدين إلى جانب الكتاب والسُنّة أيضًا؛ لأنَّ الحديث عن القرآن والسُنّة في هذا البحث يراد منه أنَّ القرآن هو عين الوحي الإلهيّ من دون أي نقص وتغيير، وليس المراد من السُنّة الروايات فقط، بل نفس فعل المعصوم وقوله وتقريره، وأنَّه لا يوجد شك في مرادهما الإلهيّ.

(٢) انظر: عبدالله جوادي آملي، تسنيم، منزلت عقل در هندسه معرفت دينى (منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينية)، ص١٤٣؛ إنَّ هذا الكلام يتعارض مع المطلب المذكور في صفحة ١٧٠ من هذا الكتاب، فهو هناك يعدُّ كافة العلوم التجريبية والفلسفية إمَّا إلهيّة أو إلحادية، ويحتسبها متأثرة بالمباني أو الأصول الموضوعة أو الفرضيات.

(٣) جلال الدين همايي، جاويدان خرد انديشه (الخالدون من فحول الفكر)، لجنة الفلسفة الإيرانية، السُنّة الأولى، ١٩٧٨م، ص٣، نقلاً عن: محمد رضا حكيمي، مكتب تفكيك (مذهب التفصيل)، ص٣٢٣.

قد يدعي بعضهم أنَّه قد ثبت عن طريق العقل أنَّ هذه المسألة قد بُيِّنت في السُنّة، إلا أنَّ ذلك لم يصل إلينا، وفي مثل هذه الحالة يكون العقل وسيلة لكشف مفاد السُنّة وليس مصدرًا مستقلاً يقترن مع ما ذهبنا إليه في محل بحثنا، وبالتأكيد أنَّ مثل هذا الأمر غير ممكن بالنسبة للقرآن الذي هو سالم من التحريف؛ بناء على ذلك يكون الطريق الصحيح لفهم الدين والحقائق الدينيّة هو القرآن وأهل القرآن؛ أي أهل البيت عليهم السلام[١].

٤ ـ ١ ـ ٤. نفي مصدريّة العقل للدين في الروايات:

إنَّ ما ذكرناه سلفًا هو المستفاد من الروايات أيضًا، وعليه سنذكر هنا ثلاث روايات تشير الأولى منها إلى دور العقل والدين كلٌّ على حدة، وتنفي الرواية الثانية مصدريّة العقل للدين، وتوصي الثالثة بأخذ الدين من الكتاب والسُنّة.

الرواية الأولى: قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

«يا هشام إنَّ للّه على الناس حجتين: حجة ظاهر وحجة باطنة، فأمَّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأمَّا الباطنة فالعقول»[٢].

لقد وردت هذه الرواية فيما سبق، وهي تذكر بأنَّ اللّه تعالى أتمَّ حجته على الناس بوساطة العقل، ولكون كلمة «حجة» وردت بمعنى: «وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة»[٣] و «البرهان»[٤] يُعلم من ذلك أنَّ ترك أمر العقل بالتكليف يؤاخذ عليه، وتقام الحجة على الإنسان بسبب امتلاكه العقل.

---

(١) انظر: محمد رضا حكيمي، مكتب تفكيك (مذهب التفصيل)، ص٣٦٥.

(٢) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، كتاب العقل والجهل، ح١٢، ص١٩.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج١، ص٣٤٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٤.

الرواية الثانية: روى الكليّنيّ ﵀ مسندًا عن الإمام الصادق ﵇، أنَّه قال: «حجة اللَّه على العباد النبيّ والحجة فيما بين العباد وبين اللَّه العقل»[١].

يُفهم من هذه الرواية أنَّ العقل يجب أن يأتي تبعًا للنبيّ، وأنَّ الإنسان يصل إلى الكمال والسعادة بمساعدة النبيّ؛ بناء على ذلك يكون وجود الحجة الباطنة من أجل البحث عن الحجة الظاهرة؛ وهو النبيّ، ووجود الحجة الظاهرة من أجل تبيين الحقائق للحجة الباطنة، حتى يصل الإنسان إلى كماله الإلهيّ عن طريق فهم تلك الحقائق[٢].

الرواية الثالثة: قال الإمام الصادق ﵇: «إنَّ الدين لا يُصاب بالعقول»[٣].

مع ذلك أنَّ هذه الرواية لا تنفي كون العقل وسيلة وطريقة لفهم الكتاب والسُنّة؛ ذلك لأنَّها تنفي استقلالية العقل في الوصول إلى الدين فقط، وهذا لا يتعارض مع أن يكون للعقل دور في الوصول إلى الدين عن طريق فهم الكتاب والسُنّة.

ويُفهم من هذه الرواية أنَّ المعارف والأحكام الدينيّة لا يمكن أخذها بشكل مستقل من العقل، وقد يُستفاد هذا الأمر من القرآن الكريم أيضًا، وذلك بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[٤].

الرواية الرابعة: قال الإمام الصادق ﵇: «من دخل فيه ﴿الدين﴾ بالكتاب والسُنّة زالت الجبال قبل أن يزول»[٥].

---

(١) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، كتاب العقل والجهل، ح٢٥، ص٢٣.

(٢) انظر: محمد رضا حكيمي، مكتب تفكيك (مذهب التفصيل)، ص٣٥٦.

(٣) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٠٢، ح١١.

(٤) الشورى/ ٢١.

(٥) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج٢، ص١٠٥، ح١٧؛ وفي رواية أخرى جاءت عبارة «من عرف دينه من الكتاب» بدل من عبارة «دخل فيه بالكتاب والسُنّة»؛ الشيخ الحر العامليّ، وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٥٠.

الرواية الخامسة: روي متواترًا عن طريق أهل السُنّة والشيعة حديث «الثقلين» المشهور، الذي قال فيه رسول اللّه ﷺ: «إنّي تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ألا وأنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1].

في ضوء هذه الرواية يكون النبيّ محمد ﷺ قد أعلن للناس بأنّهم إذا تمسكوا بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام لن يضلوا أبدًا؛ وعليه فإنَّ كل ما يهدي الإنسان إلى السعادة يكون قد جاء في الكتاب والسُنّة، ولو أنَّ العقل كان مذكورًا إلى جانب القرآن وأهل البيت عليهم السلام أيضًا، لتحقق الضلال مع التمسك بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام وترك العقل؛ إلا أنَّ النبيّ ﷺ قد قال: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي».

ففي ضوء ما جاء في الاستدلال وما فُهم من الروايات أيضًا نستنتج أنَّ الوحي وروايات النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هي التي تُبيِّن دين اللّه، وكما يعتقد الشيخ المفيد أنَّ مصدر الدين هو الكتاب والسُنّة فقط، وأنَّ شأن العقل هو الكشف عن الدين من القرآن والسُنّة، لا أنَّه يحكي عن الدين بصورة مستقلة أو يُحتسب مصدراً للدين، وما دام العقل هو حجة للّه أيضًا، ويؤاخذ على ترك أوامره ونواهيه إلى جانب الدين، فإنَّ للدين والعقل حدودًا مشتركة وأنَّ المراد من الدين في أغلب تلك الموارد هو الأمر الإرشادي كما اتضح سابقًا.

٤ ـ ٢. الإجماع كاشف عن سُنّة المعصوم وليس مصدراً للدين:

الإجماع في الاصطلاح يعني اتفاق جماعة على إثبات حكم شرعي، ويعدُّ أحد مصادر الفقه، وللعلماء الشيعة والسُنّة آراء مختلفة حوله: فإنَّ أهل السُنّة

---

(١) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٠٦، ح٧.

بالاستناد إلى حديث النبيّ الأكرم ﷺ الذي قال فيه: «لا تجتمع أمتي على خطأ»، اعتبروا الأمَّة مصونة من الخطأ، واعتبروا إجماعهم حول الحكم حجة، ولغرض إثبات دعواهم استدلوا ببعض الآيات وغيرها من الأدلّة أيضًا[١]، وكافة هذه الأدلّة تعرَّضت للنقد من قبل علماء الشيعة[٢].

ومع كون علماء الشيعة رَدُّوا الروايات المذكورة، إلا أنَّه يعتقدون بأنَّ الأمَّة لا تجتمع على الخطأ بسبب وجود أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام بين أوساط الأمَّة دائمًا، ثمّ إنّ الإجماع حجة لكونه كاشفًا عن قول المعصوم عليه السلام، وعلى أساس هذا التحليل لو أنَّ جماعة قليلة اتفقت على موضوع ما، وأصبح هناك يقين بأنَّ أحدهم معصوم، فسيكون هذا الموضوع حجة علينا[٣].

بناء على ذلك، يمكننا أن ندَّعي أنَّ الإجماع على رأي الشيعة ليس مصدرًا مستقلاً إلى جانب الكتاب والسُنّة، بل يكون حجة فقط عندما يكون كاشفًا عن السُنّة.

النتيجة: إنَّ مصادر الإسلام هي القرآن الكريم وروايات الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام فقط.

٥ ـ النسبة بين حدود القرآن وحدود السُنّة:

لقد ثبت أنَّ القرآن الكريم وروايات النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام هي المصدر الأساس للدين الإسلاميّ، والآن علينا أن نحدد ما هي النسبة بين حدود

---

(١) الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسّي، المستصفى من علم الأصول، ج١، ص٢٢٥ ـ ٢٢٩.

(٢) انظر: محمد إبراهيم جناتي، منابع اجتهاد از ديدكاه مذاهب اسلامي (مصادر الاجتهاد في رأي المذاهب الإسلاميّة)، ص١٨٩ ـ ١٩٦.

(٣) انظر: كتب الشيعة الخاصة بعلم الأصول، ومن جملة ذلك: الشيخ مرتضى الأنصاري؛ فرائد الأصول، ج١، ص٨١ـ٨٥؛ محمد كاظم الآخوند الخراساني، كفاية الأصول، ص٣٣١، حيث يقول: إنَّ وجه اعتبار الإجماع هو القطع برأي الإمام عليه السلام.

القرآن الكريم وحدود السُنّة؛ لنستطيع أن نحكم جيدًا على مسألة حدود القرآن الكريم، ونستعين بالأدلّة المتعلقة بحدود الدين الإسلاميّ أيضًا.

إنَّ القرآن الكريم هو معيار لمعرفة الروايات الصحيحة من غير الصحيحة ووثاقتها[١]، فضلًا عن كونه المصدر الأساس لأحاديث النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، كما صرَّح بذلك بعض مفسري الإسلام وعلمائه[٢]، فضلًا عما يستفاد من الروايات، فقد كان هؤلاء الأعلام يستنبطون أحكام القرآن ومعارفه بتأمل خاص، وهذه الأحكام والمعارف خارجة عن قدرة الآخرين، كما جاء ذلك في رواية عن الإمام الحسيّن عليه السلام يذكر فيها: بأنَّ لطائف القرآن للأولياء، وحقائقه للأنبياء عليهم السلام[٣].

عند مناقشة الروايات المتعلقة بحدود القرآن سيأتي بأنَّ أغلب الروايات المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم تدل على أنَّ علم أهل البيت عليهم السلام بأنَّباء السماوات والأرض، مستنبط من القرآن الكريم، فضلاً عن وجود روايات أخرى تدل على أنَّ مصدر علم أهل البيت عليهم السلام مقتصر على القرآن[٤].

---

(١) حول هذا الموضوع انظر: محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، ص٦١.

(٢) انظر: محمد بن عبدالرحيم النهاونديّ، تفسير القرآن وتبيين الفرقان، ج١، ص٢٨؛ جوادي آملي، مجلة كيهان انديشه، العدد ٣٩، السُنّة السابعة، ص٣٢؛ وحول حديث النبي الأكرم ﷺ انظر: جلال الدين السيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص١٣؛ وقال الشافعيّ: (جميع ما تقوله الأمّة شرح للسنة، وجميع السُنّة شرح للقرآن، وجميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن).

(٣) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٩٢، ص١٧٣، ح١٨، باب ١، وقد وردت هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أيضًا.

(٤) لقد ذُكرت مصادر أخرى لعلم المعصومين عليهم السلام أيضًا، لكنَّ المتبادر هو أنَّ القرآن طريق الوصول إلى تلك المصادر (انظر: ناصر مكارم الشيرازيّ، پيام قرآن (رسالة القرآن)، ج٧، مبحث مصادر الأنبياء؛ أحمد مطهريّ وغلام رضا كاردان، علم پيامبر و امام در قرآن (علم النبي والإمام في القرآن).

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب اللَّه»[١].

وفي رواية أخرى سُئل الإمام الصادق عليه السلام: هل يوجد لديكم عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله شيء آخر غير الوحي، فأجاب الإمام عليه السلام قائلاً: «لا والذي خلق الحبَّة وبرأ النسمة إلا أن يُعطي عبدًا فهمًا في كتابه»[٢].

إنَّ العلامة الطباطبائيّ بعد أن نقل الحديث الأخير قال: «وهو من غرر الأحاديث، وأقل ما يدل عليه: أنَّ ما نقل من أعاجيب المعارف الصادرة عن مقام الإمام عليه السلام العلميّ الذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم»[٣].

وعلى وفق العقيدة الشيعة المستخلصة من الروايات أنَّ الأئمة عليهم السلام يتمتعون بالإلهام الإلهيّ؛ أي أنَّ المعارف تنزل على قلوبهم مع أنَّهم ليسوا بأنَّبياء، قال الإمام الرضا عليه السلام: «أما النكت في القلوب فالإلهام»[٤].

وأيضًا هؤلاء الأعاظم هم محدثون واللَّه تعالى يتحدث معهم عن طريق الملائكة[٥]؛ من دون أن يسمعوا صوت الملك، فعن زرارة قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: الإثني عشر الأئمة من آل محمد كُلُّهم محدث»[٦].

سنتحدث في الفصل السادس بالتفصيل حول مسألة الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات، أما هنا فنشير باختصار إلى أنَّه من الممكن أن يكون

---

(١) جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج١، ص٧١٤، ح٦٦.

(٢) محمد بن عبدالرحيم النهاونديّ، تفسير القرآن وتبيين الفرقان، ج١، ص٢٨.

(٣) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٧٣.

(٤) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب جهات علم الأئمة، ح٣.

(٥) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة عليهم السلام المحدثون والمفهمون، وباب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث؛ الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٢٠٤.

(٦) المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٨١.

هذا النوع من النتائج شرحًا للوحي القرآني؛ أي أنَّ أصل الموضوع المراد قد ورد في القرآن، إلا أنَّ قيوده وشرحه يتضح في غير القرآن، والمثال على ذلك أنَّ أصل الصلاة وكلياتها ذُكرت في القرآن، إلا أنَّ تفصيل أحكامها نفهمه من كلام النبيّ ﷺ، وكلام النبيّ ﷺ هذا وحي إلا أنَّه وحي غير قرآني[1]. وأنَّ هذا الشرح ربما يكون قد جاء في بطن القرآن، وأنَّ الإمام عليه السلام علم به عن طريق الإلهام والتحديث.

النتيجة:

إنَّ المصدر منحصر برسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، والقرآن الكريم، أو الرسول وأهل بيته عليهم السلام والقرآن هم المصدر الأساسي للدين الإسلاميّ على أقل تقدير؛ وبناء على كون القرآن والسُنّة هما المصدر الأساسي للدين الإسلاميّ، فلا أقل أنَّهما يشتملان على الأصول الكليّة للدين الإسلاميّ، بحيث يمكن الاستعانة بأدلّة حدود الدين الإسلاميّ في بحث حدود القرآن.

(١) انظر: مرتضى العسكري، مجلة كيهان انديشه، العدد٨٢، ص١٩٧.

الفصل الثاني
مناهج ونظريات

مناهج ونظريات

١ـ مقدمة

سنبحث في هذا الفصل المنهج الصحيح في الكشف عن حدود القرآن والآراء المختلفة في الحدود الموضوعيّة للقرآن.

فمع أنَّ الباحثين بذلوا جهودًا لغرض التعرُّف على حدود القرآن الكريم، إلّا أنَّهم لم يسعَوا للتعرُّف على مناهج هذه المسألة إلّا قليلاً، ولا يزال المجال واسعًا للبحث الشامل في هذا الخصوص.

وأنَّ كون جميع الفوائد المترتبة على معرفة حدود القرآن مترتبة على البحث عن مناهج البحث عن هذه الحدود وإثبات قدرة النصوص الدينيّة على معرفتها، يكفي للاهتمام بمعرفة هذه النتائج؛ لأنَّ التوصل إلى حدود القرآن على نحوٍ دقيق مرهون باستخدام المنهج الصحيح والكامل.

وبالنظر لوجود الفوائد المتعدّدة المترتبة على بحث معرفة حدود القرآن الكريم، دعت الضرورة إلى البحث عن المنهج الصحيح للبحث عن حدود القرآن الكريم، ومع تحديد المنهج الصحيح يمكن التعرُّف على نطاق الأحكام والأوامر والمعارف القرآنيّة بدقّة.

٢ ـ المنهج الصحيح للكشف عن الحدود الموضوعيّة للقرآن:

للتوصل إلى المنهج الصحيح الكاشف عن حدود القرآن الكريم، سنقوم بدراسة المناهج المطروحة في هذا المجال جميعًا ، ثمَّ نقوم بنقد المناهج غير الصحيحة، ونذكر الأدلّة والشواهد على إثبات المنهج الصحيح.

٢ ـ ١ . المناهج المتعدّدة في كشف حدود القرآن:

توجد مناهج عدَّة للتوصل إلى حدود القرآن الكريم، وهي:

١ ـ المنهج غير الديني الذي يتحقق بالمقاييس التجريبية والتاريخية والعقليّة.

٢ ـ النظر إلى الدين من داخله ويتحقق بالاستفادة من القرآن والروايات.

٣ـ المنهج التركيبي، ويتحقق من مجموع المنهج غير الديني والمنهج الديني.

إنَّ كل من هذه المناهج الكليّة تتضمن مناهج فرعيّة متعدّدة سنتطرق إليها بالإجمال فيما يأتي من البحث.

٢ـ١ـ١ . المناهج غير الدينيّة:

١ ـ منهج تحديد التوقعات من الدين والقرآن، بوساطة دراسة متطلبات الإنسان وتوقعاته من القرآن.

٢ ـ منهج التفصيل التاريخي للقرآن، عن طريق دراسة الآثار ودور القرآن في المجتمعات الإسلاميّة.

٣ـ المنهج العقليّ، عن طريق أدلّة حاجة الإنسان إلى الوحي.

٢ ـ ١ ـ ٢. المناهج الدينيّة:

١ ـ دراسة الآيات والروايات التي تبيِّن علم رسول اللَّه ﷺ وأهداف القرآن.

٢ ـ دراسة الآيات والروايات المتعلقة بحدود القرآن.

٣ـ دراسة استقرائية لجميع آيات القرآن.

٢ ـ ١ ـ ٣. المنهج التركيبي:

إنَّ الطريق الثالث للتوصل إلى حدود القرآن يتمثل في الاستفادة من المنهجين كليهما؛ أي المنهج غير الديني والمنهج الديني، فبوساطة المنهج الديني نحصل على كليات الأمور المتعلقة بحدود القرآن، ولغرض معرفة حدود القرآن يجب الرجوع إلى القرآن والروايات، فمثلاً، عن طريق الاستعانة بالمنهج غير الديني نفهم أنَّ القرآن الكريم قد بَيَّن كليات الأمور المؤثرة في وصول الناس إلى هدف خلقتهم، وهو الكمال، لكن ما هي الأمور الضروريّة لكمال الإنسان؟، وهذا ما يجب البحث عنه في القرآن نفسه.

بعبارة أخرى، أنَّ عقل الإنسان يُدرك إدراكًا إجماليًا أنَّ الإنسان جاء إلى هذه الكرة الأرضيّة من أجل الوصول إلى السعادة والكمال، إلا أنَّ الإنسان بوساطة طرق المعرفة العاديّة؛ أي الحس والعقل والتجربة لا يتمكن من الإدراك على نحوٍ دقيق كيف ينبغي أن يعيش حتى يصل إلى السعادة الأخروية، وأنَّ العلم العادي للإنسان ليس له القدرة على الكشف عن علاقة الدنيا والآخرة بالتفصيل؛ لكنه يُدرك بأنَّ الوحي الإلهيّ هو الذي يتمكن فقط من بيان الإجابة الدقيقة على الأسئلة الأساسية في هذا المجال.

نحن نعتقد بأنَّ أفضل وآمن منهج للتوصل إلى حدود القرآن الكريم الرجوع إلى القرآن الكريم نفسه والاستفادة من الروايات، فالقرآن الكريم الذي يُعرِّف نفسه بأنَّه نور[١]، ووسيلة هداية[٢]، وتبيان لكل شيء[٣] قد بَيَّن حدوده وكلماته بكل وضوح بالتأكيد؛ بناء على ذلك يمكن التوصل إلى حدود القرآن الدقيقة بالمنهج الديني ودراسة الآيات التي تُبيِّن حدود القرآن، وكذلك الدراسة الاستقرائية لجميع الآيات، فضلاً عن ضرورة إتباع هذا المنهج؛ لأنَّه لا يمكن التعرَّف على حدود القرآن الكريم بصورة دقيقة مع فقدان جميع المناهج الدينيّة.

إنَّ الفرق الوحيد بين المناهج الدينيّة والمنهج التركيبي هو أنَّ المنهج الثالث يبيِّن الدليل العقليّ أو التوجيه العقلائي لضرورة الرجوع إلى الكتاب والسُنّة لغرض التوصل إلى حدود القرآن، علمًا أنَّ الأسلوبين كليهما مشتركان في هذا الأمر وهو أنَّهما يُعَدُّان الرجوع إلى القرآن والروايات ضروريٌّ للتوصل إلى حدود القرآن.

ولهذا السبب يكفي مناقشة ونقد المنهج غير الديني والإجابة على الشبهات المتعلقة بالمنهج الديني من أجل إثبات ضرورة وصحّة الرجوع إلى القرآن والروايات لغرض التوصل إلى حدود القرآن الكريم، وهذا ما افترضناه.

توضيح: إذا ثبت بأنَّ المناهج غير الدينيّة كافية في تعيين حدود القرآن، وإمكانية تعيين حدود القرآن بدقة بوساطة هذه المناهج، فعندها لا يكون استخدام المناهج الدينيّة ضروريًّا جدًا، خصوصًا وأنَّ الكتاب والسُنّة بحاجة إلى تفسير، ولبعض الآيات وجوه مختلفة من التفسير.

---

(١) ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة/ ١٥).
(٢) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (البقرة/ ١٨٥).
(٣) ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النحل/ ٨٩).

أمَّا إذا كان الأمر على العكس من ذلك، وثبت عدم كفاءة المناهج غير الدينيّة، فستتأكَّد ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسُنّة لتعيين حدود القرآن أكثر، فضلاً عن أنَّ بعض المناهج غير الدينيّة تُثير إشكالات على المناهج الدينيّة أيضًا، وتعتبر الرجوع إلى الكتاب والسُنّة من أجل كشف حدود القرآن لا يستند إلى دليل. من هنا بات من اللازم الإجابة على تلك الإشكالات.

٢ـ ٢. عدم كفاية المناهج غير الدينيّة والحاجة إلى النصوص الدينيّة:

لا يكفي أي من المناهج غير الدينيّة بمفرده لتعيين حدود القرآن الكريم بدقة، ولا يغنينا عن الرجوع إلى القرآن والروايات؛ بناء على ذلك سوف لا نقوم إلا بدراسة التفسير الأول من منهج «توقع البشر من الدين والقرآن»؛ أي السؤال الآتي: ما هي توقعات الناس من الدين والقرآن؟، ومنهج «التفصيل التاريخي للقرآن» من بين المناهج غير الدينيّة، وسنتطرَّق في الفصل المتعلق بنقد الآراء إلى تفسير آخر[١].

٢ـ ٢ـ ١. المنهج العقليّ:

المنهج العقليّ من جملة مناهج كشف الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم التي يستدلون فيها على ضرورة الوحي والحاجة إلى القرآن الكريم وذلك بالاستناد إلى الأدلّة العقليّة، وفي هذا المنهج يشيرون بالبنان إلى الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم باعتبارها مصداقًا للوحي بتعيين حدود حاجة الإنسان للوحي، وتكون المتطلبات التي تجعل الإنسان محتاجًا للوحي هي النطاق الموضوعي للقرآن بعينه.

(١) انظر: الفصل ١٠.

٢ـ ٢ـ ١ـ ١. نقد وتحليل:

إنَّ هذا المنهج وإن تمكَّن من تعيين الأصول الكليّة للمواضيع القرآنيّة من تعيين نطاق حاجة الإنسان للوحي، إلا أنَّه لا يتمكن من تعيين الحدود الموضوعيّة للقرآن بدقة، فقد يكون بعض ما جاء في القرآن الكريم ليس من باب الضرورة، بل يكون من باب اللطف الإلهيّ؛ أي أنَّ بعض المواضيع التي جاءت في القرآن قد تكون جزءًا من حدود العلم الإنساني ويتمكن الإنسان من الوصول إليها بنفسه؛ ولكن اللَّه تعالى أوردها عن طريق الوحي من باب اللطف؛ لكون الإنسان قد يغفل عنها أو لدليل آخر، وإنَّ هذا القسم من التوضيحات في مجال الأحكام يُطلق عليه الأحكام الإرشادية؛ وتكون من الدين بهذا الغرض الذي بيَّنه القرآن الكريم.

بناء على ذلك، لا يكفي المنهج العقليّ في تعيين الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم على نحوٍ دقيق، وإن أمكن من تعيين الأصول الكليّة للحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، ونحن نستعين بهذا المنهج على هذا الأساس.

٢ـ ٢ـ ٢. منهج تحديد التوقع من القرآن:

إنَّ منهج التوقع من القرآن طُرح في ظل «توقع البشر من الدين» وهو منهج جديد في معرفة حدود القرآن؛ بمعنى أنَّ الدين والوحي جاءا من أجل الاستجابة لمتطلبات الإنسان؛ بناء على ذلك فإنَّ توقعات الإنسان من القرآن الكريم هي التي تُعيِّن حدود كلماته.

وإلى جانب أنَّ هذا الدليل يماثل منهج «ضرورة الوحي والقرآن» من جهة اعتماده على حاجات الإنسان وقصوره عن تلبيتها، إلا أنَّه يختلف عنه من بعض الجهات، ومن جملة ذلك أنَّ هذا المنهج يكون على خلافه من حيث كونه مبنيًّا على المعرفة التجريبية للإنسان.

لقد كان هذا المنهج يُستخدم لخصوص كتاب المسيحية المقدس، ومع بداية عصر التنوير في الغرب وتطور العلوم التجريبية التي يبحث كل منها عن جانب من جوانب الطبيعة والإنسان، وظهور الفلسفة الجديدة التي تعرَّضت لنقد التقاليد من جهة، والمشاكل الموجودة في المسيحية والكتاب المقدس من جهة أخرى؛ تبادر لعلماء النصارى السؤال: ما هو توقع البشر من الوحي؟ والسؤال: ما هي نوعية التوقع من الكتاب المقدس؟.

لقد سعى علماء النصارى في هذا العصر لفصل حدود العلم والفكر عن الكتاب المقدس، وقطع يد الوحي عن ميادين الفكر والعلم؛ لأنَّ جوهر الدين المسيحي والكتاب المقدس لهما قابلية على أن ينسبا المجال العلميّ والمسائل الاجتماعيّة إلى العلم الإنساني، ومثال على ذلك: قال غاليلو:«إنني أعتقد أنَّ من الواجب علينا أن لا نشيِّد بناء علمنا على أساس النصوص المقدسة خلال البحث عن المسائل الفيزيائية، بل على أساس التجارب الحسيّة والبراهين الضروريّة»[١].

لقد دار قبل مدَّة الحديث عن موضوع «التوقع من الدين والوحي » على السُنّة وأقلام مجموعة من المحققين في بلادنا بنفس المنهج الغربي، وكانت لهذا الموضوع ردود أفعال مختلفة بين العلماء، فبعضهم اعتبره صحيحًا[٢].

وبعضهما الآخر بدلاً من ذلك طرح السؤال الآتي: «ما هي الحاجة أو الحاجات التي تجذب الإنسان نحو الدين؟»[٣] في مقابل مجموعة اعتبرت

---

(١) ايان باربور، علم ودين (العلم والدين)، ص٣٥ و ٣٦.

(٢) جوادي آملي، نقلًا عن: مجلة نقد ونظر، العدد ٦، السُنّة الثانية، ص٢٠١ و ٢٠٢؛ انظر: جوادي آملي، تسنيم في تفسير القرآن الكريم، ج١، ص١٩١ و ١٩٢؛ محمد فنايي اشكوري، معرفت شناسى دينى (نظرية المعرفة الدينية)، ص١٣٧.

(٣) محمد لكنهاوزن، مجلة نقد ونظر، العدد ٦، السُنّة الثانية، ص١٩.

منهج التوقع من القرآن المنهج الوحيد الذي يمكن به التوصل إلى حدود الوحي والدين[١].

إنَّ هذه المسألة يمكن أن تُناقش بالصورتين المختلفتين المذكورتين، أحداهما المتضمنة للسؤال: «ماذا يتوقع الناس من الدين والوحي؟»[٢].

والأخرى المتضمنة للسؤال: «ما هي الأمور التي يجب توقعها من الدين والوحي؟» وفيما يلي سنتعرَّض لدراسة التفسير الأول فقط[٣]، والمتمثل بالأمر الداخلي.

ينبغي لجميع المتدينين الذين لهم توقعات من الوحي أن يتعرَّفوا بالتأمل الباطني على الحاجات التي يمكن تأمينها من الدين والوحي، فإنَّ بعضهم وهو يبحث عن الإجابة عن هذا السؤال اعتقد بعدم إمكانية الاستناد إلى الأدلّة العقليّة والكلامية؛ لأنَّ صدقها وكذبها يعتمد بالنتيجة على رجوع كل شخص إلى باطنه، ليعلم أنَّ مثل هذا الأمر هل يمكن أن يُتوقع من الوحي أو لا؟[٤].

---

(١) عبدالكريم سروش، گفت وگوي زبان قرآن (الحوار في لغة القرآن)، مجلة فراره، العدد ١، السُنّة الأولى، شتاء ١٩٩٨م، ص١٢؛ عبدالكريم سروش، مديريت و مدارا (الإدارة والمدارة)، ص١٢٨؛ انتظار ما از دين (توقعنا من الدين)، كراسة غير مطبوعة، ص٢٢.

(٢) إنَّ هذا السؤال يختلف عن السؤال الآتي: «ما هي أسباب رجوع الإنسان إلى الوحي والدين؟»؛ ذلك لأنَّه، أولًا: إنَّ علل الرجوع إلى الوحي والدين من اللازم أن تكون قبل قبولها، إلا أنَّ جميع التوقعات ليست كذلك، بل من الممكن بعد الرجوع إلى الوحي تحصل توقعات جديدة أو تتغيَّر التوقعات القديمة. وثانيًا: سنبيِّن لاحقًا أنَّ حاجة الإنسان والاستجابة لمتطلباته ليست هي علَّة الرجوع إلى الوحي لكي يقال بأنَّ الاستجابة الصحيحة والكاملة لهذه الحاجات تُشكِّل توقعات المتديِّن من الوحي والدين.

(٣) سنتحدَّث عن التفسير الثاني، ضمن أدلة وآراء أخرى.

(٤) مصطفى ملكيان، اقتراح انتظار بشر از دين (اقتراح توقع البشر من الدين)، مجلة نقد ونظر، العدد ٦، السُنّة الثانية، ص٢١و٢٢.

٢ـ ٢ـ ٢ـ ١. نقد و تحليل:

إنَّ هذا التفسير للتوقع حول الدين والوحي يمكن أن يكون مفهوم التوقع عند جميع الناس، أو توقع كل شخص بمفرده، وبوساطة البيان الذي ذكره صاحب هذا التفسير يتضح أنَّ مراده الثاني؛ وعليه سنقوم بنقد هذا التفسير على وفق البيان الثاني.

وبوساطة الاستعانة بمنهج توقع البشر للوحي، لا يتعسّر ـ مع هذا التفسير ـ تعيين حدود القرآن بدقة وحسب، بل يتعسّر حتى التوصل إلى كليات حدود القرآن أيضًا؛ لأنَّه:

١ـ تكون نتيجة ذلك خصوصية توقع البشر من الوحي، وهذا يؤدي بدوره إلى عدم القدرة على الاستفادة منه في تعيين حدود القرآن، ومن الخطأ أن نقول في معرض الجواب:

ما دام جواب السؤال المذكور يجب أن يُتحصَّل من التأمل الباطني، فليس من اللازم أن يُفهم بأنَّ ذلك الأمر خصوصي «**subjective**»؛ بمعنى أن لا يوجد فيه مجال للحجة والدليل والرد والتكذيب، بل من الممكن جدًا أن تدل المشاهدات والمعلومات على أنَّ توقعات كافة أو غالبية المتدينين أو الناس من الوحي هو أمر واحد[1].

٢ـ إنَّ التجربة تدل على أنَّ معرفة هذه التوقعات الواسعة غير ممكن أو هو أمر متعسر جدًا؛ لأننا لا نعلم عن توقعات الذين يعيشون في الماضي وفي المستقبل، بل ليس من اليسير حتى جمع توقعات الناس المعاصرين أيضًا، هذا أولاً. وثانيًا: إنَّ هذه التوقعات في الكثير من الأوقات ليست بصدد إرضاء

(١) المصدر السابق، ص٢٢، مع تغييرات طفيفة.

الحقيقيّة والبحث عن الكمال النابع من الفطرة الإنسانية، حتى يمكن أن يُقال: «إنَّ خالق الفطرة الإنسانية هو اللَّه الذي أنزل الوحي تبعًا لفطرة الإنسان من أجل هدايته».إذن يجب أن يستجيب القرآن لكل ما تريده منه الفطرة، ويجعل ذلك يسري إلى جميع الناس بجمع توقعات طائفة خاصة.

٢ ـ ٢ ـ ٣. منهج دراسة الدور التاريخي للقرآن:

إنَّ دراسة الدور التاريخي للقرآن الكريم يُعَدُّ من جملة المناهج الدينيّة المطروحة في تعيين حدود هذا الكتاب الإلهيّ، فالتاريخ هو ميدان الامتحان والاختبار، وأنَّ فشل وعدم فشل المسلمين والمجتمعات الإسلاميّة التي قامت على أساس القرآن الكريم باعتباره المصدر الأساسي للإسلام، هو انعكاس لقدرة القرآن الكريم وحدوده الحقيقيّة[١].

إنَّ أغلب حكام الإسلام الذين حكموا باسم الإسلام والقرآن كانوا من أهل الجور والظلم، وأغلب حكوماتهم الإسلاميّة لم يُكتب لها النجاح.

والكاتب علي عبدالرزاق قد فهم من هذا الأمر بأنَّ القرآن الكريم ليس له نظرية حول الحكومة[٢]، فهو يدعي ويقول: «لا تجد فيه ﴿القرآن﴾ ذكراً لتلك الإمامة العامة والخلافة»[٣].

---

(١) وقد طرح البعض حول الإسلام كلامًا شبيهًا بهذا الكلام (انظر: عبدالكريم سروش، آزمون و عقيده، در فربه تر از اي دئولوژي «الاختبار والعقيدة، في إطار أوسع من الإيديولوجية»، ص١٨١ و ١٩٧؛ مجيد محمدي، سر به آسمان قدسي و در كروي عرفي «هامة في السماء القدسي ورهن بالسلوك العرفي»، ص٩٩؛ آخرت و خدا، هدف بعثت انبياء (الآخرة والله، الهدف من بعثة الأنبياء)، ص٣٧ و ٣٨.

(٢) انظر: علي عبدالرزاق، الإسلام وأصول الحكم، ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥.

٢ـ ٢ـ ٣ـ ١. نقد وتحليل:

إنَّ منهج تحليل الدور التاريخي للقرآن الكريم في المجتمعات الإسلاميّة ليس منهجًا كاملاً، وإنَّ ما يُختبر به المجتمع ليست هي إلا أموراً تُفهم من القرآن ويقوم الناس بالعمل على وفقها، مع أنَّ نتائج هذا الاختبار يمكن إسنادها إلى القرآن فيما إذا كانت الاستنتاجات صحيحة ومصونة من الخطأ، وممكن تحقق هذا الأمر مع تحقق قواعده وشروطه، هذا أولاً.

وثانيًا: أن تعمل الحكومة والشعب على أساس الفهم الصحيح للقرآن وذلك بالامتثال الكامل.

إنَّ هذين الشرطين لم يتحققا في جميع المجتمعات وكل العصور[1]. بل إنَّ الشرطين المذكورين تحققا لبضع سنين على امتداد تاريخ القرآن الطويل، وكان الناس يأخذون الفهم الصحيح للقرآن من النبيّ ﷺ مباشرة، ويمتثلون إليه امتثالاً تامًّا، وهذه المرحلة من تاريخ القرآن يمكن أن تكون كاشفة عن حدوده.

إنَّ التاريخ يدل على أنَّ القرآن الكريم كشف عن فاعليته على أحسن وجه في هذه المدَّة، والمسلمون أصبحوا صفوة العالم في ظل العلم القائم على الفهم الصحيح للقرآن في جميع أبعاد الحياة الإنسانية، وبعد وفاة النبيّ ﷺ آل الأمر إلى أن يُفتقد أحد الشرطين أو كلاهما على نحوٍ دائم، وبالرغم من وجود الأئمة المعصومين ﷺ إلا أنَّ الناس لم يتمسكوا بهم أو يمتثلوا للقرآن، وأصبحت القيادة العلميّة والاجتماعيّة في أيدي من هم ليسو أهلاً لها ـ ما عدا بعض السنوات التي كانت القيادة فيها بيد الإمام علي ﷺ ـ وهؤلاء الذين ليسوا أهلاً لها انحرفوا عن مسيرتها، وأخذوا يهاجمون القرآن باسم القرآن.

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٩٨و ٩٩.

لقد ابتعد المسلمون عن أهداف القرآن، وبالنتيجة بدأ انحطاط المسلمين، وأخذت عظمتهم تتضاءل يومًا بعد آخر، ومع ذلك كان المسلمون في طليعة الأمم الأخرى في عدَّة قرون كانوا يعملون فيها تحت ظل القرآن وإنَّ كان ذلك على نحوٍ ليس متكامل، إنَّ غوستاف لوبون أحد علماء الغرب، ضمن اعترافه بالتفوق العلميّ للمجتمعات الإسلاميّة على المجتمعات الغربية خلال عدَّة قرون، قال:

لقد بقيت تراجم كتب العرب من اللغة العربية إلى اللاتينية ولاسيّما الكتب العلميّة، مصدرًا وحيدًا للتدريس في جامعات أوربا خمسة أو ستة قرون[١].

فهو يُعَدُّ عظمة الإسلام هذه تبلورت في ظل العلم بالقرآن والشريعة الإسلاميّة، ثمّ إنّ ول ديورانت أيضًا اعتبر الإسلام في طليعة العالم في خمسة قرون؛ أي منذ عام ٨١ وحتى عام ٥٩٧ هجري قمري، من ناحية القدرة والنظام واتساع نطاق الحكومة وتهذيب الأخلاق ومستوى المعيشة[٢].

لا ينبغي عدم نسبة النقص إلى البذر في كل الحالات بذريعة أنَّ البذر الجيد لابد أن يعطي ثمراً جيداً؛ لأنَّ البذر الجيد والطيب يحتاج إلى أرض مناسبة ورعاية جيدة؛ لكي تخرج منه شجرة مثمرة وطيبة يستلذ بثمرها الآكلون؛ ومن هنا يتوجب على البشرية توفير الأرضيّة المناسبة لبذرة القرآن الكريم، ورعايتها دائمًا لكي لا تُصاب بآفة من الآفات، فإذا تحقق هذا الأمر وظهرت بعض النواقص فبالإمكان حينذاك أن نسند هذه النواقص إلى القرآن الكريم ونحكم بعدم قدرته على حل المشاكل الدنيويّة، لكن وللأسف الشديد أنَّ سوء اختيار الإنسان أو إهماله هو الذي منع من زراعة تلك البذرة في الأرض المناسبة وتوفير الرعاية اللازمة لها.

---

(١) غوستاف لوبون، حضارة الإسلام والعرب، ص٧٧.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة أبو القاسم پاينده وآخرون، ج٤، ص٤٣٢.

النتيجة هي إنَّ منهج التفصيل التاريخي ليس له القدرة على كشف حدود القرآن الكريم بدقة، هذا أولاً.

وثانيًا: إنَّ هذا المنهج لا يمكنه أن يكون دليلاً على عدم صحة الرجوع إلى القرآن الكريم، أو يجعلنا مستغنين عن الرجوع إليه.

إنَّ ما قلناه لا يعني أنَّ الرجوع إلى تاريخ القرآن الكريم ليس فيه ثمرة أبدًا، فالنظرة التاريخية يمكن أن تصحح مقدار من فهمنا لحدود القرآن الكريم، حيث أنَّ ملاحظة الفشل في استخدام القرآن الكريم عمليًا تجعلنا مضطرين إلى أن نراجع استنتاجاتنا منه مرَّة أخرى، لعلنا نجد أنَّ فهمنا له كان خاطئًا.

لكن لو استنتجنا من نفس القرآن الكريم بأنَّه قد تطرَّق إلى مسألة الحكومة[١]. وأيَّدت ذلك السيرة النبوية والعلوية أيضًا، فلا يمكن بعد ذلك أن نفهم ما فهمه علي عبدالرزاق الذي ادعى بأنَّ القرآن الكريم لم يكن له رأي حول الحكومة[٢]، وقال: «لا تجد فيه «القرآن» ذكر لتلك الإمامة العامة والخلافة»[٣].

أو كما ادعى الصادق بلعيد، وقال: القرآن الكريم بصورة عامة يفتقد للصور السياسيّة المهمة، فلم تأتي كلمة سياسة واشتقاقاتها في القرآن الكريم ولو لمرَّة واحدة، كما لا يمكن العثور على كلمة دولة وحكومة وسلطة وخلافة أيضًا، إلى جانب ورود اشتقاقات هذه الكلمات فيه، مثل كلمة الحكم والسلطان والخليفة، إلا أنَّ مفاهيمها فاقدة للبعد السياسي، وهذا الأمر يدل على أنَّ القرآن لم يتعرَّض

(١) إنَّ هناك آيات قرآنية متعددة تشير إلى مفاهيم سياسية واجتماعية، وهو دليل على اهتمام القرآن بمسألة الحكومة والمسائل الاجتماعية، وقد ذكر بعضهم أنَّ هناك ٣٥ لفظة واشتقاقاتها تتحدث عن مفهوم السياسة في آيات القرآن الكريم (انظر: عباس علي عميد زنجاني، مبانى انديشه سياسى اسلام «مباني الفكر السياسي في الإسلام»، ص٢٢١ و ٢٤٣).

(٢) انظر: علي عبدالرزاق، الإسلام وأصول الحكم، ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥.

إلى المجالات السياسيّة والاجتماعيّة بالذات[١].

ثمّ إنّه إذا دلَّت الآيات والروايات على أنَّ حدود القرآن الكريم أوسع مما اكتشفه المفسرون والعلماء حتى الآن، فلا يمكن رفع اليد عن تلك الآيات والروايات وتضييق نطاق الحدود القرآنيّة، بل من اللازم أن نسعى أكثر من أجل الحصول على الفهم الصحيح من القرآن وإيجاد الأرضيّة اللازمة لتطبيق هذا الفهم، لا أن نلقي بتبعة جميع إخفاقات المسلمين على القرآن.

من مجموع ما بيَّناه حول المناهج الظاهريّة للدين يُعلم بأنَّه وإن كانت لهذه المناهج جوانب إيجابية، إلا أنَّها لم تكن أساليب كاملة لتعيين حدود القرآن، ولم تجعلنا نستغني عن الرجوع إلى القرآن والروايات لتعيين حدود القرآن؛ لذلك يلزمنا الرجوع إلى القرآن والروايات والبحث عن رأيهما حول حدود القرآن.

٢ ـ ٣. صحة استخدام المناهج الدينيّة في معرفة حدود القرآن:

بالتأكيد يمكن الاستناد إلى الآيات والروايات من أجل معرفة حدود القرآن الكريم، مع أنَّ بعضهم يدَّعي عدم إمكانية الاستناد إلى الآيات والروايات في تعيين حدود القرآن؛ لأنَّ فهمهما متعلق بتعيين التوقعات من القرآن والروايات وهو ما يتضح من خارج الدين.

إنَّ هؤلاء يعتقدون بأنَّ أي توقع من القرآن وامتلاك نظرية خاصة حول حدوده، يمكن أن يؤدي إلى فهم خاص من الآيات والروايات المتعلقة بذلك[٢]،

---

(١) الصادق بلعيد، القرآن والتشريع، نقلًا عن: مجلة البحوث الإسلاميّة، العدد ١و٢، السُنّة الثانية عشرة، ص٢٣٣.

(٢) عبد الكريم سروش، مدارا و مديريت (المداراة والإدارة)، ص١٣٥ ؛ صحيفة كيان، العدد ٢٣، ص١٦.

ولغرض إثبات هذه الدعوة يقومون بطرح مسألة عدم إمكانية تعيُّن معنى النصوص الوحيانيّة بعنوانها نصًّا[١]؛ لأنَّه إذا لم تكن لمعنى النص محدودية، فإنَّ فهم النص سوف لا تكون له محدودية أيضًا؛ لأنَّ العوامل التي تؤدي إلى الحد من معنى النص تؤدي إلى الحد من فهمه أيضًا، وعلى سبيل المثال قال بعضهم:

«العبارات ليست حُبلى لتلد، وإنَّما هي غرثى تهفو إلى ما يغذّيها من معاني»[٢].

فالنص في حقيقته وذاته أمر مبهم وليس له معان متعدّدة، ونحن في عالم النص والرمز نواجه العديد من الموارد الموجود فيها عدم التعيُّن هذا، وأنَّ المعنى الصحيح يتحقق عندما يتم تنقيح أساليب فهم النص قدر الإمكان، وليس مع القدرة على الوصول إلى المعنى الحقيقيّ للنص؛ لأنَّه لا يوجد معنىً حقيقي... وأنَّ معنى النص في النصوص المقدسة مطابق لمراد المؤلف؛ إذن فاللَّه أراد جميع المعاني التي يُمكن فهمها[٣]، هذا أولًا.

وثانيًا: أنَّهم يصرون على التأثير التام لتوقعات المفسر في فهم الآيات والروايات، وفي ضوء هذا الرأي يتصورون بأنَّ للتوقعات والفرضيات دور أساس في فهم الآيات والروايات، وكل فهم لها لابد أن يقترن بالتوقعات، وأنَّ البحث الكلامي هو الكفيل بذلك، فهو الذي يقول لنا ما الذي نبحثه من القرآن والروايات وما الذي لا نبحثه[٤].

---

(١) يمكن عرض عدَّة وجوه لمعنى النص: ١ـ المعنى الذي يمكن أن تكون له عبارة عند الالتفات إلى معاني الألفاظ وهيئة تركيبها. ٢ـ المدلول التصديقي؛ أي المعنى الذي يريد صاحب الكلام أن يوصله إلى الآخرين من كلامه. ٣ـ ما يفهمه المفسر من النص. والمراد من معنى النص في هذا البحث المعنى الثاني؛ أي مراد المتكلِّم.

(٢) عبد الكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٢٩٤.

(٣) عبدالكريم سروش، صحيفة كيان، العدد٤٠، ١٩٩٧م، ص٦ و١٧.

(٤) عبدالكريم سروش، قبض و بسط تئوريک شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٢٦٨.

بعبارة أخرى: إنَّ المتعلقات والتوقعات تكون دليلاً للمفسر[١]. وبالنتيجة لا نتمكن من الرجوع إلى القرآن نفسه والروايات للتوصل إلى حدود القرآن؛ لأننا نتوجه دائمًا إلى الآيات والروايات المرتبطة بحدود القرآن مع التوقع من هذه الحدود، ونوجه هذه التوقعات نحو ما نريد أن نفهمه من الآيات والروايات.

لقد تحدثنا بالتفصيل في محل آخر حول بيان ونقد مباني الآثار السلبية لنظرية «عدم تعيُّن معنى النص» ونظرية «تأثير التوقعات التام على فهم النص»، بالإضافة إلى الحديث عن تأثر هاتين النظريّتين ببعض آراء الغرب[٢]. وفيما يلي سنتعرَّض للبحث في هاتين المسألتين باختصار.

٢ـ٣ـ ٣. تَعيُّن معنى النص:

النص الوحياني نص لغوي يتكون من تتابع سلسلة منتظمة من مجموعة خاصة من الجمل، ويوجد لكل نص لغوي معنًى ظاهري ـ دلالة تصورية[٣] ـ ومعنًى حقيقي ـ دلالة تصديقية[٤] ـ وهذا المعنى متعيِّن ونهائيّ، وهو نفس مراد صاحب النص الخارج من ذهن المفسر، والسبب هو وضع الألفاظ للمعاني وأن تكون اللغة أمرًا عموميًّا واجتماعيًّا وليس خصوصيًّا وشخصيًّا.

---

(١) انظر: محمد مجتهد شبستري، هرمنوتيک كتاب وسنت (هرمونيطقيا الكتاب والسُنّة)، ص٤٥.

(٢) هزاره جامه ناموزون بر تن متن (ألف رداء مائل على بدن النص)، مجلة قبسات، العدد ٢٣؛ مجرى تأثير انتظارات بر فهم قرآن كريم و شرايط آن (مسلك تأثير التوقعات على فهم القرآن الكريم وشرائطه)، مجلة معرفت، العدد ٣٩.

(٣) المراد من المدلول التصوري هو المعنى الذي يخطر في ذهن المتكلم أو السامع العارف بمعاني الكلمات والقواعد الحاكمة على الهيئة والتركيبات عند سماع الكلام لأول مرَّة، مع الالتفات لمعاني الألفاظ والقواعد الحاكمة على الهيئة والتركيبات والقرائن المتصلة بالكلام، ويطلق على الدلالة التصورية «المفاد الاستعمالي» و «الظهور الابتدائي» أيضًا (انظر: عبدالكريم الحائري، درر الفوائد، ج١و٢، ص٣٥٩).

(٤) لقد قسَّم بعضهم الدلالة على ثلاثة أقسام، وهي: ١ ـ الدلالة التصورية. ٢ ـ الدلالة التصديقية، والتي تنقسم على قسمين: أحدهما الإرادة الاستعمالية والأخرى الإرادة الجديّة (انظر: محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، ج١، ص٧٦).

إنَّ هذا الأمر يجده كل شخص عند الرجوع إلى وجدانه والتأمل في آلية التفهيم والتفهم وحكمة اللغة وسبب نشوئها؛ ونتيجة لهذه الخصوصية يكون المعنى متعيِّن عند المتكلِّم وعند المفسِّر.

بعبارة أخرى إنَّ المعنى متعيِّن في مقام الاستعمال وفي مقام دلالة التعيُّن أيضًا؛ لأنَّه في غير هذه الصورة لا يمكن أن يتحقق التفاهم.

فضلاً عن ذلك، يلزم من الكلام السابق محذور النسبية في العلوم؛ ذلك لأنَّه على وفق ذلك يكون فهم أي شخص للنصوص صحيحًا بالنظر للمجموعة التي ينتمي إليها، وإن أظهر بأنَّ هذا الفهم هو خاطئ في موضع آخر، كما توجد في الأوساط الإسلاميّة إشكالات أخرى على هذا الرأي تنقض هذا الرأي أيضًا، من جملتها:

أولاً: الروايات التي تنهى عن التفسير بالرأي، وكذلك التأكيد على عرض الروايات على القرآن من أجل الحصول على المراد الواقعي من أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام، فمثلاً روي في الحديث القدسيّ الصحيح[١] أنَّ اللَّه تعالى قال للنبيّ محمد صلى الله عليه وآله: «ما آمن بي من فسَّر برأيه كلامي»[٢].

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٤].

---

(١) معجم الثقاة، ص٥ و٤٥و٧٩و١١٨و٣٧٩و٥٢٦و٧٩٣.

(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، المجلس الثاني، ح٣؛ وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٣٧.

(٣) محمد بن الحسن الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٤؛ أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، ج٥، ص٣١، ح٨٠ و٨٥؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص١٦، ح٢٩٨٥.

(٤) جلال الدين السيوطيّ، الجامع الصغير، ج٢، ص٦٢.

أما أمثلة ضرورة عرض الروايات على القرآن فمنها ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب اللَّه فما كان في كتاب اللَّه موجودًا حلالاً أو حرامًا فاتبعوا ما وافق الكتاب... »[١].

ثانيًا: عندما لا يوجد معنًى حقيقي، لا يمكن الحديث عن معنًى صحيح وفهم صحيح.

٢ ـ ٣ ـ ٢. عدم التأثير الكامل والدائم لتوقعات المفسر على فهم الآيات والروايات:

إنَّ ما يستفاد من الروايات وما صرَّح به المفسرون كذلك هو أنَّ تأثير توقعات المفسر على الفهم ليس حتميًّا ويمكن اجتنابه، وإن كان أصل تأثير توقعات المفسر على الفهم مقبولاً في الجملة، ولا يمكن الدفاع كثيرًا عن التأكيد على عدم التأثير بصورة مطلقة[٢]؛ لأنَّ هذا التأثير يتحقق من مسالك خاصة، هذا أولاً.

وثانيًا: علينا أن نبذل جهودًا متواصلة لمنع تأثير توقعاتنا على فهم الآيات والروايات، فإنَّ تأثير توقعات المفسرين على فهم الآيات والروايات هي من أشد الأضرار التي ابتلى بها فهمهما على مرِّ التاريخ، وقد اتخذت مسالك مختلفة لتأثير التوقعات على متابعة الآيات والروايات المتعلقة بحدود القرآن الكريم وفهمها، بعضها متعلق بالجمع، وبعضها متعلق بالفهم، وبعضها الآخر

---

(١) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٦٦.

(٢) قال سيد قطب في هذا الخصوص: إنَّ الطريق الصحيح هو أنَّ الإنسان العالم ينبغي أن يمحو من ذهنه المفاهيم المسبقة والافتراضات عند فهم وتفسير القرآن وفهم الرؤية الكونية، ويواجه القرآن بدون أي فرض (انظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٢٢٦)، وقال: إنني لا أبرئ نفسي، فلم أكن مصونًا في مؤلفاتي والأجزاء الأولى من هذا التفسير عن الخطر، لكنني أتطلع إلى إزالة هذا النقص في الطبعات اللاحقة، وما قدَّمته هو اعتقاد حق توصلت إليه بهداية الله (انظر المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٣٠ و ٣٧٣١).

متعلق بمقام الحكم، وسنقوم بدراسة كل من هذه المسالك بصورة مستقلة؛ لغرض تحديد المسلك الصحيح وكيفية تأثيره.

٢ـ ٣ـ ٢ـ ١. التأثير في مقام الفحص:

إنَّ كل شخص بحسب توقعاته من الآيات والروايات، يعدُّها المسؤولة عن الإجابة على مجموعة من الاستفسارات وعدم الإجابة على مجموعة أخرى؛ لذلك لو استنتجنا من البحوث النظريّة أنَّه يجب علينا أن لا نتوقع بأنَّ الآيات والروايات تبيِّن حدود القرآن، فسوف لا نبحث عن الآيات التي تبيِّن هذه الحدود[١].

٢ـ٣ـ٢ـ١ـ ١. نقد وتحليل:

إنَّ معقولية البحث عن موضوع ما في الآيات والروايات لا تتوقف على أن يكون ثابتًا في البحوث الكلامية مسبقًا، بأنَّ يكون للآيات والروايات كلام مسبق حول ذلك الموضوع، وهذا كما في علم الأصول حيث ثبت في مبحث شرط التمسك بأصل البراءة العقليّة بأنَّ صرف الاحتمال العقلائي بوجود كلام في القرآن الكريم والروايات حول مسألة، يجعل العالم بالنص مضطرًّا إلى البحث، لاسيّما في القرآن الكريم الذي هو: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، والأمر الآخر هو لا يمكن أن يدَّعي أحد بوجوب عدم البحث في الآيات والروايات خارج عن توقعات البشر من القرآن.

وتوضيح ذلك: أنَّه قبل البحث في الآيات والروايات المتعلقة بحدود القرآن، من الممكن أن نصل بالبحوث الخارجية إلى إحدى النتائج الأربع الآتية:

---

(١) عبد الكريم سروش، قبض و بسط تئوريک شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٢٦٨ و٣٩٠.
(٢) النحل/ ٨٩.

١ ـ يجب أن لا يكون للآيات والروايات كلام حول حدود القرآن.

٢ ـ عدم ضرورة أن يكون للآيات والروايات كلام حول حدود القرآن.

٣ ـ يجب أن يكون للآيات والروايات كلام حول حدود القرآن.

٤ ـ إنَّ البحوث الخارجية على الحياد فيما يتعلق بمسألة إمكانية أن يكون للآيات والروايات كلام عن حدود القرآن، أو وجوب ذلك، أم لا؛ وبالنتيجة نشك هل للآيات والروايات بيان حول حدود القرآن، أو لا؟.

من بين الحالات الأربعة المذكورة، يجب على العالم بالنص أن لا يبحث عن حدود القرآن في الكتاب والسُنّة عند تحقق النتيجة الأولى فقط، إلا أنَّ لبَّ المطلب هنا هو أنَّ الحالة الأولى لم تتحقق أبدًا، ولم يستدل أحد على أنَّ الآيات والروايات يجب لا يكون لها كلام حول حدود القرآن، بل يمكن أن ندّعي تعسر وقوع مثل هذا الأمر؛ ذلك لأنَّ العقل قادر على إثبات ضرورة البيان فقط وعاجز عن إثبات ضرورة عدم البيان.

أما بالنسبة لكل من الحالات الثلاثة الأخرى القابلة على التحقق، فيمكن من بها بل لابد من البحث في حدود القرآن في الكتاب السُنّة، وتبعًا للحالة الثانية وهي عدم ضرورة أن يكون للآيات والروايات كلام حول حدود القرآن، يبقى لدينا احتمال عقلائي وهو أن حدود القرآن يتم بيانها من باب التفضل، وهذا الاحتمال وحده كافٍ لإثبات ضرورة الرجوع إلى الآيات والروايات، وفي حالة وجود بيان للآيات والروايات حول معرفة حدود الوحي أو الشك في ذلك، فلابد من الأخذ بهذا البيان من باب أولى.

٢ـ٣ـ٢ـ٢. التأثير في مقام الفهم:

إنَّ تأثير التوقعات على فهم القرآن الكريم والروايات يمكن أن يُطرح من عدَّة مسالك، من جملتها:

٢ـ٣ـ٢ـ٢ـ١. التأثير المباشر:

قد يقال: إنَّ توقعات المفسر من الآيات والروايات وامتلاك نظرية خاصة حول حدود القرآن، يعطي لفهمنا عن الكتاب والسُنّة وجهة خاصة، ثمّ إنّ فهم النص لا يتحقق من دون وجود توقعات خاصة عنه.

إنَّ فهم كل نص لا يمكن أن يتيسر إلا أن يشخص من يراجع النص في بادئ الأمر ما الذي يتوقعه من الرجوع إلى النص، وما هي نوعية المطالب التي يشتمل عليها ذلك النص بالإجمال، وهذا الأمر لا يختص بالكتاب والسُنّة، بل هو شامل لجميع النصوص الأخرى.

فمن دون هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق أي نوع من الفهم، ومن يراجع الكتاب والسُنّة يجب أن يُشخِّص ما الذي يعلمه الوحي، وما هو الدور الذي فرضه لأجل ذلك في الحياة الإنسانية، وما هي المتطلبات التي يريد الحصول عليها بالرجوع إلى الكتاب والسُنّة[1].

بناء على ذلك، يتعذر علينا البحث حول حدود القرآن في الكتاب والسُنّة؛ لأننا سنبتلي بمشكلة الدور وهو: توقف فهم الآيات والروايات على ما نتوقعه من الآيات والروايات، وبالعكس.

---

(١) انظر: محمد مجتهد شبستري، «اقتراح»، مجلة نقد ونظر، العدد ١، ص٢١؛ عبدالكريم سروش، المداراة والإدارة، ص١٣٦.

نقد وتحليل:

إنَّ الكلام المتقدِّم هي دعوًى لم يُقام الدليل عليها، وفيها إشكالات[١].

١ ـ ليس من الضرورة أن يتوقف فهم القرآن والروايات بالضرورة على وجود التوقعات الخاصة منهما، بل توجد إمكانية للفهم من دونهما أيضًا؛ بسبب وجود العلاقة بين الألفاظ والمعاني التي غالبًا ما تُعبِّر عن مراد المتكلم؛ لذلك قالوا: إنَّ وقوع الأمر في الخارج هو أفضل دليل على إمكان تحققه، وقد وقع ما يشبه هذا الأمر فعلاً، ومثاله الواضح هو أنَّ المخاطبين بالقرآن الكريم الأوائل من المسلمين وغير المسلمين كانوا يفهمون كلماته بمقدار ما يمتلكون من قابليات من دون مسبقات ذهنية وتوقعات خاصة من القرآن الكريم، وفي ذلك الزمان لم تكن هناك علوم إنسانية ومدارس عقائدية خاصة لكي يدَّعي أحد بأنَّ فهمهم كان مستنداً إلى العلوم الخارجية والتوقعات الخاصة من القرآن.

والمثال الآخر، هو فهم المستشرقين لآيات القرآن الكريم الذين خلَّفوا لنا بحوثًا قيّمة في بعض الأحيان، وهذا يمكن أن يكشف بوضوح عن عدم صحة الدعوة المذكورة بوضوح.

٢ ـ لقد دعا القرآن الكريم حتى مخالفيه إلى التدبر في آياته، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢].

كما وبخ الأشخاص الذين يتغافلون عند سماع القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

---

(١) للتفصيل أكثر انظر: عبدالحسين خسروپناه، كلام جديد «الكلام الجديد»، ١١٢و١١٦؛ حميد رضا شاكرين، سكولاريزم «العلمانية»، ج١، ص١٣٨و١٤٠.

(٢) ص/ ٢٩.

(٣) البقرة/ ٨٨.

فلو لم يكن فهم القرآن الكريم ممكنًا من دون توقع خاص حول حدوده، لما كان هناك مبرّرٌ للدعوة إلى التدبر في آياته، وتوبيخ الأشخاص الذين يتغافلون عنها؛ لأنَّه على فرض التدبر، أنَّهم لم يكونوا يفهموا شيئًا على خلاف توقعهم.

بناء على ذلك، إنَّ إبطال توقف فهم الكتاب والسُنّة على التوقع الخاص منهما وامتلاك نظرية خاصة حول حدود القرآن يهدم أساس الدور الذي توهمه المستشكل؛ وعليه يمكن البحث عن رأي الكتاب والسُنّة الذي يكون مؤثرًا في التعرُّف على حدود القرآن قبل امتلاك نظرية في هذا المجال.

٢ـ٣ـ٢ـ٢ـ٢. التأثير عن طريق إيجاد السؤال:

من جملة الطرق الأخرى لتأثير التوقعات هو أنَّ التوقعات الخاصة تستتبع أسئلة خاصة، وهذه الأسئلة تعطي الكتاب والسُنّة وجهة خاصة، حيث أنَّ الفهم يبدأ بالسؤال دون أن تتحدث آيات القرآن تلقائيًّا عن نفسها[١]. بل يمكن التعرُّف على أحكامها ومعارفها عن طريق المعلومات وطرح الأسئلة[٢].

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هذا النوع من التأثير، هو غير التأثير في مقام الفحص؛ ذلك لأنَّ البحث هنا عن التأثير في الفهم بعد تأييد صحة البحث عن الموضوع المطلوب في القرآن والسُنّة.

نقد وتحليل:

لاشك أنَّ السؤال لغرض فهم النصوص الدينيّة مؤثّر كغيرها من النصوص الأخرى، وأنَّ الأسئلة الجديدة توجد بحوثًا جديدةً في الكتاب والسُنّة، أما أنَّ المسألة تصل إلى أن يعتمد فهمهما على الأسئلة بالكامل، بحيث لا يحصل أي

(١) محمد مجتهد شبستري، هرمنوتيك كتاب و سنّت (هرمونيطيقا الكتاب والسُنّة)، ص٢٢و٣١.

(٢) انظر: عبد الكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٢٦٤.

فهم ومعرفة مع عدم السؤال؛ فهو كلام غير وارد، فالكتاب والسُنّة لهما مفاد كلامي ومعرفي، والكلام والحديث ـ على رأيٍّ ـ هما أدوات لكشف مراد الشارع كالنظريّات الكاشفة لقوانين الطبيعة.

لا يصح تشبيه القرآن بالطبيعة، وبالتأكيد أنَّ ألفاظ القرآن والروايات باعتبارها حاكية عن مراد الشارع تدل في حد ذاتها على معناه ومفاده، وكما ذكرنا من قبل أنَّ الألفاظ في ظل وضعٍ وتعيُّن المعنى المراد للمتكلم حبلى بالمعاني، على خلاف النظريّة القائلة بأنَّ الألفاظ غرثى تهفو إلى ما يغذّيها من معاني.

إنَّ الشريعة بيِّنت مرادها عن طريق كلامها، وكسرت لجام الصمت؛ لذلك فالشريعة لا أنَّها لم تُلزم الصمت وحسب، بل تتحدث مع الآخرين كما لو أنَّ عالمًا يتحدث معهم أيضًا، فالتعرُّف على رسالتها ليست مرهونة بأسئلتنا، ومع وجود الشروط اللازمة يمكن التوصل إلى مرادها عن طريق الكتاب والسُنّة.

بناء على ذلك، إذا راجع شخص القرآن والروايات حتى ولو من دون أي سؤال، سيتمكن من التوصل إلى رأيهما حول حدود القرآن الكريم، والشخص الذي ليس له أي معرفة مسبقة بالدين الإسلاميّ ومن دون طرح أي سؤال ناجم عن توقعاته، عندما يفتح القرآن الكريم، وتواجهه الآية المباركة في أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، سيفهم بأنَّ هداية المتقين هي في حدود القرآن.

٢ـ٣ـ٢ـ٢ـ٣. التأثير عن طريق مسبقات الإيمان بالكتاب والسُنّة:

من جملة الطرق الأخرى المطروحة حول تأثير التوقعات على فهم القرآن الكريم، التأثير عن طريق مسبقات قبول الكتاب والسُنّة، فالتوقعات من الوحي التي تُشكِّل البحوث غير الدينيّة تُعيِّن مسبقات قبول الكتاب والسُنّة، وهذه

(١) البقرة/ ١.

المسبقات هي شرط فهم القرآن؛ ذلك لأنَّه عند الإيمان بأي أمر تتأسس في ضوء ذلك عقائد وأصول مبنائية كثيرة بحيث لا يمكن التخلي عنها بعد الوصول إلى الإيمان؛ لذلك سيكون فهم القرآن والروايات مع مبانيهما منسجمًا دائمًا، وهذه هي عين المباني التي تؤدي إلى الاختلاف في التفاسير أيضًا، ومن هنا لا يوجد لدينا فهم أبدًا ما لم يستند إلى هذه المسبقات، أو ينبع من هذه القاعدة والأساس[1].

نقد وتحليل:

لاشك أنَّ المسبقات المعرفية لقبول الكتاب والسُنّة هي عامل مؤثر فيهما بالجملة، وأنَّ الشخص المؤمن بأحقيّة القرآن والسُنّة لا يتمكن من قبول التناقض والتعارض بين مسبقاته المقبولة عن القرآن والسُنّة وبين فهمه لهما، ومن اللازم أن يحل هذا التعارض بنحو من الأنحاء؛ إلا أنَّ هذا أمر آخر في عرض فهم الوحي.

إنَّ علاقة فهم الوحي مع مسبقات قبوله ليس علاقة الشرط والمشروط؛ ذلك لأنَّ فهم القرآن المُشبع بمبادئه هي عملية مستقلّة بحد ذاتها، وأنَّه لابد أن ينسجم مع المقبولات الأخرى ـ ومن جملتها مسبقات قبول الوحي ـ عندما يصبح في عرضها فقط.

إنَّ ارتكاز فهم الكتاب والسُنّة على مسبقات قبول الحقانيّة، يعني عدم تحقق الفهم من دون هذه المسبقات، ويوجد فرق شاسع بين ابتناء فهم الكتاب والسُنّة على مسبقات قبول الحقانية وبين ضرورة رفع التعارض بين فهم الكتاب والسُنّة ومسبقات قبول الوحي، فنحن نؤيد ضرورة رفع التعارض، ولكن هذا غير

(١) انظر: عبد الكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٢٨١، ٣٥١.

ارتكاز فهم النصوص الدينيّة على مسبقات قبول الوحي؛ ولهذا السبب يمكن لكل شخص أن يفهم الكتاب والسُنّة مع امتلاكه للمقدمات اللازمة للفهم، مثل المعرفة باللغة العربية وبعض المقدمات المنطقيّة وأمثال ذلك، حتى لو لم يكن يؤمن بهما.

وكما ذكرنا سابقًا، أنَّ الباحثين غير المسلمين تمكّنوا من إنجاز بحوث عملية حول المعارف الإسلاميّة من دون أن يؤمنوا بحقانيتها، فمثلاً أنَّ العالم المسيحي قادر على أن يفهم من القرآن الكريم جيدًا بأنَّ هذا الكتاب الإلهيّ أشار إلى قصص بعض الأنبياء ﷺ.

إنَّ المسألة الأخرى الجديرة بالتأمل هي الجهود التي يبذلها الباحث المعتقد بحقانيّة الكتاب والسُنّة للتنسيق بين فهمه لهما وبين مسبقات قبولهما، فإنَّ هذه الجهود لا تصب دائمًا في صالح مسبقات الإيمان الحاصلة من المنهج غير الديني؛ لذلك فإنَّ هذه المسبقات ليست لها دور أساسي وتوجيهي في فهم الكتاب والسُنّة، بل أحيانًا يؤدي فهم الكتاب والسُنّة إلى تغيير وتصحيح في معتقدات ومسبقات الإيمان بهما.

فمثلاً، قد تكون مسبقات قبول الكتاب والسُنّة بالنسبة لشخص مبتنية على أنَّهما يجب أن لا يبينا حدود القرآن الكريم، لكنَّه عندما يراجع القرآن والسُنّة يعثر على آيات وروايات كثيرة تُصرِّح بحدود القرآن الكريم، وعندها لا يتمكن أن يغضّ النظر أو يرفع اليد عنها من دون دليل مقبول وقطعي ولمجرد التعارض أو ما يمتلك من مسبقات؛ لذلك تكون مراتب حدود القرآن متفاوتة بالنظر لظاهر الآيات والروايات أو نصيتها، وقوة المسبقات وضعفها ؛ ومن هنا فإنَّ مسبّقات الإيمان بحقانيّة القرآن والسُنّة ليس لها دور أساسي وتوجيهي في فهمهما، ولا تمنع من مراجعتهما للتوصل إلى معرفة حدود القرآن.

كما طُرحت مسألة العلاقة بين الإيمان وفهم الكتاب والسُنّة بصورة أخرى أيضًا بين علماء المسلمين، وهي: إنَّ القرآن لا يتجلَّى للقلب الخالي من نور الإيمان والعقل الملوث بالشرك وعدم الإيمان وما يترتب على ذلك من آثار؛ لأنَّ مثل هذا القلب المليء بالانحراف والفساد لا يسلم من الفساد في الآراء، ولا يتمكن أن يفهم مقاصد القرآن مباشرة وبحرية دون تدخل آرائه[١]. وقد ذكرت بعض الآيات أنَّ القرآن الكريم هو هدًى للمتقين، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

لاشك أنَّ الإيمان الصحيح برسالة القرآن الكريم وحقانيته مؤثر في فهمه؛ لكن ليس كما يدعي بعضهم بأنَّه لا يمكن الوصول إلى أي فهم من القرآن الكريم من دون ذلك؛ لأنَّ مراتب فهم القرآن هي:

١ ـ فهم المعاني والمراد من الآيات بالقرائن العقليّة والنقليّة.

٢ـ الحصول على هداية القرآن الكريم، والوصول إلى الإيمان الصحيح والكامل عن طريقه.

٣ـ الفهم الكامل للقرآن أعمّ من الظهر والبطن، وهو من خصائص المعصومين عليهم السلام.

فلا يشترط الإيمان، والاعتقاد الصحيح بالرسالة والأهداف للوصول إلى أعلى مراتب فهم القرآن؛ ذلك لأنَّ غير المؤمنين سوف لا يتمكنون حينذاك من فهم معارف القرآن بالرجوع إليه والفوز بالفلاح من خلال قبول الإسلام، فالقرآن الكريم قد دعاهم إلى الإسلام وإلى نفسه، وعرَّف نفسه بأنَّه الباعث على

(١) انظر: جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١١٩٨.
(٢) البقرة/ ٢.

الموعظة لجميع الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وفضلاً عما يحمله القرآن من هداية، فإنَّ ما يُبديه من تحدٍ يتنافى مع هذا الشرط أيضًا؛ ذلك لأنَّ التحدي والدعوة إلى الإتيان بمثله لا تصح إلّا إذا كان المنكرون للقرآن قادرين على فهمه.

٢ـ٣ـ٢ـ٣. التسليم بحجيّة مفاد الآيات و الروايات:

من جملة التأثيرات المطروحة للتوقعات من فهم الكتاب والسُنّة، التأثير عن طريق التسليم بحجّيتها، وتصديق أو تكذيب مفادها.

وبعبارة أخرى: أنَّ توقعاتنا هي التي تُعيِّن ما نفهمه من الآيات والروايات المتعلقة بحدود القرآن.

في ضوء هذا الكلام حتى لو وجد كلام في الكتاب والسُنّة حول حدود القرآن، وتعيَّن نوع هذه الحدود القرآنيّة، لا يكون ذلك حجّة علينا؛ ذلك لأنَّ هذا الكلام بحاجة إلى تفهيم، والحال أنَّ فهمنا مستند إلى نوعية توقعاتنا من الكتاب والسُنّة، فضلاً عن أنَّ هذه التوقعات تخضع للتحولات التاريخيّة دائمًا[٢].

إذن، حتى لو جاء كلام صريح حول حدود القرآن في الكتاب والسُنّة، فإنَّ دعوتهما في هذه الحالة لا يمكن أن تكون إلا مُبيِّن فقط؛ أي أنَّه يوفر لنا نظريات لغرض الإجابة عن تلك الأسئلة، وإن كان تحقق صدق وكذب وتعيين اعتبار وعدم اعتبار تلك النظريّات يُعلم من خارج القرآن والسُنّة[٣].

---

(١) يونس/ ٥٧.

(٢) عبد الكريم سروش، المداراة والإدارة، ص١٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٦.

بناء على ذلك، لا يمكن الرجوع إلى الكتاب والسُنّة أو إلى أنفسنا من أجل التوصل إلى حدود القرآن قبل وجود البحوث غير الدينيّة المتعلقة بذلك.

٢ـ٣ـ٢ـ٣ـ١. نقد وتحليل:

إنَّ الكلام السابق يشتمل على ثلاثة مدّعَيات، وهي:

١ ـ إذا كان هناك كلام حول حدود القرآن في الكتاب والسُنّة لابد أن يُفهم، والفهم متوقف على التوقعات.

٢ ـ إنَّ توقعاتنا من الكتاب والسُنّة تخضع دائمًا للتحولات التاريخية.

٣ ـ حتّى القضايا الدينيّة الصريحة حول حدود القرآن لا تقوم سوى بالتذكير، ومجرد إعطاء نظرية يتحقق إثبات صدقها وكذبها خارج حدود القرآن.

والظاهر أنَّ كل مطلب من هذه المطالب يمكن الإشكال عليه؛ ذلك لأنَّه:

أولاً: كما ذكرنا سابقًا أنَّ فهم الكتاب والسُنّة ليس مبنيًّا على توقعاتنا منهما.

ثانيًا: لقد ثبت في الأبحاث السابقة أنَّ حدود القرآن والسُنّة وقابليتهما ثابتة، وليست نسبية؛ بناء على ذلك ستكون توقعاتنا عنهما ثابتة دائمًا.

ثالثًا: إنَّ حاجة حجّية كل القرآن الكريم والسُنّة ـ ومن جملتها الآيات والروايات المتعلقة بحدود القرآن ـ إلى التحقيق حول صدقهما وكذبهما تصح إذا لم نكن نعتقد بهما، مع أننا نجد أنَّ كل مسلم يعتقد بحقانيّة الإسلام ولا يرتاب في صدق مدَّعَى الآيات والروايات.

إنَّ القرآن الكريم معجزة إلهيّة لا يوجد ترديد في صدق إدعائه ولا يحتاج إلى اختبار تجريبيّ، ثمّ إنّ حقّانيّة الروايات ثابتة أيضًا بثبات حقانيّة القرآن الكريم؛

بناء على ذلك، إذا دلَّ الكتاب والسُنّة على حدود القرآن على وفق القواعد الصحيحة للحوار فسيكونان حجة، وهذه هي حدود القرآن.

النتيجة: اتضح لنا من الأبحاث السابقة أنَّ امتلاك التوقعات الخاصة عن الكتاب والسُنّة ليس له تأثير تام على فهم الآيات والروايات المتعلقة بحدود القرآن، ولا يمكن أن يكون مانعًا من الرجوع إلى الكتاب والسُنّة في هذا المجال؛ وعليه يمكن - بل يجب - الرجوع إلى الكتاب والسُنّة من أجل التوصل إلى معرفة حدود القرآن.

٢-٣-٢-٤. حجية جواب المنهج الديني في باب حدود القرآن:

إنَّ ما نفهمه من القرآن الكريم والروايات حول حدود القرآن على وفق المنهج الصحيح يُعدُّ حجّةً، ويحكي عن الواقع، وأنَّ وحيانيّة القرآن وإعجازه يُثبت حجيّته، فلا يحتاج إلى دليل آخر لإثبات هذه الحجيّة، بينما حجيّة السُنّة لابدّ من إثباتها بالدليل، وبالإمكان أن نستدل على هذا الأمر بدليلين أحدهما: قرآنيٌّ، والآخر: عقليٌّ.

٢-٣-٢-٤-١. الدليل القرآني:

توجد آيات متعدّدة في القرآن الكريم تؤكِّد على لزوم الامتثال إلى أمر النبيّ ﷺ ووحيانيّة كلامه، ومن جملة ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾[2]،[3].

---

(١) الحشر/ ٧.

(٢) النساء/ ٦٤.

(٣) أنظر: آل عمران/ ٣٢؛ النساء/ ٨٠؛ النجم/ ٣ و٤.

من خلال تتبع الآيات التي أمرت بإطاعة النبيّ ﷺ يُعلم أنَّ اتِّباع أوامر ونواهي رسول اللَّه ﷺ هي طاعة للَّه وهي طاعة شاملة في جميع المجالات.

٢ـ٣ـ٢ـ٤ـ٢. الدليل العقليّ:

إنَّ الأدلّة العقليّة التي تُثبت ضرورة الوحي والنبوة وعصمتهما، تُثبت حجيّة قول رسول اللَّه ﷺ أيضًا؛ ذلك لأنَّه عندما يثبت وجوب بعثة أحد الرسل من قبل اللَّه فسيثبت بأنَّه مصون من الخطأ والاشتباه، ويثبت بأنَّ هناك شخصًا قد أتى بالمعجزة بوصفه شاهدًا على أنَّه رسول اللَّه، أو أنَّ النبيّ الذي كان قبله اعترف بنبوته، وسيكون قوله وفعله وتقريره حجة على الآخرين، فضلاً عن أنَّ سنة رسول اللَّه ﷺ إذا لم تكن حجّة فسيتعذر حينذاك الاستفادة من القرآن بصورة صحيحة؛ وبالنتيجة إنَّ مصدر الأحكام الشرعية سيصبح شحيحًا جدًا.

وبثبوت حجّية سنة رسول اللَّه ﷺ يمكن الاستدلال على حجية سنة أهل البيت عليهم السلام أيضًا، وذلك بوساطة الآيات أو تفسيرها من قبل النبيّ ﷺ أو من الروايات الصادرة عنه، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وقد وردت روايات كثيرة عن النبيّ الأكرم ﷺ في تفسير هذه الآية الشريفة تدل على أنَّ مصداق «أهل البيت» و «أولي الأمر» هم الأئمة عليهم السلام[2].

كما وردت عن النبيّ الأكرم ﷺ روايات تُثبت حجية سنّة الأئمة المعصومين عليهم السلام، من أشهرها حديث الثقلين، حيث قال ﷺ: «إنِّي تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللَّه حبل ممدود

(١) الأحزاب/ ٣٣.

(٢) انظر: علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين، ج٤، ص٤٩٧ ـ ٥٠٨.

من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وأنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١].

على هذا الأساس، إذا بَيَّنت روايات النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام حدود القرآن الكريم فهي تحكي عن الواقع، لكن يجب الالتفات إلى أنَّ السُنّة ليست في عرض القرآن، بل في طوله، والسُنّة التي تكون حجّة هي التي لا تكون مخالفة للقرآن[٢].

بناء على ذلك سنستخدم المنهج الديني في هذا البحث من أجل تعيين حدود القرآن الكريم، حيث سنتناول البحث حول الآيات والروايات المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم أولاً، ثمَّ نذكر بعض الآيات كشواهد على المجالات المختلفة من خلال البحث في القرآن الكريم، وبالتأكيد سنتوسل بالأدلّة العقليّة أيضًا إذا لزم الأمر.

٣ـ النظريّات:

كما علمنا سابقًا أنَّ علماء المسلمين والمفسرين كانوا ولا يزالون يهتمون بمسألة حدود القرآن وجامعيّته، وقد استخدم أغلب المفكرين ـ ما عدا بعض الباحثين المعاصرين ـ المنهج الديني للاستفادة من الآيات والروايات، وطرحوا هذه المسألة في تفسير الآيات المتعلقة بجامعيّة القرآن لاسيّما قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، وذكروا لها استنتاجات وتفاسير مختلفة، ويمكن تقسيم أصحاب هذا الرأي في هذه المسألة على الطوائف الآتية:

٣ـ ١. طائفة تؤيّد إلى حد ما إطلاق آيات الجامعيّة، وقد طرحت هذه الطائفة آراء متعدّدة، من جملتها:

---

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٠٦، باب ٧.

(٢) انظر: بحث حجية السُنّة من كتب أصول الفقه الشيعي، محمد إبراهيم جناتي، مصادر الشيعة الفقهية، ص٧٥ و ١٧٥.

(٣) النحل/ ٨٩.

١ ـ. إنَّ ظاهر إطلاق الآيات هو المراد؛ أي إنَّ القرآن الكريم يشتمل على جميع الأحكام والمعارف والعلوم، وتتفرع منه جميع علوم الأولين والآخرين[١].

قال ابن مسعود: إنَّ اللَّه تعالى أنزل في القرآن جميع العلوم، وبيِّن لنا كل شيء؛ لذلك يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]،[٣].

٢ـ إنَّ القرآن الكريم يدل على كل شيء بالإشارة، ويدل على الأمور المتعلقة بالهداية بالدلالة اللفظيّة؛ لأنَّه كتاب هداية، ويمكن أن يدل على كل شيء بالإشارات أو بأمر آخر[٤].

٣ـ إنَّ القرآن الكريم هو تبيان لكل شيء؛ لكونه يمتلك الباطن وهو ما أشارت له روايات متعدّدة بعضها صحيحة[٥]، وأنَّ بعض الأشخاص العاديين عاجزون عن الوصول إلى جميع ما في القرآن من معارف؛ نتيجة للظلمات التي يعيشون فيها وعدم تمتعهم باللياقة اللازمة[٦]، ما عدا النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، فهم قادرون على الوصول إلى جميع ذلك، هذا فضلاً عن أنَّ ظاهر القرآن يتحدث عن الدنيا والآخرة والأحكام والأخلاق والمعارف.

٤ـ إنَّ القرآن بالإجمال هو تبيان لكل شيء، وتفصيله يقع على عاتق النبيّ

---

(١) انظر: محي الدين بن عربي، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، ج٢، ص٧٧و٧٨؛ جلال الدين السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، النوع ٦٥، ص٣٣؛ أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص٨؛ إلا أنَّ الغزالي في إحياء العلوم يعتقد بأنَّ القرآن الكريم قد أشار إلى أصول وكليات العلوم؛ انظر: (إحياء العلوم، ج١، ص٢٨٩).

(٢) النحل/ ٨٩.

(٣) انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٩٠.

(٤) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١٢، ص٣٣٤.

(٥) انظر: جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٧٤ـ ٧٧.

(٦) انظر: عبدالله جوادي آملي، تسنيم، ج١، ص٢٢٦؛ محمد الصادقي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسُنّة، ج١٤، ص٤٤٨؛ محمود رجبي، مجلة معرفت، العدد ٦، السُنّة الثانية، ص١٠؛ صادق لاريجاني، انتظار بشر از الدين (توقع البشر من الدين)، غير مطبوع، ص١٥٧.

الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام[١] وهذا ما ذهب إليه الشيخ الطوسي والزمخشري.

٣ـ٢. الطائفة الأخرى من المفسرين وعلماء المسلمين لم يؤيدوا إطلاق الآيات، وقيّدوا ذلك إلى حد ما، وهذه الطائفة لها نظريات متعدّدة أيضًا، منها:

١ـ إنَّ حدود القرآن متعلّقة بالأحكام الدينيّة؛ أي الحلال والحرام والأوامر والنواهي الإلهيّة، وهذا الرأي ذهب إليه ابن عباس[٢].

٢ـ جامعيّة القرآن تتعلق بالأمور الخاصة بالهداية، وقد أيَّد أغلب المفسرين والمفكرين المعاصرين وبعض المفسرين الماضين هذا القول المتعلق بحدود الأحكام والمعارف الإلهيّة[٣].

٣ـ٣. إنَّ بعضهم ومن خلال التوسل بالمنهج غير الديني يعدُّون نطاق القرآن الكريم محدودًا جدًا، وأطلقوا على ذلك اصطلاح: «الحد الأدنى»[٤].

---

(١) محمد بن الحسن الشيخ الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، شرح الآية ٨٩ من سورة النحل؛ محمود بن محمد بن محمد الزمخشريّ، الكشاف، ج٢، ص٤٨١ و٥١٦؛ محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٦٠.

(٢) انظر: أبو طاهر يعقوب فيروزآباديّ، تنوير المقياس عن تفسير ابن عباس، ص٢٢٩؛ ثمّ إنّ جلال الدين السيوطيّ ذكر ما يشبه هذا الأمر في الدر المنثور، ج٤، ص٥٨٩.

(٣) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مجمع البيان، ج٥ و٦، ص٥٨٦؛ فخر الدين الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج٢، ص٩٨ ؛ أبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص٥٨٢؛ محمود الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٢١٦؛ رشيد رضا، المنار، ج٧، ص٣٩٥؛ محمد بن طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٥٣؛ محمد بن عبدالحق بن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٤٥٢؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج١و٣، ص٤٠٦؛ ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١١، ص٣٦١؛ ولكن جاء في الجزء ١٠، الصفحة ١٠١: (إنَّ كل ما يتعلق بسعادة الإنسان يوجد في القرآن)؛ محمد هادي معرفت، مجلة نامه مفيد، العدد ٦، ص٥ـ٧.

(٤) انظر: علي عبدالرزاق، الإسلام وأصول الحكم، ص٢٥؛ عبدالكريم سروش، گفت وگوی زبان قرآن (الحوار في لغة القرآن)، مجلة فراره، العدد ١، السُنّة الأولى، شتاء ١٩٩٨، ص١٢.

الفصل الثالث
الأدلّة العقليّة لحدود القرآن الموضوعيّة

الأدلّة العقليّة لحدود القرآن الموضوعيّة

لقد مرَّ بنا عند البحث في مناهج الكشف عن جامعيّة القرآن الكريم، أنَّ المنهج غير الديني من جملة المناهج المطروحة في باب معرفة حدود القرآن الكريم، وأنَّ منهج الاستدلال بالأدلّة العقليّة على جامعيّة القرآن الكريم هو أحد هذه الأساليب التي سنتناول البحث حولها في هذا الفصل.

ومرادنا من الدليل العقليّ في هذا المبحث الدليل الذي لا تُستنتج مقدماته من الآيات والروايات على نحوٍ مباشر، وهذه الأدلّة هي:

١ ـ حاجة الإنسان للوحي وحدود القرآن:

إنَّ ضرورة الوحي من جملة الأدلّة التي يمكن أن نطرحها حول معرفة حدود القرآن الكريم؛ أي الدليل نفسه الذي يُثبت بأنَّ الإنسان بحاجة إلى الوحي والقرآن في الإجابة على المسائل، وهذا الدليل يُعيِّن حدود القرآن الكريم أيضًا[1].

(١) إنَّ ما سيأتي مفصلًا هو أنَّ بعض المفسرين يعتقدون بأنَّ جامعية القرآن متعلقة بالأمور الخاصة بالهداية، ويقيِّدون إطلاق الآيات وشموليتها؛ وذلك مع الأخذ بنظر الاعتبار نطاق حاجة الإنسان للقرآن.

إنَّ الحكماء والمتكلمين[١]، وعلماء المسلمين الآخرين، استدلّوا على حاجة الإنسان إلى التعاليم الوحيانيّة، وضرورة الوحي من طرق مختلفة[٢].

١ ـ ١. ضرورة القانون، وتطبيقه الصحيح، والحاجة إلى القرآن:

إنَّ طائفة من علماء المسلمين من أجل إثبات ضرورة الوحي يؤكِّدون على اجتماعيّة الحياة الإنسانية مع عدم قدرة البشر على وضع القوانين وتطبيقها[٣]، والمبتكِر لهذا المنهج هو الفارابي[٤]، وأنَّ ابن سينا[٥] هو أوّل من طرح هذا المنهج بصورة استدلال منظَّم، وأيَّده بعض الحكماء الآخرين وقاموا بإكماله، ومنهم: شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي[٦]، وملا صدرا الشيرازي[٧]، والفيض الكاشاني[٨]، والعلامة الطباطبائي، وقد اشتهر هذا الاستدلال باسم «دليل الحكماء».

---

(١) إنَّ بعض المعتزلة يعدُّون نزول الوحي ضروريًّا إذا كان حسنًا، قال القاضي عبدالجبار: «إنَّ البعثة متى حسنت وجبت، على معنى أنَّها متى لم تجب قبحت لا محالة» (القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٥٦٤).

(٢) لقد جاءت استدلالات أخرى أيضًا في الكتب الكلامية، سنغض النظر عنها، مثل الاستدلال عن طريق حاجة الإنسان إلى مطلق المعرفة الذي يُنسب للإسماعيلية، أو الاستدلال عن طريق ضرورة هداية الأمور المتعلقة بالفطرة وتعديل الغرائز (جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص٣٩-٤٧)، إلا أنَّه لم يهتم أي من هذه الاستدلالات بجميع أبعاد حاجة الإنسان للوحي.

(٣) إنَّ طائفة من المفكرين يعتقدون بأنَّه على الرغم من أنَّ بعضهم قد ذكر الدليل السابق واستخدم لفظة قانون، فمع ذلك أكَّد على المعرفة وأمثالها أيضًا؛ لذلك فإنَّ مرادهم من القانون هو المعنى الأعم من المعارف والقيم الأخلاقية والقوانين الاصطلاحية (محمود رجبي، جامعية القرآن الكريم، كراسة دراسية، الدرس الأول).

(٤) من عام ٢٥٧ إلى ٣٣٩ هـ. ق.

(٥) من عام ٣٧٠ إلى ٤٣٨ هـ. ق.

(٦) شهاب الدين السهروردي، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، صححه وقدَّم له هنري كربين، ج١، ص٩٥ و٩٦؛ وكذلك في كتاب اللمحات الذي جاء ضمن سلسلة تحت عنوان: سه رساله شيخ اشراق «ثلاثة رسائل لشيخ الإشراق»، انظر: (ثلاثة رسائل لشيخ الإشراق، تصحيح نجف قلي حبيبي، طهران: لجنة الفلسفة الإيرانية، ١٢٩٧ق، ص١٧٢).

(٧) ملا صدرا، الشواهد الربوبية، تصحيح جلال الدين آشتياني، ص٣٥٩ و ٣٦٠؛ ترجمة وشرح الشواهد الربوبيّة، جواد مصلح، ص٤٩١.

(٨) محسن الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين، ج١، ص٣٣٨ و ٣٣٩.

لقد كان الفارابي يعتقد بأنَّ الناس خُلقوا وهم بحاجة إلى الحياة الاجتماعيّة، إلا أنَّهم ليسوا قادرين على تدوين وتطبيق القوانين التي تحفظ المجتمع من الانهيار[١].

إنَّ هناك طرق مختلفة لاستقرار النظام القانوني في المجتمع، إلا أنَّ استقرار تأسيس المدينة الفاضلة يحتاج للوحي، قال الفارابي بخصوص حاكم المدينة الفاضلة:

«ومثل هذا الإنسان هو الذي ينبغي أن يقال فيه إنَّه يوحى إليه، فإنَّ الإنسان إنَّما يوحى إليه إذا بلغ هذه الرتبة من الكمال؛ لكي تكون له قدرة على تقدير الأشياء والأعمال وتحديدها وتسديدها نحو سعادته»[٢].

إنَّ ابن سينا تعرَّض إلى هذه المسألة في «الإلهيّات» من كتاب الشفاء، والنجاة،[٣] والنمط التاسع من الإشارات والتنبيهات، ففي الإلهيّات من كتاب الشفاء أثبت بالتفصيل ومن خلال بيان سبعة مقدمات، أنَّ من المحال أن لا يوفّر اللّه تعالى الأرضيّة لوجود الإنسان المُقنن الأفضل والمطبِّق للعدالة والمؤيَّد بالوحي في المجتمع الإنساني؛ إذاً، إنَّ نزول الوحي على بعض الناس يكون ضروريًّا[٤].

إنَّ العلامة الطباطبائيّ أضاف إلى استدلال الحكماء قوَّة وكمالاً واستحكامًا أكثر، ودفع الإشكالات الواردة على كلام الحكماء، ويمكن تنظيم كلامه بحسب الصورة الآتية:

---

(١) أبو نصر محمد الفارابّي، انديشه هاى اهل مدينه فاضله (أفكار أهل المدينة الفاضلة)، ترجمة جعفر سجاديّ، ص٣٥١ـ٣٥٣.

(٢) انظر: أبو نصر الفارابّي، السياسة المدنية، ترجمة وحاشية سيد جعفر سجاديّ، ص١٥٦.

(٣) ابن سينا، النجاة، ص٤٩٨ ـ ٥٠٢.

(٤) ابن سينا، الشفاء، الإلهيّات، ص٤٤١ ـ ٤٤٣.

مقدمات:

١ـ إنَّ نظام الخلقة وجد لغرض هداية كل موجود نحو كماله النوعي بالضرورة، ومن جملة ذلك الإنسان.

٢ـ إنَّ الإنسان بطبعه يتصف بحبِّ الذات، ويُسخِّر كل شيء لأجل نفسه، وتشمل دائرة تسخيره أفراد نوعه أيضًا.

٣ـ إنَّ الإنسان مضطر للاجتماع؛ لأنّه مُسَخِّرًا بالطبع.

٤ـ إنَّ حبَّ الذات لدى الإنسان، وسعيه نحو الأفضلية، وكونه مُسَخِّراً للغير أدى إلى ظهور الاختلاف والصراع في المجتمع.

٥ـ إنَّ نظام الخلقة يقتضي رفع هذا الاختلاف؛ لكي يصل الإنسان إلى الكمال.

٦ـ إنَّ القوى البشرية عاجزة لوحدها أن تضع القوانين اللازمة لرفع الاختلاف.

٧ـ يجب أن يمتلك الإنسان مصدرًا للعلم وطريقًا آخر للكشف؛ ليتمكن من كشف القوانين اللازمة أو وضعها من أجل رفع الاختلاف. «نتيجة للمقدمة ٥ و٦».

٨ـ إنَّ النوع الآخر للإدراك والشعور هو الوحي فقط الذي يعدُّ من اختصاص **الأنبياء** عليهم السلام.

النتيجة: إنَّ إنزال الوحي من قبل اللَّه ضروريّ لرفع الاختلاف بين المجتمعات البشرية، وتوفير الأرضيّة لوصول الناس إلى الكمال[1].

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٣؛ الشيعة في الإسلام، ص٨٠ ـ ٨٣؛ مباحثى در وحى و قرآن (بحوث حول الوحي والقرآن)، ص٥١ ـ ٥٥؛ أحد فرامرز قراملكي، فلسفه تاريخ در قرآن (فلسفة التاريخ في القرآن)، ص٣٣ ـ ٣٤.

١ ـ ١ ـ ١. نقد وتحليل:

لقد أورد المفكرون على دليل الحكماء إشكالين أساسيين، وهما:

١ ـ على أساس هذا الاستدلال سيكون الإنسان البدائيّ مستغنيًا عن الوحي؛ ذلك لأنَّه لم يتم تأسيس مجتمع آنذاك حتى يكون محتاجًا إلى القوانين والشخص الذي يقوم بتنفيذها، ومن ثمَّ إلى الوحي تبعًا لذلك.

٢ ـ لقد طُرح للوحي تفسيرٌ دنيويٌّ، وقد اعتبر أبو حامد الغزالي[١] هذا التحليل عاملاً لإضعاف عقيدة الناس وإيمانهم[٢]، وابن خلدون ضمن تأييد هذا الإشكال ذكر نماذج من حياة جماعية كان لها نظام مع عدم وجود الحكومة القائمة على أساس الوحي[٣]، وقال الخواجة نصير الدين في شرح كلام ابن سينا:

ليس الأمر كما يتصور بعضهم من أنَّ الإنسان غير قادر على إقامة حياته من دون ذلك «الوحي والنبوة»، بل إنَّه غير قادر على تحقيق الصلاح الدنيويّ والأخرويّ العام من دونهما، فالناس يتمكنون من الحفاظ على نظامهم الاجتماعي بنوع من السياسة وإن كانت غير شرعية، مثلما نجد أنَّ بعض المجتمعات هي كذلك[٤].

---

(١) من عام ٤٥٠ إلى ٥٠٥هـ.ق.

(٢) أبو حامد الغزالي، شک و شناخت (المنقذ من الضلال)، ترجمة صادق آينه وند، ص٥٦ـ ٥٧، فهو بالإضافة إلى الإشكال السابق، اعتبر استخدام العقل في إثبات ضرورة النبوة والوحي أمرًا خاطئًا من الأساس، وكان يقول: «إنَّ مسألة ضرورة الوحي ليست مرهونة بالأمور المنطقيّة العقليّة، بل يجب الوصول إلى الوحي والنبوّة عن طريق الشرع، مثلما كان منهج السلف والأمَّة الإسلاميّة هو كذلك أيضًا، وأنَّ نفس دليل الحاجة إلى الوحي هو دليل على ضرورة العبادة والابتعاد عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات».

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص٤٣ و ٤٤ و ٨٠.

(٤) أبو علي حسين بن عبدالله ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تعليقة الخواجة نصير الدين وفخر الرازيّ، ج٣، ص٣٧٤.

لاشك أنَّ التحليل الدنيوي للدين هو أمر خاطئ؛ لأنَّه على أساس ذلك سوف تقتصر حاجة الإنسان بالوحي على الأمور الاجتماعيّة، ثمّ إنّ جامعيّة القرآن سوف تقتصر على هذه الأمور أيضًا، ولكن يجب الالتفات إلى أنَّه وإن عُدَّ لزوم الحياة الاجتماعيّة العأدلّة وعدم قدرة البشر على توفيرها هو السبب في الحاجة للوحي، في ضوء ظاهر استدلال الحكماء هذا، لاسيّما كلام ابن سينا في الإشارات، إلا أنَّ بعضهم قد ذكر بعض الفوائد والأهداف الأخرى للوحي أيضًا، وإلى جانب بيان القانون أكَّد على المعرفة والمعنويّة كذلك[١].

وكما أشار الشهيد مطهريّ أيضًا،[٢] وعدَّ ابن سينا في باب «الجنة والسعادة العقليّة» فصلاً قبل مبحث ضرورة النبوّة، وكذلك في الإلهيّات من كتابيه الشفاء والنجاة، لغرض بيان فوائد أخرى للوحي والنبوة من جملتها معرفة اللّه وهداية الناس[٣]. وقال في كتابه العرشيّة:

إنَّ معرفة النفس من العلوم الصعبة، بقي الفلاسفة عاجزين عنها بالرغم من قوة فكرهم وسعة بحثَهم؛ ذلك لأنَّ هذا العلم لا يحصل إلّا من مشكاة النبوة ونور الوحي والرسالة[٤].

ثمّ إنّ العلامة الطباطبائيّ ﵀ أكَّد أيضًا في كتاباته المختلفة على الحياة الأخروية للإنسان وجامعيّة الوحي، إذ قال:

---

(١) انظر: محمود رجبي، جامعيت قرآن (جامعيةالقرآن)، كراسة دراسية، مقدمة لمرحلة الدكتوراه فرع العلوم القرآنيّة في مؤسسة الإمام الخمينيّ ﵀ للدراسة والبحث، الدرس الأول.

(٢) مرتضى مطهريّ، مجموعة الآثار، ج٧، شرح الإشارات، ص١٢٢.

(٣) ابن سينا، الشفاء، الإلهيّات، ص٤٤٢.

(٤) انظر: ابن سينا، الرسالة العرشية: ص٢٣٤.

«إنَّ الدين كما مرَّ لم يعدُّ في تشريعه مجرد الكمال الماديّ الطبيعيّ للإنسان، بل اعتبر حقيقة الوجود الإنسانيّ، وبنى أساسه على الكمال الروحي والجسمي معًا، وابتغى السعادة الماديّة والمعنويّة جميعًا»[١].

فمن مجموع كلام الحكماء حول النبوّة، يمكن التوصل إلى أحد الأمرين الآتيين:

١ـ إنَّهم يؤكدون على حياة الناس الاجتماعيّة في باب الضرورة العقليّة للوحي، ولكنَّهم يعتقدون بوجود فوائد أخرى للقرآن أيضًا، ويعدُّون توفير الأرضيّة لكمال سعادة البشر من آثار حدود الوحي.

٢ـ مرادهم من الحياة الاجتماعيّة في الاستدلال على ضرورة الوحي، الحياة الحقيقيّة للمجتمع الإنساني التي تنمو فيها المعنويّة، ولا يؤكدون على كل نوع من الحياة الاجتماعيّة[٢].

وبالنتيجة، على وفق هذا التقرير عن ضرورة الوحي تكون جميع الأمور الضروريّة للحياة الحقيقيّة جزءًا من حدود القرآن الكريم، وعليه فإنَّ هذا الدليل لم يُعيِّن حدود القرآن بصورة دقيقة، ولابد من الرجوع إلى القرآن والروايات لكشف ذلك.

١ـ ٢. المعرفة والسير إلى اللَّه والحاجة للقرآن:

إنَّ العرفاء في مسألة إثبات ضرورة الوحي يؤكِّدون على معرفة اللَّه والسير نحوه، ويعدُّون المعرفة والسير والسلوك إلى الباري تعالى هي غاية وجود الإنسان، وهي على أربعة مقامات:

---

(١) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٣٣.

(٢) انظر: جوادي آملي، ده مقاله پيرامون مبدأ و معاد (عشر مقالات حول المبدأ والمعاد)، ص٢٦٣ و ٢٦٤.

١ ـ السفر من الخلق إلى الحق: وفي هذا السفر يرفع المسافر الحجب الظلمانيّة والنوريّة التي بين السالك وبين حقيقته التي هي معه أزلاً وأبدًا.

٢ ـ السفر من الحق إلى الحق بالحق: وفي هذا السفر يشاهد السالك جميع كمالاته فيعلم الأسماء كلّها إلا ما استأثره عنده فتصير ولايته تامةً.

٣ـ السفر من الحق إلى الخلق بالحق: وفي هذا السفر يسافر السالك في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت ويشاهد هذه العوالم كلَّها بأعيانها ولوازمها ويحصل له حظ من النبوة، لكن ليس له نبوة التشريع بل يجب أن يأخذ الأحكام والشرائع من النبيّ المطلق، إلا أنَّه يتمكَّن من أن ينبئ عن أسماء اللَّه وصفاته فقط.

٤ ـ السفر بالحق في الخلق: وفي هذا السفر يشاهد السالك الخلائق وآثارها ولوازمها فيعلم مضارّها ومنافعها في العاجل والآجل يعنى في الدنيا والآخرة، ويصل إلى مقام تلقي الوحي[١].

إنَّ هذه الأسفار الأربعة مترتبة على بعضها، ويجب أن يوجد بين الناس شخص أو أشخاص يصلون إلى المرتبة الرابعة؛ لكي يتحملوا مسؤولية قيادة قافلة السلوك، وهذا الشخص هو النبيّ المؤيَّد بالوحي؛ بناء على ذلك، يكون الوحي ضروريًّا؛ لكي لا يبقى الناس بلا قائد في السير والسلوك إلى اللَّه ويُحرمون من المعرفة الإلهيّة والتعرُّف على المنافع والمضار[٢].

إنَّ سيد حيدر الآملي، هو أحد العرفاء البارزين في القرن الثامن الهجري، اعتبر ضرورة الوحي ناجمة عن العلم بالحقائق الإلهيّة والإخبار عنها، وقال:

---

(١) انظر: محمد صدر الدين الشيرازيّ، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج١، ص١٣، التعليقة.

(٢) ملا عبدالرزاق فياض لاهيجي، گوهر مراد، ص٣٦٢ و ٣٦٣؛ ملا عبدالرزاق فياض لاهيجي، نص النصوص في شرح فصوص الحكم، محي الدين بن عربي، ص١٤٨.

«اعلم أنَّ النبوة عند هذه الطائفة، هي الإخبار عن الحقائق الإلهيّة؛ أي: معرفة ذات الحق تعالى وصفاته وأحكامه»[١].

وهذا التحليل عن ضرورة الوحي والنبوّة جاء في كلام عرفاء آخرين، فقد قال الإمام الخمينيّ قدس سره في هذا المضمار: «إنَّ تمام مقاصد الأنبياء تعود إلى معرفة اللَّه، وحقًّا أنَّ كل الذي تحقق في الدنيا وسعى إليه الأنبياء هو معرفة اللَّه»[٢].

١ـ ٢ـ ١. نقد وتحليل:

إنَّ التحليل المذكور ليس بصدد بيان جميع أسباب الحاجة للوحي، وإنَّما اقتصار ذلك على معرفة أسماء اللَّه وصفاته وهداية الناس إلى القرب الإلهيّ، بل يعدُّ هذه الأمور السبب الأساسي للحاجة للوحي[٣]. والشاهد على ذلك سعي بعضهم كالإمام الخمينيّ قدس سره الذي اعتبر معرفة اللَّه تمام مقاصد الأنبياء؛ لغرض إقامة حكومة على أساس القرآن الكريم؛ بناء على ذلك، قد علم بأنَّ أسماء اللَّه وصفاته وطريق الهداية إلى اللَّه تعتبر من حدود القرآن، مع أنَّ هذا الدليل لم يحدد النطاق الموضوعي للقرآن الكريم.

---

(١) حيدر الآملّي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص٣٧٩.

(٢) الإمام الخمينيّ قدس سره، صحيفة نور، ج٧، ص٢٥٠.

(٣) انظر: مرتضى مطهريّ، مجموعة الآثار، ج٧، ص١٢٢.

١ـ٣. حسن التكليف والحاجة إلى القرآن:

إنَّ المتكلمين أكَّدوا على حسن التكليف وقاعدة اللطف؛ لغرض إثبات حاجة الإنسان للقرآن[١]، ويمكن بيان ذلك من خلال المقدمات الآتية:

المقدمة ١: حسن التكليف: إنَّ تكليف اللَّه لعباده له حسن عقليّ؛ لأنَّه الوسيلة الوحيدة لتكامل الإنسان.

المقدمة ٢: ضرورة لطف اللَّه: إنَّ لطف اللَّه يقتضي أن يوفر كافة العوامل المؤثرة في تكامل الإنسان[٢].

نتيجة المقدمة ١ و٢: يُفترض على اللَّه أن يُكلِّف عباده بأداء الأعمال الحسنة واجتناب الأعمال القبيحة.

المقدمة ٣: إنَّ تكليف العباد بالأحكام يحتاج إلى نزول الوحي؛ لأنَّ الإنسان لا يتمكن من الوصول إلى معرفة تلك الأحكام بعلمه.

النتيجة: يجب إرسال الوحي من قبل اللَّه؛ من أجل بيان تكاليف العباد[٣].

---

(١) اللطف ينقسم على قسمين: محصّل ومقرّب، والمراد هنا هو اللطف المقرّب، الذي هو بحسب قول الشيخ المفيد: ما يقرِّب المكلَّف معه من الطاعة ويبعد عن المعصية ولا حظَّ له في التمكين و لم يبلغ الإلجاء. (انظر: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، النكت الاعتقادية، ص٣٥؛ العلامة الحليّ، المصدر السابق، ص٣٢٤)؛ وللإطلاع أكثر عن رأي المتكلمين وعلماء الإسلام الآخرين حول اللطف، انظر: رسالة خواطر للحكيم لاهيجيّ، مجموعة خطب ومقالات؛ محسن خرازيّ، قاعده لطف از نظر متكلمان و فلاسفه (قاعدة اللطف من وجهة نظر المتكلمين والفلاسفة)، ص٣٦٠ ـ ٣٨٣.

(٢) انظر: العلامة الحلّي، المصدر السابق، ص٣١٩.

(٣) انظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسّي، الاقتصاد: الهادي إلى طريق الرشاد، ص١٥٢ و ١٥٣؛ مرتضى علم الهدى، الذخيرة، ص٣٢٣؛ العلامة الحليّ، المصدر السابق، ص٣٤٨.

١ ـ ٣ـ١ . نقد وتحليل:

على أساس هذا الدليل يثبت أنَّ التكاليف الفرديّة والاجتماعيّة تُحتسب جزءًا من الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، فإنَّ تأكيد المتكلمين على التكليف لا يعني عدم الاهتمام بالبعد الاجتماعيّ للحياة الإنسانية؛ لأنَّ القسم الأعظم من التكاليف الدينيّة له بعد اجتماعي، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ هذا الدليل لم يُعيِّن بصورة دقيقة حاجة الإنسان للوحي وحدود القرآن، فضلاً عن الإشكالات الجزئية التي ترد عليه[١]؛ ذلك لأنَّ حاجة الإنسان للقرآن ليست مقتصرة على بعد التكاليف والأحكام فقط[٢].

١ـ ٤ . الوصول إلى الكمال الإنساني والحاجة إلى القرآن:

من اللازم في تحليل حاجة الإنسان إلى الوحي والقرآن التأكيد على كمال الإنسان[٣] باعتباره هدف الخلقة وعدم قدرته على معرفة هذا الهدف والوصول إليه، والحكمة الإلهيّة في توفير الأرضيّة والعوامل الضروريّة للإنسان؛ على هذا الأساس يمكن إثبات ضرورة الوحي والحاجة للقرآن من خلال المقدمات الآتية[٤]:

---

(١) إنَّ بعض العلماء طرحوا أسئلة في ذلك أيضًا، فضلًا عن اعتقادهم بوجود تعقيدات في هذا الاستدلال، ومن جملة هذه الأسئلة: هل أصل الحسن والقبح العقليين اعتباريٌّ أو حقيقيّ؟ ما جذور حكم العقل بحسن وقبح الأعمال؟ إلى أي مدى يتمكن العقل من إدراك حسن وقبح الأمور؟ من أين نشأت قاعدة اللطف؟ (انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، رهنماشناسى «معرفة الدليل المرشد»، ص٢٢).

(٢) على هذا الأساس كما سنثبت ذلك فيما بعد يكون رأي الذين يعدُّون جامعية القرآن مختصة بالأحكام الدينية؛ أي الحلال والحرام والأوامر والنواهي الإلهيّة رأيًا خاطئًا، وقد نُسب هذا الرأي إلى ابن عباس (انظر: أبو طاهر يعقوب فيروزآباديّ، تنوير المقباس عن تفسير ابن عباس، ص٢٢٩)؛ ثمّ إنّ لجلال الدين السيوطيّ ما يشبه هذا الرأي أيضًا (انظر: الدر المنثور، ج٤، ص٥٨٩).

(٣) لقد أكَّد الخواجة نصير الدين الطوسّي أيضًا على مسألة كمال الإنسان من خلال بحثه حول ضرورة الوحي (الخواجة نصير الدين الطوسيّ، اخلاق ناصريّ، ص٣٥٣).

(٤) انظر: ظهير الدين راونديّ، عجالة المعرفة في أصول الدين، تحقيق محمد رضا حسيني جلالي، ص٣٥؛ محمد=.

١ ـ **هدفيّة خلقة الإنسان**: إنَّ اللَّه تعالى على أساس حكمته له هدف من خلقة العالم ومن ضمنه الإنسان؛ وبالتأكيد أنَّ هدفه ليس هو جبران نقص عنده أو تلبية حاجة لديه؛ لأنَّ اللَّه في مرتبة الذات مستغنٍ عن الغير تمامًا[١]. فالهدف من خلقة الإنسان وصوله إلى الكمال اللائق به؛ أي القرب الإلهيّ، والهدف من خلقة العالم هو تجلِّي اللَّه تعالى، وأنَّ المظهر الكامل لهذا التجلِّي هو الإنسان الذي له القابليّة على معرفة اللَّه وعبادة الحق تعالى.

٢ ـ **اختياريّة كمال الإنسان**: إنَّ الإنسان متى ما قورن مع المخلوقات الأخرى، يكون أفضلها في الخلقة من حيث القوَّة والقدرة[٢]، وإنَّ كماله الحقيقيّ مرهون بسلوكه وأعماله الاختياريّة.

٣ـ حاجة الإنسان لمعرفة طريق الكمال: إنَّ اختيار طريق الكمال فضلاً عن القدرة والعزم يحتاج إلى شرط مهم آخر، وهو العلم والمعرفة الكافية، فالاختيار الحر يتحقق عندما يتعرَّف الإنسان على طرق مختلفة، ويقارن بين ما يضره وما ينفعه.

٤ـ عجز وسائل الإنسان المعرفيّة العامة عن إدراك طريق الوصول إلى الكمال: إنَّ المعرفة الحسيّة والمعرفة العقليّة هما الوسيلتان الوحيدتان العامتان لدى الإنسان من بين وسائله المعرفية الأخرى، وأنَّ تقييم هاتين الوسيلتين المعرفيتين وكيفية عملهما يحكي عن أنَّ المعرفة الناجمة عنهما ليست كافية

=. تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج١ و٣، ص٤٠٤ و ٤٠٦، ومعارف القرآن، ج٤ و٥؛ راهشناسى (معرفة الطريق)، ص١٠ـ١٩؛ رهنماشناسى، «معرفة الدليل المرشد»، ص٢٧ـ٣٦؛ جعفر السبحانيّ، المصدر السابق، ص٤٧ ـ ٤٩؛ أحمد أمين، الكامل في الإسلام، ج١، ص١٦٦.

(١) بل إنَّ هدفية الخلقة بمعنى أنَّ الله تعالى يُحِبُّ آثاره الوجودية تبعًا لحبِّ الذات، وهذه المحبَّة هي السبب في الخلقة، فهو يُحِبُّ أن تصل جميع الموجودات ومن جملتها الإنسان إلى الكمالات الممكنة.

(٢) يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/ ٧٠.

لمعرفة طريق الوصول إلى الكمال الإنسانيّ، وهما غير قادرتين أبدًا على تبيين المعارف الضروريّة، لاسيّما معرفة علاقة سلوك الإنسان بالنتائج الأخروية، ولا على تعيين علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته مع اللّه، وعلاقته مع أبناء مجتمعه، ومع الطبيعة بما يتناسب مع كماله.

والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ المعرفة الحسيّة التي تحصل على أثر ارتباط الحواس الظاهريّة مع العالم الماديّ محدودة بالأمور الماديّة، ولا تبيِّن سوى علاقتنا بالحياة الماديّة إلى حدّ ما، مع أنَّ حياة الإنسان ليست محدودة بالأمور الماديّة.

إنَّ الحد الأعلى لقدرة العقل بيان العلاقة الكليّة والمعرفة الإجمالية التي ليست فاعلة في مقام العمل، ثمّ إنّ المدركات العقليّة التي تتحصل من تعاون الحس والعقل لها فاعليّة محدودة أيضًا.

بناء على ذلك، مهما كانت وسائل المعرفة العامة لازمة لحياة الإنسان، فهي ليست كافية لمعرفة طريق الكمال في جميع الأبعاد والشؤون وفي جميع الأزمنة والأمكنة، وليس لها القدرة على أن تحدد في كل مكان ما هو العمل الذي يؤدي إلى سعادة الإنسان وما هو العمل الذي يؤدي إلى شقاوته.

إنَّ التجربة التاريخيّة تدل أيضًا على أنَّ البشريّة خلال آلاف السنين من مسيرة حياتها، لم تنجح بشكل كامل في حل المسائل الأخلاقيّة المتعلقة بالبعد المعنوي للحياة الإنسانيّة، بالرغم من وجود التطور المستمر في كشف مجهولات الطبيعة، فضلاً عن علاقة الدنيا والآخرة التي هي خارجة عن رصد العلم الإنسانيّ.

النتيجة: من خلال المقدمات المذكورة نتوصل إلى أنَّه على مقتضى الحكمة الإلهيّة يجب أن يكون هناك طريق معرفي آخر للإنسان غير العقل والحس؛ لكي

يصل إلى الكمال المطلوب، وهذا الطريق هو الوحي، ومن دون هذا الطريق لا يتمكن الإنسان كسب المعرفة اللازمة، وبالنتيجة فإنَّ أعماله سوف لا تكون على أساس الاختيار الواعي ولا يصل إلى الكمال، ولا يتحقق الغرض الإلهيّ من خلقة الإنسان.

بناء على ذلك، أنَّ حدود القرآن الكريم هي بصدد هدف خلقة الإنسان؛ أي توفير الأرضيّة لوصول الإنسان إلى الكمال والسعادة المطلوبة؛ إذن يجب أن يكون للقرآن معارف وأحكام وقوانين لازمة من أجل وصول الإنسان إلى الكمال.

١ـ٤ـ١. نقد وتحليل:

إنَّ لهذا البرهان بالمقارنة مع البراهين السابقة ميزات خاصة[1]. وهو بمنأًى عن الإشكالات السابقة، حيث تمَّ الاستناد في هذا البرهان إلى تكامل الناس وقصور المعرفة البشريّة وكلاهما دائمان وأبديان، ويُفهم من هذا البرهان حاجة الإنسان المستمرة للقرآن، وعلى أقل تقدير وجود أصول جميع الأمور المتعلقة بكمال الإنسان في القرآن الكريم مع فقدان المانع.

إنَّ هذا البرهان يُبيِّن أنَّ الأمور المتعلقة بتكامل الإنسان هي جزء من الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، ومع ذلك أنَّ هذا الاستدلال لا يُعيِّن الحدود الدقيقة للقرآن الكريم أيضًا؛ لأنَّه يترتّب عليه السؤال الآتي: ما الأمور التي

---

(١) إنَّ هذا الاستدلال يُستنبط من بعض آيات القرآن أيضًا، ومن جملتها: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء/ ١٦٥، ويُستنتج من هذه الآية المباركة أنَّ العلم العادي للبشر لا يكفي لمعرفة طريق الكمال الإنساني؛ لأنَّها تبيِّن أنَّ الأنبياء ﷺ لو لم يُبعثوا لتمكن الناس من الاحتجاج على الحكمة الإلهيّة، بأن يقولوا: ربنا أنت خلقتنا من أجل الوصول إلى الكمال، ولكنَّ علمنا لم يكن يكفي لمعرفة طريق الكمال، ثمّ إنّك أيضًا لم تهدنا بإرسال الأنبياء والرسالة السماويّة؛ إذن فنحن معذورون في انتفاء سلوك طريق الكمال والانحراف عن وجهته الصحيحة.

تترك أثرًا إيجابيًّا أو سلبيًّا على تكامل الإنسان، وينبغي للقرآن بيانها وهو ساكت عنها؟[١] هذا أولًا.

وثانيًا: إنَّ هذا البرهان لا ينفي أنَّ اللَّه تعالى يكون قد بَيَّن في الوحي والقرآن بفضله أشياءً يحتاج لها الإنسان في سلوك طريق التكامل، أو يتمكّن من الوصول إليها عن طريق العقل[٢]، ومن الضروري الاستفادة من الآيات والروايات؛ للحصول على هذا النطاق من الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم.

٢ ـ التجلي الكامل للَّه في القرآن:

إنَّ أحد العلماء يعتقد بأنَّ اللَّه تعالى ـ مثل أي متكلم ـ تجلَّى في كلامه؛ أي القرآن الكريم، وما دام اللَّه جامع للأسماء الحسنى بتمامها، فإنَّ القرآن الكريم الذي هو تجلٍّ إلهيّ جامع لجميع الأحكام والمعارف[٣]، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لقد تجلَّى اللَّه لخلقه في كلامه لكن لا يبصرون»[٤].

٢ـ١. نقد وتحليل:

إنَّ هذا البيان يصبح تامًّا وكافيًا في حالة أن يكون اللَّه قد تجلَّى في القرآن بجميع أسمائه وصفاته، وهذا الأمر يتطلب أن يثبت وجود مصلحة في تجلٍّ جميع أسماء اللَّه وصفاته في القرآن الكريم، هذا أولاً.

---

(١) لعله بسبب هذا النقص بحث بعض علماء الإسلام حول أهداف الوحي وبعثة الأنبياء عليهم السلام، فضلًا عن ضرورة الوحي والنبوة انظر: ابن سينا، الشفاء، الإلهيّات، ص٤٤٣؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، رهنما شناسى، «معرفة الدليل المرشد»، ص٣٧ـ٣٩.

(٢) محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج١ـ٣، ص٤٠٤ ـ ٤٠٦.

(٣) انظر: جواديّ آمليّ، مجلة كيان انديشه، العدد ٢٨، ص٤ـ٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٩٢، ص١٠٧.

وثانيًا: كان ـ ولم يزل ـ هناك أشخاص لهم القدرة على الوصول إلى معرفة جميع أسماء اللّه وصفاته عن طريق القرآن الكريم.

إنَّ هذين الأمرين لم يثبتا في هذا الاستدلال، ومن الممكن أن يدّعي شخص ويقول:

أولاً: إنَّ اللّه لم يتجلَّ في القرآن الكريم بتمام أسمائه وصفاته؛ ذلك لأنَّ القرآن كتاب دين وهداية، ولم يأتِ إلاّ بهذه الأمور.

ثانيًا: إنَّ تجلّيَ جميع صفات اللّه وأسمائه في القرآن يكون عبثًا، ولا يمكن أن يصدر مثل هذا الفعل من اللّه تعالى؛ لأنَّه لا يوجد شخص قادر على الوصول إلى جميع الأسماء والصفات الإلهيّة.

٣ـ النتيجة:

من مجموع الأدلّة العقليّة المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم نتوصل إلى أنَّ احتياجات الإنسان إلى القرآن هي جزء من الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، وهذا الاحتياجات هي: العلم بصفات اللّه والسير نحوه، والأمور المتعلّقة بالحياة الاجتماعيّة السليمة والإلهيّة، والتكاليف الفرديّة والاجتماعيّة، والأمور المتعلقة بكمال الإنسان وسعادته.

ومن الطبيعي لغرض تحديد جزئيات هذه الاحتياجات لابدّ من متابعة القرآن والروايات، والبحث عن رأيهما حول حدود القرآن، وسنتعرَّض في الفصول اللاحقة إلى أدلّة حدود القرآن الدينيّة.

الفصل الرابع
أوصاف القرآن الكريم وحدوده الموضوعيّة

أوصاف القرآن الكريم وحدوده الموضوعيّة

من جملة المسائل التي يمكن الاستفادة منها في بحث حدود القرآن الكريم، الشواهد والأدلّة التي تُبيِّن بعض خصائص القرآن الكريم والإسلام، وهذه الخصائص هي عبارة عن:

١ ـ جامعيّة حدود المخاطبين بالقرآن، وهو ما يطلق عليه بالعالميّة.

٢ ـ وجود القرآن في نطاق جميع الأزمنة؛ أي خلوده.

٣ـ القرآن الكريم هو المرحلة الكاملة للوحي الإلهيّ، وبالنتيجة هو حاكم على سائر الكتب السماويّة.

وفي هذا الفصل سنتناول هذه الخصائص القرآنيّة بالبحث، ثمَّ نستدل على حدود القرآن من خلال بيان علاقة هذه الخصائص بحدود القرآن الكريم.

١ ـ عالمية القرآن وحدوده:

إنَّ الشواهد والأدلّة تشير إلى أنَّ رسالة القرآن الكريم لا تختص بمجموعة معيّنة ومنطقة خاصة، بل هي رسالة عالميّة، وهبة إلهيّة، وهبها الباري لجميع

البشر في عصر نزول القرآن، حيث كان من الواجب على أتباع الكتب السماويّة أن يؤمنوا بهذا الكتاب الإلهيّ بعد نزوله.

إنَّ الشواهد والأدلّة المتعلقة بعالميّة رسالة القرآن نوعان:

١ ـ الشواهد التي تدل مباشرة ومن دون وساطة على عالميّة القرآن.

٢ ـ الأدلّة والشواهد المتعلقة بعالمية رسالة نبي الإسلام ﷺ، التي تدل بصورة غير مباشرة على عالميّة القرآن الكريم.

١ ـ ١ . الأدلّة والشواهد المباشرة:

١ ـ الآية التي دلَّت بصراحة على عالمية رسالة القرآن، ونفت اختصاص ذلك بالمخاطبين العرب أو أي قوم وطائفة خاصة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[١].

٢ ـ الآيات التي تصف القرآن بأنَّه لكافّة الناس والعالمين جميعًا، مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٣].

٣ـ الآيات التي تدعو جميع الناس إلى الصراط المستقيم والامتثال للأوامر الإلهيّة بعبارات عامة مثل: ﴿يَا بَنِي آدمَ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

(١) الأنعام/ ١٩.
(٢) الأنعام/ ٩٠.
(٣) البقرة/ ١٨٥.
(٤) الأعراف/ ٢٧.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

٤ ـ الآيات التي تصف القرآن بالمنذر للأحياء أو أصحاب القلوب الحيَّة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[٢].

٥ ـ الآيات التي تخاطب أتباع الشرائع الإلهيّة الأخرى، وتدعوهم للَّهداية إلى طريق الفلاح والصلاح من خلال الإيمان بالقرآن، كقوله تعالى[٣]: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ...﴾[٤].

٦ ـ الآيات التي تدل على أنَّ نفرًا من الجنِّ استمعوا للقرآن وأنذروا الآخرين به؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[٥].

١ ـ ٢. الأدلّة والشواهد غير المباشرة:

إنَّ بعض الأدلّة والشواهد المتعلقة بعالميّة رسالة النبيّ الأكرم ﷺ تدل بصورة غير مباشرة على عالميّة القرآن الكريم أيضًا.

١ـ ٢ـ ١. الآيات القرآنيّة:

إنَّ الآيات التي تدل على عالمية رسالة النبيّ الأكرم ﷺ تتفرع إلى عدَّة طوائف، وهي:

---

(١) البقرة/ ٢١.
(٢) يس/ ٦٩ و ٧٠.
(٣) انظر: الحج/ ١٧.
(٤) البقرة/ ١٣٧.
(٥) الأحقاف/ ٢٩.

١ ـ الآيات التي تصف النبيّ الأكرم ﷺ بالرسول لجميع الناس والعالمين كافّة، من قبيل قوله تعالى[١]: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣].

٢ ـ الآيات التي تصف القرآن بالغالب لجميع الأديان[٤]، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٥].

إنَّ عبارة «ليظهره على الدين كُلِّه» تدل على غلبة القرآن بالاستدلال والمنطق، فضلاً عن غلبته على الصعيد الماديّ؛ وبعبارة أخرى أنَّ القرآن فضلاً عن امتلاكه للمسائل التي تمتلكها الأديان والكتب السماويّة الأخرى، يمتلك أمورًا غيرها أيضًا.

١ ـ ٢ ـ ٢. الروايات:

لقد ورد في الروايات أنَّ رسول اللَّه ﷺ جمع في أول أيام دعوته عشيرته بعد نزول الآية المباركة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٦]، وقال: (إنَّ الرائد لا يكذبُ أهله واللَّه لا إله إلا هو إنِّي رسول اللَّه إليكم خصوصًا وإلى الناس عامّة)[٧].

---

(١) انظر: الأنعام/ ١٩؛ يس/ ٧٠.

(٢) الأعراف/ ١٥٨.

(٣) النساء/ ١٠٧.

(٤) انظر: التوبة/ ٣٣؛ آل عمران/ ٨٥.

(٥) الفتح/ ٢٨.

(٦) الشعراء/ ٢١٤.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٨٥.

١ـ٢ـ٣. سيرة النبيّ ﷺ العمليّة:

إنَّ سيرة الرسول محمد ﷺ والتاريخ يشهدان بأنَّ النبيّ ﷺ كان يبعث بكتبه ورسائله إلى رؤساء البلدان والقبائل المختلفة[١]؛ من أجل أن يدعوهم إلى الإسلام، وأنَّ هؤلاء لم يذكروا في أجوبتهم له بأنَّه نبي للعرب خاصة وأنَّ دينه مختص بهم.

نستنتج من جميع الشواهد والأدلّة بأنَّ خطاب القرآن الكريم ورسالته، خطاب ورسالة عالميّة، وفي ضوء هذه الأدلّة والشواهد كتب العلامة الطباطبائيّ يقول: «فإنَّ القرآن نزل هدًى للعالمين يهديهم إلى واجب الاعتقاد، وواجب الخلق، وواجب العمل، وما بينه من المعارف النظريّة حقائق لا تختص بحال دون حال ولا زمان، دون زمان و ما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرعة من حكم عمليّ لا يتقيَّد بفرد دون فرد ولا عصر دون عصر).[٢]

١ـ٣. المراد من عالمية رسالة القرآن:

المراد من عالمية رسالة القرآن الكريم هو أنَّ الشرائع الإلهيّة السابقة قد نُسخت مع نزول القرآن الكريم، ويتوجب على جميع الناس ـ ومن جملتهم المؤمنين بالشرائع السابقة ـ أن يؤمنوا بها، فعالميّة القرآن لا تعني أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان من الواجب عليه أن يوصل رسالة القرآن إلى كل فرد من الأفراد في زمانه وأنَّه فعل ذلك، بل إنَّ ما كان مقدوراً للنبيّ الأكرم ﷺ ومكلّفاً به، هو إبلاغ رسالة القرآن إلى البلدان والأقوام.

---

(١) لقد وردت الكتب والرسائل التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إلى رؤساء البلدان والقبائل ضمن مجموعة كتب تحت عنوان: مكاتيب الرسول، ومن جملتها كتاب «مكاتيب الرسول» بقلم علي الاحمديّ الميانجيّ.

(٢) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٤٢.

وكذلك أنَّ عالميّة رسالة القرآن لا تعني إزالة جميع العقبات عن طريق تحققها، فربما واجه النبيّ محمد ﷺ عقبات أيضًا، بعد أن أزالها وقعت مسؤولية إبلاغ رسالة القرآن إلى العالم على أوصيائه من بعده[١]. ومن هنا ورد في الروايات أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه بعد الظهور يضرب الفساطيط لشيعته لغرض تعليم القرآن الكريم[٢].

١ ـ ٤. التلازم بين عالمية القرآن وسعة نطاق حدوده الموضوعيّة:

إنَّ من لوازم عالمية القرآن الكريم أن يكون لهذا الكتاب الإلهيّ رسالة وخطاب متناسب مع المجتمعات الراقية الأخرى من غير مجتمع الجزيرة العربية، وبالتأكيد أنَّ هذه المجتمعات لها احتياجات أكثر وتتطلع إلى معارف أعمق، وفي مثل هذه الحالة فقط يجدر بالقرآن الكريم هدايتهم وإرشادهم، وهذا الأمر يعدُّ من الشواهد الأخرى على اتساع نطاق الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم.

٢ ـ خلود القرآن وحدوده:

من جملة الخصائص الأخرى للقرآن الكريم خلوده؛ بعبارة أخرى أنَّ القرآن جاء ببرنامج حياتيّ لجميع أبناء الإنسانيّة، أمَّا أدلّة خلود القرآن الكريم فهي طائفتان:

الأولى: الأدلّة والشواهد المتعلقة بخلود القرآن.

والطائفة الأخرى: الأدلّة والشواهد المتعلقة بخلود رسالة النبيّ محمد ﷺ، والتي تدلّ بصورة غير مباشرة على خلود القرآن الكريم.

---

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، راه و رهنما شناسى، «معرفة الطريق والدليل المرشد»، ص٤٢.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٣٩، ح٨٥؛ و ص٣٦٤، ح١٣٩ و ١٤٠ و١٤١.

٢ـ١. الشواهد والأدلّة المباشرة:

إنَّ الآيات والروايات التي تدل بصورة مباشرة على خلود القرآن هي عبارة عن:

٢ـ١ـ١. الآيات:

إنَّ أغلب الآيات التي تدل على عالميّة القرآن الكريم تدل بصورة مباشرة على خلوده أيضًا، مثل الآيات التي تصف القرآن بأنَّه وسيلة إنذار لكل من يصل إليه خطابه[١]، والآيات التي يكون خطابها موجّهًا لجميع الناس[٢]، أو التي تصف القرآن بالمنذر للأحياء[٣]، والآيات التي تذكر بأنَّ القرآن هاديًا للعالمين وجميع الناس[٤]، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[٥].

٢ـ١ـ٢. الروايات:

لقد وردت روايات كثيرة تدل على خلود القرآن الكريم أيضًا، ومن جملتها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، أنَّه قال: «إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت والآية حيَّةٌ لا تموت فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية، لمات القرآن ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين»[٦].

---

(١) الأنعام/ ١٩.

(٢) الأعراف/ ٢٧؛ البقرة/ ٢١.

(٣) يس/ ٦٩ و ٧٠.

(٤) البقرة/ ١٨٥.

(٥) الأنعام/ ٩٠.

(٦) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٠٣، شرح الآية ٧ من سورة الرعد.

والإمام علي عليه السلام في وصف القرآن الكريم يقول: «إنَّ القرآن.. لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلّا به »[١].

إنَّ عبارة الإمام عليه السلام هذه حاكية عن استمرار القرآن وخلود ما يشتمل عليه[٢]، وكذلك يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ثمَّ أنزل عليه الكتاب نورًا لا تنطفئ مصابيحه وسراجًا لا يخبو توقده ... وفرقانًا لا يخمد برهانه، وتبيانًا لا تُهدم أركانه »[٣].

يُفهم من كلام الإمام عليه السلام هذا أنَّ حقائق القرآن ومفاهيمه لا تختص بعهد مؤقت ومحدود وزمان خاص، وأنَّ قوانينه مستمرة ومتجدّدة وخالدة، وإذا نزلت آيات لها مفهوم يتعلق بطائفة معينة، يكون عامًّا وشاملاً للجميع في الحالات المشابهة إلى يوم القيامة.

٢ـ٢. الشواهد غير المباشرة:

إنَّ الشواهد غير المباشرة التي تدل على خلود القرآن الكريم طائفتان:

الأولى: أدلّة خلود رسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

الطائفة الأخرى: الأدلّة الدالة على كون القرآن الكريم آخر مرحلة من مراحل الوحي.

٢ـ ٢ـ ١. أدلّة خلود الإسلام ورسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله:

إنَّ أدلّة خلود رسالة رسول اللّه صلى الله عليه وآله غير المباشرة تدل على خلود القرآن أيضًا؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أدَّى رسالته من خلال الاستعانة بالقرآن الكريم، ومن جملة هذه الأدلّة:

---

(١) نهج البلاغة/ الخطبة ١٨.

(٢) محمد تقي جعفر، ترجمة وتفسير نهج البلاغة، ج٤، ص٢٦٦ـ٢٦٩.

(٣) نهج البلاغة/ الخطبة ١٨٩.

١ ـ الآيات التي تصف النبيّ الأكرم ﷺ بأنّه رسول للعالمين جميعًا، مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢].

إنّ لفظة «العالمين» في هاتين الآيتين هي جمع محلّى باللام، وشاملة لجميع الناس بعد رسالة النبيّ محمد ﷺ أيضًا.[٣]

٢ ـ إنّ الأحاديث الخاصة بخلود الإسلام كثيرة، سنشير هنا إلى روايتين منها:

قال رسول اللّه ﷺ: «حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة»[٤].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «شريعة محمد لا تُنسخ إلى يوم القيامة ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة»[٥].

٢ ـ ٢ ـ ٢. أدلّة خاتميّة نبوة رسول اللّه ﷺ وكون القرآن آخر الكتب الإلهيّة:

إنّ الأدلّة والشواهد تشير إلى أنّ الوحي بدأ بهبوط النبيّ آدم عليه السلام إلى الأرض، وأنّ النبوة اختتمت عند وفاة النبيّ محمد ﷺ؛ ولذلك يعدُّ المسلمون القرآن آخر كتاب ووحي إلهيّ، ولم ينتظروا يومًا ما مجيء رسول وكتاب سماوي أبدًا[٦] بل أنّ هناك إجماع على خاتميّة الوحي ونبوة النبيّ محمد ﷺ[٧]، بل إنّ ذلك عُدَّ

---

(١) الفرقان/ ١؛ يوسف/ ١٠٤؛ لقد جاء في وصف القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

(٢) الأنبياء/ ١٠٧.

(٣) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١٤، ص٣٣١ و ج١٥، ص٦٧٤.

(٤) العلامة المجلسّي، البحار، ج٢، ص٢٦٠، ح١٧.

(٥) محمد حسين، الحر العاملّي، وسائل الشيعة، ج١٨، ص٥٥٥، ح١٧.

(٦) انظر: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين، تحقيق عبدالجبار الرفاعيّ، ص٢٢٢ و٢٢٣.

(٧) قال الشيخ المفيد: (من إجماع المسلمين أنّه لا وحي لأحد بعد نبينا)؛ محمد بن نعمان العكبريّ، الاعتقادات، ص١٢١.

من ضروريات الدين[١].

إنَّ خاتمية نبوة النبيّ الأكرم ﷺ وكون القرآن الكريم آخر الكتب الإلهيّة يدل بصورة غير مباشرة على خلود القرآن؛ ذلك لأنَّ الإنسان لا يستغني عن الوحي أبدًا، وما دام الإنسان لا يحضى بوحي جديد بعد القرآن، فإنَّ هذا الوحي يكون كافيًا لجميع الناس وفي كافّة الأزمة، ولابدّ أن يستجيب لحاجة البشر للّهداية الإلهيّة، والشواهد على كلامنا هذا هي كما يلي:

٢ـ٢ـ٢ـ١. سورة الأحزاب «الآية ٤٠»:

إنَّ الآية المباركة ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢] عَدَّت النبيّ الأكرم ﷺ آخر الأنبياء عليهم السلام.

والخاتم اسم آلة من «خَتَمَ» بمعنى وسيلة الإتمام والإنهاء[٣]. ومن هذا المنطلق أطلق على الخَتِم خاتم، وهو ما يُختم به آخر الرسالة.

وقد وصفت الآية الشريفة النبيّ محمد ﷺ بأنَّه خاتم النبيّين، وأنَّ كونه ﷺ خاتم النبيّين يستلزم كونه خاتمًا للرسل؛ لأنَّ كل رسول هو نبي، ويلزم من ختم النبوة ختم الرسالة أيضًا[٤]، فإذا انقطعت مسيرة هذه النبوّة، انقطع نزول الوحي أيضًا، وذلك لأنَّ الوحي من خصائص النبوة.

---

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، رهنماشناسى «معرفة الدليل المرشد»، ص٣٦٧.

(٢) الأحزاب/ ٤٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، مادة ختم.

(٤) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٣٤٥ و ٣٤٦.

٢ـ٢ـ٢ـ٢. نهج البلاغة،«الخطبة: ١٣٣»

توجد روايات كثيرة تدل على انقطاع الوحي بعد نزول القرآن، ومن جملة ذلك قول الإمام علي عليه السلام: «أرسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الألسن فقفي به الرسل وختم به الوحي»[١].

وروى الكليّنيّ رحمه الله بسند صحيح[٢] عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال:

«إنَّ اللَّه عزّ ذكره ختم بنبيكم النبيّين فلا نبيَّ بعده أبدًا، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبدًا»[٣].

٢ـ٢ـ٣. إشارة:

من الممكن أن يقال بأنَّ أتباع الكتب السماويّة الأخرى يعدُّون كتبهم آخر مرحلة من مراحل الوحي أيضًا؛ ولهذا السبب لم يؤمنوا بالأنبياء والكتب التي جاءت من بعدهم، بل إنَّ بعضهم قد صرَّح بهذا الأمر، فمثلاً إنَّ النصارى يعتقدون بأنَّ الوحي قد انتهى واختتم عند النبيّ عيسى عليه السلام، فقد قال بول تيليخ:

إنَّ لدينا عند تصوير عيسى باعتباره المسيح صورة إنسانية له، يمكن أن تُسمَّى وسيلة الوحي الخاتم[٤].

والجواب هو أنَّ مجرد دعوى أتباع الكتب السماويّة لا يُعد دليلاً كافيًا، بل ينبغي أن يدَّعي مثل هذه الدعوى نفس النبيّ والكتاب السماويّ، والنبيّ عيسى عليه السلام ليس فقط لم يدعِّ أنَّ النبوة والوحي قد اختتما به، بل في ضوء التفسير

---

(١) نهج البلاغة/ الخطبة ١٣٣.

(٢) انظر: محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج٣، ص١٥٧.

(٣) انظر: محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، ص٢٦٩.

(٤) بول تيليخ، الهبات سيستماتيك (علم اللاهوت المُنظَّم)، ترجمة حسين نوروزي، ص١٩٠ و ١٩١.

الصحيح لبعض عبارات الكتاب المقدس المعتبر لدى النصارى، أنَّ عيسى عليه السلام قد بشَّر بنبوة ووحي النبيّ محمد ﷺ أيضًا[١].

ثمّ إنّ النبيّ موسى عليه السلام كذلك لم يدَّعِ بأنَّه خاتم الأنبياء، بل أخبر الناس بأنَّ اللَّه سيبعث نبيًّا من بعده: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه»[٢].

تجدر الإشارة إلى أنَّ هناك اختلاف بين علماء النصارى والمسلمين حول مصداق هذه البشارة، فالنصارى يعدُّون مصداقها النبيّ عيسى عليه السلام[٣]. وقد أورد علماء المسلمين أدلّة متعدّدة تدل على أنَّ خصوصيات النبيّ الموعود في هذه العبارة لا تنطبق إلاّ على النبيّ محمد ﷺ[٤].

---

(١) وقد ورد في الإنجيل: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا ﴿فارقليطا﴾ آخر ليمكث معكم إلى الأبد» يوحنا: الإصحاح ١٤: ١٥ـ١٧ (انظر: يوحنا، ٦: ١٤و١٥؛ ١٤: ٢٥ ـ ٢٩؛ ١٥: ٢٢ ـ ٢٦). إنَّ علماء المسلمين يعتقدون بأنَّ النبي عيسى عليه السلام بشَّر بمجيء ﴿بارقليطا﴾ «وهو اسم باللغة السريانية وتعريبه ﴿فارقليط﴾»، وترجمه كاتب يوحنا إلى «periclytos» «بريكليتوس» باللغة اليونانية، وهو بمعنى المحمود كثيرًا، وباللغة العربية «أحمد» أو «محمد» الذي مصداقه النبي محمد ﷺ بالتأكيد، ولكن في الأناجيل التي دوِّنت بعد الإسلام أخذت هذه اللفظة من جذر «paraclytos» (باراكليتوس) بمعنى المُعزِّي؛ يعني «روح القدس» الذي جاء إلى الحواريين لتعزيتهم بعد النبي عيسى عليه السلام، وجعلوا معادلها في الترجمات الانكليزية لفظة «Advocate» «انظر: موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة ذبيح الله دبير، ص١٤٨».

(٢) سفر التثنية، ١٨: ١٨ـ ١٩؛ وكذلك انظر: سفر التثنية، ١٨: ١٥.

(٣) مثلًا ورد في أعمال الرسل: «ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل. فإنَّ موسى قال للآباء إنَّ نبيًّا مثلي سيقيم لكم الربّ إلهكم من إخوتكم» كتاب أعمال الرسل: ٣: ٢٠و٢٢، وللإطلاع أكثر على مسألة انتظار اليهود لمجيء المسيح، انظر: جوليوس كرينستون، انتظار مسيحا در آيين يهود «انتظار المسيح في الدين اليهودي»، ترجمة حسين توفيقي.

(٤) انظر: رحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص١٦٠ـ ١٩٩؛ عبدالأحد داوود، محمد ﷺ در تورات وانجيل (محمد ﷺ في التوراة والإنجيل)، ترجمة فضل الله نيكآيين.

ثانيًا: لقد أتى النبيّ الأكرم ﷺ بمعجزات متعدّدة[١]؛ لإثبات نبوته وارتباطه الوحياني باللّه تعالى، وهي تبطل إدعاء انقطاع الوحي مع الكتب السماويّة السابقة عمليًّا، والأهمّ من ذلك كلّه هو الوحي النازل على النبيّ ﷺ؛ أي القرآن؛ فالقرآن معجزة خالدة[٢]، وقد تحدَّى الجميع من أجل إثبات إعجازه، ودعا الجميع إذا كانوا في ريب من إلهيّته أن يجمعوا أمرهم وشركاءهم، ويتعاونوا على الصعيد الفكريّ والمعنويّ ليأتوا بمثل هذا القرآن[٣] أو عشرة سور منه[٤] أو سورة من مثله، ثمَّ أخبر عن عجز الجنِّ والأنس من التحدي إلى الأبد.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٥].

ومع أنَّ الباب كان مفتوحًا دائمًا للتحدي لم يثبت التاريخ أنَّ شخصًا أتى بمثل القرآن، أو حتى أتى بحديث يكون معجزًا، أو أثبت بمعجزة أخرى بأنَّ ما جاء به وحيًا.

إنَّ علماء المسلمين يعدُّون القرآن الكريم قطعيًّا في ضوء الأدلّة المذكورة، وحاولوا بأساليب مختلفة من أجل تقديم حلول مناسبة للجمع بين ثبات محتوى القرآن الكريم وتغيير وتحول الحاجات البشرية، من قبيل طرح منطقة الفراغ[٦]،

---

(١) ذكرت بعض المصادر ٣٥ معجزة للنبي محمد ﷺ (انظر: محمد صالح مهندس، معجزات الرسول الكريم سيدنا محمد (ﷺ).

(٢) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، قرآن شناسى(معرفة القرآن)، تحقيق وتدوين محمود رجبي، ص١٢٤ و ١٩٠.

(٣) انظر: الطور/ ٣٣و٣٤.

(٤) انظر: هود/ ١٣.

(٥) الإسراء/ ٨٨.

(٦) انظر: محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ص٣٧٨؛ السنن التاريخية في القرآن، ص١٦٠.

أو القول بالأصول الثابتة والمتغيِّرة[١]، أو طرح مسألة ثبات الوحي والتغيير والتحوُّل في الفهم البشري عن الوحي[٢].

إنَّ علماء المسلمين ذكروا أسبابًا متعدّدة كتمهيد لإثبات خلود الإسلام والقرآن، تحتاج دراستها إلى مجال آخر، ومن جملة هذه الأسباب:

١ ـ اهتمام القرآن والإسلام بالأبعاد المختلفة للبشر.

٢ ـ مواكبة القرآن والإسلام للتعقيد والتحول والتكامل في العلاقات الاجتماعيّة.

٣ ـ سلامة القرآن من التحريف باعتباره المصدر الأساسي للإسلام.

٤ ـ امتلاك مخطط عام قابل للتطبيق على المصاديق من خلال الاجتهاد[٣].

٢ـ٣. التلازم بين الخلود والحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم:

يُستنتج من خلود القرآن أنَّ له حدوداً موضوعية؛ ذلك لأنَّه:

١ ـ إنَّ الكتاب يتمكن من الخلود إذا كان يهدي الناس في جميع العصور.

٢ ـ إنَّ حاجة الإنسان للَّهداية لا تقتصر على الأمور الثابتة فقط.

لقد ثبت أنَّ القرآن خالد، وهو آخر مرحلة من مراحل الوحي الإلهيّ للبشر،

---

(١) انظر: مرتضى مطهريّ، خاتميت (الخاتمية)، ص١٦٩١٨٤.

(٢) انظر: عبدالكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت «القبض والبسط النظري للشريعة»، ص٤٩٧ و٥٠٣.

(٣) انظر: مرتضى مطهريّ، مجموعة الآثار، ج٢، راز ختم نبوت (سر ختم النبوة)، ص١٥٣١٩٦؛ جعفر السبحانيّ، خاتميت از نظر قرآن و حديث (خاتمية القرآن من وجهة نظر القرآن والحديث)؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، رهنماشناسى (معرفة الدليل المرشد).

والناس مكلَّفون بالوفاء الدائم له، ومن هنا يُتوقع أنَّ هذا الكتاب السماويّ يكون هاديًا لجميع الناس في العصور المختلفة، وربما لم تكن هذه المسألة مطروحة بين المجتمعات التي كانت تعيش في عصر نزول القرآن، ولم تكن سعادتهم الدنيويّة والأخرويّة متوقفة على معرفة هذه الخصوصية بهذا القدر، إلا أنَّ هذه المسألة باتت حياتيّة بالنسبة للمجتمعات اللاحقة التي تعيش حالة من التعقيد.

وبالنتيجة فإنَّ هذه المجتمعات تحتاج إلى قوانين متطورة، وأنَّ الناس في هذه المرحلة بحاجة إلى معارف عميقة، وينبغي للقرآن توفير هذه الحاجات وإعداد الأرضيّة لهداية الإنسانية سواء كان في هذا الزمان أو في الأزمنة اللاحقة أيضًا، وهذا يدل على اتساع نطاق حدود القرآن؛ ذلك لأنَّه إذا كان القرآن قد نزل من أجل مرحلة زمانية خاصة، لما كانت هناك ضرورة لمثل هذا الأمر.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به. فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه. فإنَّه لم يخف عنكم شيئًا من دينه. ولم يترك شيئًا رضيه أو كرهه إلّا وجعل له علمًا باديًا، وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه. فرضاه فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد»[1].

كما أشار الإمام الخمينيّ قدس سره أيضًا في كلامه إلى التلازم بين خلود القرآن الكريم وجامعيّته، فقال:

«وحيث أنَّ النبوة الختمية والقرآن الشريف وشريعة سيد البشر من مظاهر المقام الجامع الأحديّ وحضرة اسم اللّه الأعظم ومجاليه، أو من تجلياتها وظهوراتها فلهذا صارت أكثر النبوات والكتب والشرائع إحاطة وأجمعها، ولا يتصور أكمل وأشرف من نبوّته وكتابه وشريعته، بمعنى أن هذا هو آخر ظهور للكمال العلميّ المربوط بالشرائع»[2].

---

(١) نهج البلاغة/ ١٨٢.

(٢) الإمام الخمينيّ قدس سره، آداب الصلاة، ص٣٠٩ و ٣١٠.

٢ـ٣ـ١. إشكال وجواب:

ربما دلَّت بعض آيات القرآن للوهلة الأولى على اختصاص دعوته بطائفة خاصة، بحيث يظهر من هذه الآيات أنَّها تخصص أدلّة عالميّة القرآن وخلوده عند التعارض، ومن جملتها:

١ ـ الآية التي تُصرِّح بأنَّ الهدف من نزول القرآن إنذار أهالي مكة المكرمة وأطرافها، في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ ۞ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[١].

٢ ـ الآية التي تأمر النبيّ الأكرم ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين، في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٢].

٣ـ الآيات التي عدَّت القرآن وسيلة لإنذار المعاندين، والذين يعتقدون بأنَّ للَّه ولدًا، والذين يعترفون بأنَّ نبيًّا لم يأتهم من قبل، من قبيل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٣].

وقوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ۞ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[٤].

وقوله ﷻ: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٥].

---

(١) الأنعام/ ٩٢.

(٢) الشعراء/ ٢١٤.

(٣) مريم/ ٩٧.

(٤) الكهف/ ١ و٤.

(٥) السجدة، الآية ٢ و٣؛ ومن قبيل قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس/ ٥ و٦؛ إنَّ الاستدلال بهاتين الآيتين أخذ فيه بنظر الاعتبار أنَّ «ما» نافية وليست موصولة أو مصدرية.

٤ ـ الآيات التي تصف القرآن بأنَّه هادٍ ومبشّر للمتقين والمحسنين والممتثلين للأحكام الإلهيّة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وقوله ﷻ: ﴿هَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ ۞ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

والجواب على ذلك هو: مع الأخذ بنظر الاعتبار خصوصيّات هاتين الطائفتين من الآيات، ومن جملة ذلك ثبوت كل منهما، لا تتمكن هذه الآيات من تخصيص الآيات المتعلّقة بعالمية القرآن الكريم وخلوده؛ وذلك لأنَّه:

١ ـ إنَّ تخصيص الآيات العامة بالآيات المبيّنة للأهداف الخاصة والمحدودة «إنذار عشيرة النبيّ أو عبدة الأصنام في مكّة»، يعدُّ تخصيصًا للأكثر وهو على خلاف فصاحة آيات القرآن وبلاغتها.

٢ ـ إنَّ حمل العام على الخاص يكون مناسبًا إذا كان أحد الدليلين مثبتًا والآخر منفيًّا، مع أنَّ الطائفتين كلتيهما من الآيات كان مثبتًا، ثمّ إنّ ملاك الحمل في مثل هذه الآيات هو الظهور الأقوى لأحد الدليلين، بيد أنَّ الآيات الخاصة هنا ليست لها ظهور أقوى.

٣ ـ إنَّ بعض الآيات تُبيِّن المراحل المختلفة لدعوة النبيّ ﷺ، ومن الطبيعي أنَّ النبيّ ﷺ ينبغي أن يبدأ دعوته بالأقربين الذين يعرفونه بالصدق، ومن ثمَّ

(١) البقرة/ ٢.
(٢) النحل/ ٨٩.
(٣) الأحقاف/ ١٢.

جميع أبناء قومه ومجاوريهم، وبالنهاية يعمم ذلك على جميع بقاع العالم، وقد ورد في الروايات أنَّ رسول اللَّه ﷺ جمع في أول أيام دعوته عشيرته بعد نزول الآية المباركة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، وقال لهم: «إنَّ الرائد لا يكذبُ أهله واللَّه لا إله إلا هو، إنِّي رسول اللَّه إليكم خصوصًا وإلى الناس عامة»[١].

٤ـ إنَّ دلالة الآية المباركة ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٢]. على اختصاص رسالة النبيّ الأكرم ﷺ بمنطقة معيّنة ليست قطعيّة؛ ذلك لأنَّ واو العطف في الآية تدل على أنَّ النزول كانت له أهداف مختلفة، وأنَّ إنذار أهالي منطقة مكة هي أحد أهدافه، فضلاً عن وجود روايات «دحو الأرض»، التي دلَّت على أنَّتكوين الأرض بدأ من الكعبة ومكة ثمَّ امتد إلى سائر نقاط العالم[٣]؛ لتكون أطراف مكة شاملة لجميع أقسام الأرض.

٥ـ إنَّ الآيات التي تصف القرآن الكريم بأنَّه هادٍ للأشخاص الطاهرين والمتقين، تدل على أنَّ هؤلاء الناس يستجيبون لدعوة القرآن الكريم، ومن ثمَّ ينتفعون بهدايته[٤].

٣ـ كمال الوحي والحدود الموضوعيّة للقرآن:

لقد أوحى اللَّه تعالى للمختارين من عباده «الأنبياء» في المراحل المختلفة مجموعة من القوانين والأحكام والمعارف، على أساس المصالح والأوضاع الزمانية المتناسبة مع قابليات الناس؛ وذلك من أجل أن يوصلوها إلى الناس، وإنَّ كل ما جاء به الأنبياء ﷺ ـ لاسيّما أولوا العزم ـ ظهر بصورة شرائع مختلفة،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٨٥.

(٢) الأنعام/ ٩٢.

(٣) مثلًا: قال الإمام الصادق ﷺ: «إنَّ الله ﷻ دحا الأرض من تحت الكعبة إلى منًى، ثم دحاها من منًى إلى عرفات، ثم دحاها من عرفات إلى منًى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منًى، ومنًى من الكعبة» «محمد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٥٧، ص٢٠٣؛ انظر عبد علي الحويزيّ، نور الثقلين، ج٥، ص٥٠١».

(٤) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، قرآن شناسى «معرفة القرآن»، الدرس العاشر.

قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[١].

لقد كان مضمون وحي أنبياء اللّه ﷺ في تكامل مستمر، وأنَّ الكتاب السماويّ اللاحق يكون أكمل بالقياس إلى الكتب السماويّة السابقة؛ ولهذا السبب كان الوحي وشرائع الأنبياء ﷺ مختلفة في حجم ومستوى التعليمات،[٢] بالرغم من وجود الاشتراك بينها في الأصول، فضلاً عن الاختلاف في بعض المسائل الفرعيّة على حسب مقتضيات الزمان وخصوصيات البيئة وطباع الناس[٣].

إنَّ كل كتاب سماوي بالمقارنة مع الكتب السماويّة السابقة له جاء بتعليمات أشمل وأعمق بالتناسب مع تكامل المخاطبين، فالإنسان في مدرسة الوحي كالتلميذ الذي يرتقي من الصف الأول إلى الصف الذي يعدُّ آخر مرحلة من مراحل الدراسة وأرقاها، حيث ينتهل علومه من أستاذ أفضل ومنهج دراسيّ يشتمل على معارف أكثر وأعمق[٤]؛ بسبب الكفاءة الأعلى التي يحصل عليها، فالقرآن الكريم فيما يتعلق بأفضليّة بعض الأنبياء على بعضهم الآخر يقول: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ ﴾[٥].

---

(١) المائدة/ ٤٨.

(٢) المراد أنَّ الاختلاف كان في مرحلة النزول، وإلا فقد شوهد من قبل البعض اختلاف في الأصول بين الشرائع بعد النزول أيضًا؛ بسبب الظلم والتمرد وتحريف الحقائق، فإنَّ التثليث مثلاً لدى النصرانية اليوم هو على خلاف الإسلام والوحي الإلهيّ.

(٣) في ضوء كلمات القرآن الكريم يكون لكل أمّة مناسك خاصة، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ الحج/ ٦٧؛ ومثالاً على ذلك أنَّ التوراة قد حرَّمت أموراً على اليهود أحلَّها النبي عيسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ آل عمران/ ٥٠.

(٤) انظر: مرتضى مطهريّ، مجموعة الآثار، ج٢، ص١٨٢ و ١٨٣؛ جوادي آملي، شريعت در آينه معرفت (الشريعة في مرآة المعرفة)، ص١٠١و١٠٢؛ انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، راه و رهنما شناسى «معرفة الطريق والدليل المرشد»، ص٢٣٢٢٣٥.

(٥) البقرة/ ٢٥٣.

ولما كان مقام النبوة والرسالة ليس اعتباريًّا، بل هو حقيقيّ؛ لذلك يوجد تناسب بين مقام الأنبياء ﷺ وبين سعة نطاق شريعتهم ووحيهم بالتأكيد، وهذه الآية المباركة تشير إلى أفضليّة بعض الأنبياء ﷺ على بعضهم، كما يمكن استنتاج كمال بعض الكتب السماويّة بالمقارنة مع الكتب الأخرى، من خلال وجود التفاوت فيما يوحى إلى الأنبياء ﷺ.

والشواهد تدل على أنَّ القرآن الكريم هو أكمل بالقياس إلى الكتب السماويّة الأخرى، ولما كان البعض من هذه الشواهد يدل على ذلك بصورة مباشرة، والبعض الآخر يدل على ذلك بصورة غير مباشرة.

٣ـ١. الدليل المباشر على كمال القرآن:

القرآن الكريم متناسب مع كمالات وشأن أمَّة آخر الزمان للأسباب الآتية:

أولاً: النبيّ الأكرم ﷺ هو آخر أنبياء اللَّه ﷺ؛ ومن ثمَّ كان القرآن خالدًا وآخر مرحلة من مراحل الوحي الإلهيّ، وسيكون كتابًا لهذه الأمَّة وكافة أبناء الإنسانية في المستقبل.

ثانيًا: بالنظر لتكامل الناس على مرِّ الزمان، فإنَّ الأمَّة الإسلاميّة تُعتبر كاملة بالمقارنة مع الأمم السابقة؛ ومن ثمَّ يجب أن يكون الكتاب السماويّ لهذه الأمَّة أكمل مرحلة من مراحل البرنامج الإلهيّ للبشر.

وبهذا الصدد، قال اللَّه تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

وكما أشار العلامة الطباطبائيّ، فإنَّ اللَّه تعالى قد امتن في هذه الآية على أمَّة رسول اللَّه ﷺ، والمراد من ذكركم بيان بعض الأمور، منها:

---

(١) الأنبياء/ ١٠.

١ ـ الذكر المختص بهم اللائق بحالهم.

٢ ـ آخر ما تسعه حوصلة الإنسان من المعارف الحقيقيّة العالية.

٣ ـ أقوم ما يمكن أن يجري في المجتمع البشريّ من الشريعة الحنيفيّة[١].

٣ـ٢. كمال الإسلام، دليل غير مباشر على كمال القرآن:

فضلاً عن الأدلّة التي تدل بصورة مباشرة على كمال القرآن الكريم، تدل الأدلّة المتعلقة بكمال الإسلام على كمال القرآن بصورة غير مباشرة، مثل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٢].

بالنظر للمعنى اللغوي للفظة «دين»[٣] وتطبيقاتها القرآنيّة، يكون المراد من الدين في القرآن ـ فيما نُسب للّه تعالى ـ برنامج الحياة[٤]. والمراد من الدين في آية الإكمال منهج الحياة الذي أنزله اللّه إلى الإنسان، وأنَّ الشريعة الإسلاميّة هي أكمل مراحله، وقد وصفته آيات أخرى بدين الحق، من قبيل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٥].

---

(١) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٢٧٧؛ والرأي الآخر في تفسير الآية هو أنَّ معنى ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾؛ أي فيه شرفكم إن تمسكتم به (أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان، ج٧و٨، ص٦٥).

(٢) المائدة/ ٣.

(٣) لفظة دين في اللغة جاءت بمعنى: المذهب، والسجايا، والانقياد، والطاعة (علي اكبر دهخدا، لغت نامه دهخدا «قاموس دهخدا»، ج٧، ص١٠٠٤٢؛ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٢؛ محمد بن يعقوب فيروزآباديّ، القاموس المحيط، ص١٥٦٦).

(٤) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص١٣٤ و ج٢، ص١٣٠ و ج٤، ص١٢٢ و ج١٠، ص١٨٩ و ج١٦، ص١٧٨.

(٥) التوبة/ ٣٣؛ الفتح/ ٢٨؛ الصف/ ٩.

إنَّ جميع المفسرين متفقون على أنَّ الآية الكريمة تدل على كمال الدين، بغض النظر عن الاختلاف الطفيف في بعض الأبحاث[١]. وفي ضوء الشواهد والقرائن النقلية[٢]، يكون الرأي الصحيح[٣] هو أنَّ آية إكمال الدين نزلت في حجة الوداع، عندما تلقى رسول اللّه ﷺ أمر إبلاغ ولاية الإمام علي عليه السلام مع نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة، حيث جمع النبيّ ﷺ جميع الحجيج في محل يُدعى غدير خم، وقام بتنصيب الإمام علي عليه السلام إمامًا على المسلمين من بعده، وبصدد نزول هذه الآية روي بأنَّ الإمام الباقر عليه السلام أكَّد على أنَّ آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت بخصوص تنصيب الإمام علي عليه السلام للولاية من قبل رسول اللّه ﷺ[٤].

وبناء على ما ذكره العلامة الأميني في كتاب الغدير القيِّم أنَّ ١١٠ نفر من الصحابة و٨٤ من التابعين رووا شأن النزول هذا بخصوص آية الإكمال بصورة متواترة[٥]. بل حتى بعضٌ من أهل السُنّة قاموا بجمع هذه الأحاديث، وعدَّوا طائفة من هذه الأحاديث صحيحة على وفق ملاكاتهم، ومن جملة ذلك جمع الطبري في كتاب الولاية طرق ونصوص هذه الأحاديث، وصرَّح بصحة هذا الحديث[٦].

---

(١) للاطلاع أكثر، انظر: التفاسير الخاصة بالآية ٣ من سورة المائدة، لاسيّما الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٠٩-٢٩١؛ عبدالحسين أحمد الأمينيّ، الغدير، ج٢.

(٢) انظر: جمعة العروسّي الحويزيّ، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٥٨٧ و ٥٩٠.

(٣) القول الآخر هو أنَّ هذه الآية نزلت في يوم الجمعة في عرفة (انظر: علي بن أحمد النيسابوريّ، أسباب النزول، ص١٠٥؛ محمود بن عمر الزمخشريّ، الكشاف، ج١، ص٦٣٩)، واعتبر بعض علماء أهل السُنّة أنَّ السبب في إكمال الدين هو نفي المشركين عن بيت الله (انظر: محمد بن جرير الطبريّ، جامع البيان، ج٦، ص٥١).

(٤) انظر: محمد بن يعقوب الكلينّي، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب نص الله ورسوله على الأئمة واحدًا فواحدًا، ح٤.

(٥) انظر: عبدالحسين أحمد الاميني، الغدير، ج٢، ص١٦٤ و ١٦٥.

(٦) انظر: عبدالحسين أحمد الاميني، الغدير، ج١، ص٤٤٨. لقد انتقده بعض المتعصبين بسبب تأليفه لهذا الكتاب وجمعه أسانيد وطرق حديث الغدير. انظر: علي الكورانيّ، پژوهش در أسباب نزول آيه إكمال دين (بحث حول أسباب نزول آية إكمال الدين)، مجلة علوم الحديث، العدد ٧، السُنّة الثالثة، ربيع ١٩٨٨م، ص٩٨.

وعلى أساس شأن النزول هذا الذي يؤيده تناسب صدر الآية مع ذيلها[١]، وصل الدين الإلهيّ والإسلام إلى كماله مع نزول الآية المتعلقة بولاية الإمام علي عليه السلام وإبلاغ النبيّ صلى الله عليه وآله هذا الأمر إلى الناس، وحيث أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للإسلام، فقد ارتبط كمال الإسلام بكمال القرآن الكريم، ثمّ إنّ هناك روايات متعدّدة أيضًا تشير إلى أنَّ الدين الإسلاميّ قد كَمُل مع نزول القرآن الكريم[٢]. ومن جملتها قول الإمام علي عليه السلام: «وأنزل عليكم الكتاب تبيانًا لكل شيء وعمر فيكم نبيه أزمنًا، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه، دينه الذي رضي لنفسه»[٣].

إشكال: قد يقال بأنَّ كمال الدين الإسلاميّ ـ بمعنى برنامج الحياة ـ وكمال القرآن الكريم يمكن أن يتحقق من خلال التوسل بالعقل؛ أي أنَّ الأنبياء وطريق العقل معًا يؤديان إلى كمال الدين، وأنَّ اللَّه تعالى يبيِّن قسم من الدين للعباد من خلال الاستعانة بالعقل، والقسم الآخر بوسيلة الوحي.

الجواب: إنَّ هذا الكلام مخالف مع إكمال الدين الذي يتحقق من قبل اللَّه، نعم قد يؤدي استخدام العقل إلى القرب من اللَّه في النتيجة، إلا أنَّ ظاهر ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ هو أنَّ اللَّه تعالى أكمل الدين من خلال الوحي إلى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، وليس بوساطة العقل[٤].

وعلى فرض أنَّ الدين يكمل من خلال تحقق هدفه أو أهدافه، إلا أنَّ هدف الدين لا يمكن تحققه بالدراسات غير الدينيّة، بل إنَّ هذا الهدف يتحقق من خلال

---

(١) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٨٣ ـ ١٩٤.

(٢) انظر: نهج البلاغة/ الخطبة ١٨ و ١٨٣.

(٣) نهج البلاغة/ الخطبة ٨٦.

(٤) صادق لاريجاني، انتظار از دين (التوقع من الدين)، غير مطبوع.

الدراسات الدينيّة، والمراد من الدراسات الدينيّة توفير الأحكام والمعارف اللازمة لسعادة الإنسان في جميع العصور.

لقد ثبت أنَّ الدين الإسلاميّ عالمي وخالد، إلا أنَّ الأديان السابقة لم تكن كذلك؛ إذن كمال الإسلام يختلف عن الشرائع السابقة، وأنَّ هذا الكمال يدل على جامعيّة.

٣ـ٣. تلازم كمال القرآن وحدوده:

إنَّ كمال القرآن الكريم والإسلام يدل على اتساع نطاق حدود القرآن الكريم، سواء اعتبرنا الكمال له مراتب أو لم نعتبره، وتجدر الإشارة إلى أنَّه يوجد رأيان حول الكمال ومراتبه، ونعتقد ـ على وفق الرأيين كليهما ـ أنَّ اتساع نطاق حدود القرآن من لوازم كمال القرآن والإسلام.

٣ـ٣ـ١. عدم وجود مراتب للكمال وكمال القرآن والإسلام:

إنَّ بعض المفكرين يعدُّون الكمال ليس له مراتب، فالراغب الأصفهاني في تعريفه للكمال، يقول: «كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه»[١]. ثمّ إنّ الفخر الرازيّ يعتقد بأنَّ «الكمال في كل شيء إنَّما يحصل إذا حصل الأصل والفرع معًا»[٢].

في ضوء هذا الرأي يكون الكمال وصفًا لشيء يقع ليتحقق منه الهدف النهائيّ، ولا شك أنَّ الكمال في مثل هذه الصورة لا تكون له مراتب، ولا يمكن الحديث على أساس هذا الرأي عن كمال أكثر أو كمال أقل؛ ذلك لأنَّ الغرض النهائيّ لذلك الشيء ليس هو إلا أمر واحد، وإذا تحقق هذا الغرض سوف يكمل

(١) أبو القاسم الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، مادة كمل، ص٤٥٩.

(٢) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٢، ص٤٧.

وإلا يبقى ناقصًا، وكذلك إذا اعتبرنا الكمال وصفًا لشيء ترتبت عليه جميع الآثار المطلوبة أو اعتبرناه وصفًا لشيء تحققت جميع أجزائه؛ ولهذا ورد في لسان العرب الاعتقاد أيضًا بأنَّ كمال الشيء يتحقق بتمام أجزائه[١]. وفي كل صورة من هذه الصورة يكون الشيء إما كاملاً وإما ناقصًا، وعليه يكون كمال القرآن والإسلام على هذه الشاكلة أيضًا، وما دام اللّه قادر وعالم وأنَّ الأنبياء ﷺ لم يتهاونوا بأداء الرسالة، فقد تحققت تمام الأجزاء المتعلقة بالآثار وهدفها النهائيّ، ومن ثمَّ تكون جميع الكتب السماويّة كاملة[٢].

٣ـ٣ـ٢. للكمال وكمال القرآن مراتب:

الرأي الآخر هو أنَّ للكمال مراتب وصفة وجودية، وهذا يعني بأنَّ هناك موجوداً يمتلك غنًى حقيقيًّا بالمقارنة مع موجود آخر، فعندما نقارن شيئًا مع الأشياء الأخرى، نرى أنَّه يمتلك كمالاً بالقياس إلى بعضها، وللنقص بالمقارنة مع بعضها الآخر.

فالموجود الكامل يمكن أن يكون أكمل؛ وعليه يوجد الفرد الكامل والفرد الأكمل في كل نوع من الأنواع، وأعلى من ذلك كله الكمال المطلق، فمثلاً الإنسان الذي لا يوجد أعلى منه مرتبة هو الإنسان الكامل[٣]. وفيما يتعلق بالدين نستطيع أن نقول أيضًا أنَّ أي دين بالمقارنة مع دين آخر يمكن أن يكون كاملاً، والإسلام بالمقارنة مع سائر الأديان هو أكملها.

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٥٦.

(٢) عبدالكريم سروش، مدارا و مديريت (المداراة والإدارة)، ص٢٧٤؛ دين اقلى و اكثرى (الدين الأقلي والأكثري)، صحيفة كيان، العدد ٤، ص٨، عبد الكريم سروش؛ انتظار بشر از الدين (توقع البشر من الدين)، غير مطبوع، ص٤١ ـ ٥٧؛ مصطفى ملكيان، مجلة نقد ونظر، العدد ٦، ص٤٧ـ٤٨.

(٣) انظر: الشهيد مرتضى مطهريّ، مجموعة الآثار، ج٤، ص٨٨٩ و ٨٩٠؛ الإنسان الكامل، ص١٧و١٨؛ مصباح اليزديّ، خودشناس براى خودسازى (معرفة النفس من أجل بناء النفس)، ص٦؛ محمود رجبيّ، انسان شناسى (الانثروبولوجيا أو علم الإنسان)، ص١٤٢.

إنَّ كل معنًى من أحد معنيي الكمال ـ الذي له مراتب أو الذي ليس له مراتب ـ يكون صحيحًا أو مرادًا، وسواء كان لكمال الإسلام والقرآن مراتب أم لا، فإنَّ كمال الإسلام والقرآن يدل بنحو من الأنحاء على سعة نطاق حدود القرآن، إلا أنَّ ذلك يتضح من خلال بيانين مختلفين:

١ ـ نعتبر أنَّ الكمال ليس له مراتب، ونأخذه على أساس أنَّ معناه حصول تمام الأجزاء والأغراض؛ ولازم هذا المعنى تماميّة الدين الإسلاميّ، والمراد من الدين برنامج الحياة وآخر مرحلة من هذا البرنامج كمال الإسلام والقرآن، ويستنتج من هذا الكلام أنَّ الدين الإسلاميّ والقرآن يعدُّان برنامجًا كاملاً تحققت جميع أغراضه وآثاره، واستجابت للحاجات الإنسانية المختلفة بالمقدار الضروري لتحقيق كمالها، واهتم بالأبعاد المختلفة لوجود الإنسان، إلا في المواضع التي وجد فيها مانع ثبوتي[١].

إنَّ هذا البيان يتضح أكثر مع الأخذ بنظر الاعتبار المقطع الثاني من آية الإكمال الذي يشير إلى النعمة الإلهيّة؛ ذلك لأنَّ الأشياء الموجودة في الكون تصبح نعمًا للإنسان إذا كانت متناسبة مع ما يقتضيه طبعه ووافقت الغرض الإلهيّ والهدف من خلقة الإنسان[٢]؛ أي الكمال والسعادة، فعندما يقول اللّه تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾؛ يعني أنَّ كل شيء تتوقف عليه سعادتكم قد جاء بيانه في الدين، وهذا الأمر يستفاد أيضًا من رواية الإمام علي عليه السلام التي مرَّت، حيث أشار فيها إلى كمال الدين فقال:

«وأنزل عليكم الكتاب تبيانًا لكل شيء وعمر فيكم نبيه أزمنًا، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه، دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابه

(١) صادق لاريجاني، انتظار بشر از دين (توقع البشر من الدين)، غير مطبوع.
(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٩٢.

من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره»[١].

في ضوء هذه الرواية يكون القرآن بيانًا لمختلف حاجات البشر، وقد تحقق بنزوله كمال الدين.

إشكال: إذا أخذنا الدين بمعنى برنامج الحياة، فسوف لا يكمل إلّا بتحقيق الهدف، وعندما يُفهم من آية إكمال الدين «السعة» بأنَّ نفهم الهدف من الدين الإسلاميّ؛ إذن فالاستظهار من لفظ الدين لا يحل أيِّ إشكال.

الجواب: إنَّ الغرض يوجد في نفس برنامج الحياة، وهو منهجة جميع جوانب الحياة، فالبرنامج الموضوع لقسم من حاجات الإنسان لا يعدُّ برنامجًا للحياة، والدين إذا قام ببيان الأمور المتعلقة بالآخرة أو الأخلاق فقط فلا يكون برنامجًا للحياة؛ لأنَّ من لوازم البرنامج الكامل أن يكون له رأي حول جميع الحاجات المعرفية والحركات والسكنات بصورة عامة، على أقل تقدير.

٢ـ أنَّ نأخذ الكمال وصفًا وجوديًّا، وهذا يدل على الاستغناء الحقيقيّ لموجود بالمقارنة مع موجود آخر، وفي مثل هذه الحالة ستتضح دلالة كمال الدين الإسلاميّ والقرآن الكريم على سعة نطاق القرآن الكريم، وفي ضوء هذا المعنى من الكمال يكون كل دين إلهيّ أكمل بالمقارنة مع الدين السابق له، وكل كتاب سماوي أكمل بالمقارنة مع الكتب السماويّة السابقة، ويكون دين اللّه والوحي السماويّ في كمال دائم إلى أن يصل إلى مطلق الكمال، بحيث يشتمل على جميع المعارف والقوانين المتضمّنة لسعادة الإنسانية[٢]، وفيما يتعلق بكمال الدين الإسلاميّ قال الأستاذ محمد تقي جعفريّ:

---

(١) نهج البلاغة/ الخطبة ٨٦.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٣٤.

إنَّ كمال الدين هو عبارة عن استجابة الدين لجميع الأمور الخاصّة بالعلاقات الأربعة «علاقة الإنسان مع نفسه، ومع اللَّه، ومع عالم الكون، ومع أبناء جنسه»[١].

٤ ـ حكومة القرآن بالمقارنة مع الكتب السماويّة الأخرى:

لقد ورد في راوية عن أبي ذر عن رسول اللَّه ﷺ أنَّ اللَّه تعالى بعث ١٢٤ ألف نبي، منهم ٣١٣ رسولاً، وأنزل اللَّه ١٠٤ كتابًا سماويًّا[٢].

كما ورد في رواية أخرى أنَّ جميع أنبياء اللَّه لم يكن لديهم كتاب ما عدى أولي العزم منهم[٣]؛ أي كان لكل من نوح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ شريعة[٤].

وقد روى عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن الإمام الصادق عليه السلام حول سبب تسمية الأنبياء بأولي العزم، أنَّه قال: «لأنَّ نوحاً بُعث بكتاب وشريعة، فكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به، فكل نبي جاء بعد إبراهيم جاء بشريعته ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وبعزيمة ترك الصحف، فكل نبي جاء بعد موسى أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته

---

(١) محمد تقي جعفريّ، فلسفة الدين، ص١٠٩.

(٢) انظر: محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج٢، ص١٧، ح٢؛ محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج١١، ص٣٢، ح٢٤.

(٣) قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف/ ٣٥.

(٤) قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ الشورى/ ١٣؛ إنَّ هذه الآية الكريمة تدل على انحصار الأنبياء أصحاب الشرائع في خمسة أشخاص وهم أولي العزم؛ ذلك لأنَّ الآية المباركة بصدد الامتنان وبيان نعمة الله على الأمّة الإسلاميّة، بدليل أنَّ الإسلام جامع لكافة الشرائع الإلهيّة الماضية (انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٢٩).

ومنهاجه حتى جاء محمد ﷺ فجاء بالقرآن وشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة فهؤلاء أولو العزم من الرسل»[١].

إنَّ النصارى يؤمنون بكل من قسمي الكتاب المقدس؛ أي العهد القديم والعهد الجديد، والعهد القديم هو بيان للعهد القديم بين اللَّه وبين بني إسرائيل بوساطة الأنبياء الذين سبقوا عيسى عليه السلام، والعهد الجديد هو بيان لعهد ما بقي من الكتب السماويّة السابقة للقرآن الكريم.

يتكون الكتاب المقدس من قسمين رئيسيين وهما: العهد القديم والعهد الجديد، واليهود يؤمنون بالعهد القديم ويطلقون عليه عهد أو «تَنَخ»[٢]. وقد كُتب العهد القديم باللغة العربية وقليلاً منه باللغة الكلدانية، وسميت هذه المكتوبات العهد القديم عند المسيحيين، وعددها ٣٩ كتاباً تمَّ تقسيمها على ثلاثة أقسام[٣] وهي: «التوراة» و «الأنبياء»[٤] و «الكتب»[٥]. وتضم التوراة سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية.

إنَّ اليهود والنصارى يعتقدون بأنَّ التوراة من تدوين النبيّ موسى عليه السلام، وكتب العهد القديم الأخرى منسوبة لبعض الأنبياء[٦]، إلا أنَّ بعض الباحثين المتنورين

---

(١) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج١١، ص٣٢، ح٥٥، الباب ١.

(٢) إنَّ هذه اللفظة بنيت من ثلاثة أحرف وهي «ت»: التوراة (باللغة العبرية «توراة»)، و «ن»: الأنبياء (باللغة العبرية «نڤيئيم»)، و «خ»: الكتب (باللغة العبرية «كيتوڤيم»مع تبديل «ك» إلى «خ» على وفق قواعد تلك اللغة) حسين توفيقي، آشناين با اديان بزرگ (التعرُّف على الأديان الكبرى)، ص٩٧.

(٣) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحيّ، ترجمة حسين توفيقيّ، ص٢٢ و٣١ـ٤٢.

(٤) ويتضمن كتب الأنبياء السابقين، مثل: يشوع، القضاة، كتاب صموئيل الأول والثاني، وكتاب الملوك الأول والثاني، وأشعياء، وأرمياء، وحزقيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

(٥) ويتضمن الكتاب الأول والثاني من أخبار الأيام، وكتب عزرا، ونحميا، وأستر، وراعوث، والمزامير، وأمثال سليمان النبي، وأيوب، ومراثي إرمياء، والجامعة (سليمان)، ونشيد الأنشاد (سليمان ودانيال).

(٦) انظر: هنري تيسن، إلهيات مسيحي، ترجمة طه ميكائيليان، ص٥١ـ٥٣.

يعتقدون بأنَّ اليهود كانوا يتناقلون روايات النبيّ موسى ﷺ وسيرة حياة بني إسرائيل على الألسن إلى سنوات بعده، ثمَّ جُمعت هذه الروايات، ودوِّنت هذه المجاميع في كتب في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان النزر القليل منها خطابًا إلهيًا مباشرًا[١].

والعهد الجديد الذي هو عقيدة النصارى، ويعدُّ عهد إلهيّ جديد لجميع الناس، وقد دوِّن باللغة اليونانية، ويشتمل على ٢٧ كتابًا، وهو ينقسم بحسب الموضوع على الأقسام الأربعة الآتية[٢]:

١ ـ الأناجيل،[٣] وتشتمل على إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

٢ ـ أعمال الرسل، وتشتمل على كتاب واحد في شرح أحوال الرسل.

٣ـ رسائل الرسل، وتشتمل على ثلاثة عشرة رسالة.

٤ ـ الرؤيا، وتشتمل على كتاب واحد باسم رؤيا يوحنا.

إنَّ النصارى لا يعتقدون بأنَّ عيسى ﷺ جاء بكتاب اسمه الإنجيل[٤]، بل يعدُّون الأناجيل الموجودة تقارير سيرته وكلماته التي كتبها بعض حواريه وأتباعه، وأنَّ معظمها ليست وحيًا من اللَّه، لكن كانت تستحق أن تُحترم في نظرهم ككتب سماوية وإلهام إلهيّ[٥]؛ لأنَّهم يعتقدون بأنَّ تدوينها ناجم عما

---

(١) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة حسين توفيقي، ص٢٨؛ حسين توفيقي، آشنايى با اديان بزرگ (التعرُّف على الأديان الكبرى)، ص١٦٤و ٢٢٩ و ٢٤٥.

(٢) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة حسين توفيقي، ص٤٢ـ٦٤؛ حسين توفيقي، آشنايي با اديان بزرگ (التعرُّف على الأديان الكبرى)، ص٢٢٩.

(٣) الإنجيل باللغة اليونانية معناه بشارة.

(٤) حسين توفيقي، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٥) انظر: كلام مسيحي، ص٢٦، ٤٩؛ أعمال الرسل، ١: ١٦.

يستلهمه مؤلفيها من اللّه، فقد جاء في العهد الجديد: «كل الكتاب هو موحى به من اللّه»[١] ثمّ إنّ مجلس الفاتيكان الأول أشار إلى عقيدة الكاثوليكيين الجدد بالكتاب المقدس بالقول:

ما دام هذا الكتاب كُتب بإلهام من الروح القدس، يمكن القول بأنَّ الكاتب هو اللّه[٢].

٤ـ١. الأدلّة:

إنَّ القرآن الكريم يُعرِّف نفسه بأنَّه مُصدِّقٌ لجميع الكتب السماويّة الأخرى ومهيمن عليها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٣].

وفي ضوء كلام الإمام السجاد عليه السلام، أنَّ المراد من الآية الشريفة هو أنَّ القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السماويّة، حيث يقول في دعائه وهو يتضرع إلى اللّه: «جعلته مهيمنًا على كل كتاب أنزلته»[٤].

ومعنى هيمنة القرآن على الكتب السماويّة الماضية هو أنَّ القرآن بالقياس إلى الكتب السماويّة الماضية حافظ على أصولها الثابتة وغير المتغيرة، ونسخ فروعها التي لا تتناسب مع المرحلة الزمانية وبحسب تكامل الحياة الإنسانية ورقيها، وجاء بشيء غيرها[٥].

---

(١) الكتاب المقدس، الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس، ٣: ١٦.

(٢) انظر: جون هيك، فلسفة الدين، ترجمة بهرام راد، ص١٢٠.

(٣) المائدة/ ٤٨.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢، المقطع الأول.

(٥) انظر: المصدر السابق، ج٥، ص٣٤٨.

كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[١]. أنَّ القرآن يشتمل على مضامين سائر الكتب السماويّة.

إنَّ هذه الآية الكريمة من خلال بيان الامتنان الإلهيّ على النبيّ الأكرم ﷺ، تدل على أنَّ كل الأمور التي أوحيت إلى الأنبياء أولي العزم عليهم السلام أوحيت إلى النبيّ الأكرم ﷺ أيضًا، والقرآن الكريم جامع لها، والعلامة الطباطبائيّ رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة يصرِّح بأنَّ شريعة رسول اللَّه ﷺ جامعة لكل ما جل ودق من العقائد والأحكام؛ بخلاف شرائع غيره فقد كانت محدودة بما هو الأهم المناسب لحال أممهم والموافق لمبلغ استعدادهم[٢].

بناء على ذلك، فإنَّ الآية الكريمة تدل على حاكميّة القرآن الكريم على الكتب السماويّة الأخرى؛ ذلك لأنَّ من لوازم حاكمية الإسلام وجامعيّته بالمقارنة مع الشرائع الماضية، هيمنة الكتاب والمصدر الأساسي لتعاليم هذا الدين وقضاياه؛ أي هيمنة القرآن على كتب الشرائع الماضية.

٤ـ٢. التلازم بين حاكميّة القرآن وجامعيته:

نفهم من الآيات والروايات المتعلقة بهيمنة القرآن الكريم على سائر الكتب السماويّة أنَّ القرآن الكريم يشتمل على جميع المعارف والأحكام التي فيها، بل أكثر من ذلك[٣]. ومع أنَّ هذا الأمر لا يُعيِّن حدود القرآن الكريم بصورة دقيقة، إلا أنَّه قد ورد في الروايات أنَّ اللَّه تعالى أعطى النبيّ الأكرم ﷺ كل علم، إلا أنَّه أعطى بعض العلم لبقية الأنبياء عليهم السلام، ولإثبات هذا الأمر أشاروا إلى المقارنة بين القرآن والكتب السماويّة الأخرى، مثل التوراة والإنجيل، حيث جاء في القرآن

---

(١) الشورى/ ١٣.

(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٢٨ و ٢٩.

(٣) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، القرآن في الإسلام، ص٢٢.

تبيان كل شيء، ولم يأتِ في الكتب السماويّة إلا بعض الأمور، ومن جملة الأدلّة التي ذكروها أيضًا:

١ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه الإمام السجاد عليه السلام قال: «ما بعث اللّه نبيًّا إلا أعطاه من العلم بعضه ما خلا النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه أعطاه من العلم كله فقال: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[١]، وقال: ﴿كَتَبْنَا لَهُ «لموسى عليه السلام» فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[٢] وقال: ﴿الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[٣] ولم يخبر أنّ عنده علم الكتاب، والمن لا يقع من اللّه على الجميع، وقال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٤] فهذا الكل ونحن المصطفون»[٥].

إنّ الفارق بين عبارة «أعطاه من العلم كله» بخصوص علم النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وبين ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ بخصوص النبيّ موسى عليه السلام يدل بوضوح على ما ذهبنا إليه.

٢ ـ قارَنوا في بعض الروايات بين القرآن وبين التوراة والإنجيل من أجل بيان أعلميّة الإمام علي عليه السلام الذي أخذ علمه من القرآن بالقياس إلى علم الأنبياء أولي العزم، ومن جملتهم النبيّ موسى عليه السلام والنبيّ عيسى عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ اللّه قال لموسى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[٦] لم يقل «كل

---

(١) النحل / ٨٩.

(٢) قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الأعراف/ ١٤٥.

(٣) النمل / ٤٠.

(٤) فاطر / ٣٢.

(٥) فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص١٤٦؛ انظر: محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٦٥.

(٦) الأعراف/ ١٤٥.

شيء»، وقال في عيسى ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[١] ولم يقل «كل شيء»، وقال في صاحبكم محمد ﷺ ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾»[٢].

يُفهم من هذه المقارنة أنَّ القرآن الكريم ـ على خلاف التوراة والإنجيل ـ شامل لكل شيء[٣].

كما روي عن رسول اللّه ﷺ أنَّه قال: «أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود»[٤].

٤ـ٣. النتيجة:

إنَّ بعض أوصاف القرآن مثل: العالمية، والخلود، والكمال، والحاكمية، تدل على جامعيّة وسعة نطاق القرآن الكريم بالقياس إلى الكتب السماويّة الماضية كما مرَّ سابقًا، لكنّها لا تُعيِّن بدقة الأمور التي تشملها حدود القرآن والأمور التي لا تشملها هذه الحدود.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ الزخرف/ ٦٣.

(٢) محمد بن الحسن الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٢٨، الجزء ٥، الباب ٥، ح٦؛ وقد جاء مضمون هذا الحديث مع فرق طفيف في هذا الباب نفسه من بصائر الدرجات وفي كتب أخرى، ومن جملتها: تفسير العياشيّ، ج٢، ص٢٦٧؛ بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٩٩ و ج٣٥، ص٤٣٣ و ج٨٩.

(٣) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٥٢.

(٤) أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، ح١٠.

الفصل الخامس
أهداف القرآن الكريم وحدوده الموضوعيّة

أهداف القرآن الكريم وحدوده الموضوعيّة

من جملة الأمور التي يمكن أن تعيننا على التوصل لمعرفة حدود القرآن الكريم أمران، أحدها أهداف هذا الكتاب الإلهيّ، والأمر الأخر أهداف رسول اللّه محمد ﷺ، والارتباط بين أهداف النبيّ الأكرم ﷺ وبين حدود القرآن ينطلق من كون النبيّ ﷺ كان يحقق أهدافه عن طريق الآيات وإرشادات القرآن الكريم.

والجدير بالذكر أنَّ الأدلّة والشواهد المتعلقة بأهداف النبيّ ﷺ تدل على هذا الأمر بصورة غير مباشرة؛ بناء على ذلك، سنتناول في هذا الفصل البحث حول الأدلّة والشواهد المتعلقة بأهداف القرآن الكريم وأهداف رسول اللّه ﷺ.

وحيث أنَّ النبيّ محمد ﷺ آخر الأنبياء ودينه آخر مرحلة من مراحل الدين الإلهيّ؛ لهذا فإنَّ هدفه يشمل أهداف أنبياء اللّه الآخرين أيضًا؛ بناء على ذلك سنتعرَّض لآيات وروايات تبيِّن أهداف الأنبياء الآخرين والكتب السماويّة الأخرى أيضًا.

إنَّ ما يُطرح حول منهج التوصل إلى أهداف القرآن الكريم، هو ما كان يُطرح حول منهج كشف الحدود الموضوعيّة للقرآن، لكن هل هذا المنهج هو غير ديني أو ديني أو تلفيقي؟ الظاهر أنَّ المنهج الصحيح للتوصل إلى أهداف القرآن الكريم هو الاستناد إلى الآيات والروايات.

إنَّ التوصل إلى نطاق أهداف القرآن من خلال الآيات والروايات يمكن أن يكون بوساطة منهجين:

١ ـ دراسة الآيات التي تبيِّن أهداف القرآن بصورة عامة، بحيث لا يمكن التوصل إلى أهداف القرآن بالتفصيل من خلال هذا المنهج.

٢ ـ دراسة الآيات التي تُبيِّن أهداف القرآن وأهداف الأنبياء والكتب السماويّة الأخرى بالتفصيل.

وسنتعرَّض في هذا البحث للمنهج الأول؛ حيث يُستفاد من بعض الآيات بأنَّ القرآن الكريم قد بيَّن كل ما يبعث على سعادة البشر أو شقاوتهم، وفي ضوء العمل بهذه الآيات يُخرجهم اللَّه من الظلمات إلى النور[١]، ومن جملة هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص١٣.
(٢) المائدة/ ١٥و١٦.

والمراد من الظلمات الضلال، والمراد من النور[١] الهداية[٢]، حيث توجد لذلك مصاديق مختلفة، والآية تشير إلى أنَّ مصداق الإخراج من الظلمات إلى النور هو الهداية إلى صراط اللَّه[٣]. والقرآن الكريم يشير أيضًا إلى أنَّ رسول اللَّه ﷺ يُخرج الناس من الظلمات إلى النور بالقرآن الكريم[٤]. قال تعالى: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٥].

إنَّ الأنبياء عليهم السلام وكتبهم الوحيانيّة ـ ومنهم النبيّ محمد ﷺ والقرآن الكريم ـ تقوم في البداية بالعمل على إشباع حاجة الإنسان من العلم والمعرفة، ومن ثمَّ تُصلح أخلاقه وسلوكه وتوجّه بواعثه القلبية والروحيّة نحو ذلك الاتجاه؛ من أجل إيصاله إلى الكمال والسعادة حتى ينطلق في ميادين العمل، ويعزم على الجد والاجتهاد في سبيل اللَّه، وينال الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾[٦].

على أساس ذلك، يمكن تقسيم أهداف الرسول الأكرم ﷺ والقرآن الكريم على أربعة مجاميع؛ المجموعة الأولى ناظرة إلى البعد الفكري لدى الإنسان،

---

(١) جمعت الظلمات دون النور؛ لأنَّ الهدى من الحق والحق واحد لا تغاير بين أجزائه و مصاديقه ولا كثرة بخلاف الضلال فإنَّه من إتِّباع الهوى، والأهواء مختلفة متغاير بعضها مع بعض لا وحدة بينها ولا اتحاد لأبعاضها ومصاديقها (انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٤).

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى/ ٥٢.

(٣) إنَّ الله تعالى بعد أن يُبينِّ أموراً مؤثّرة في سعادة الإنسان، يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ﴾ الأنعام/ ١٥٣؛ وانظر: الحجر/ ٤١؛ مريم/ ٣٦؛ الزخرف/ ٤٣.

(٤) إنَّ القرآن الكريم يشير إلى أنَّ هذه الوظيفة كانت من وظائف النبي موسى عليه السلام أيضًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم/ ٥.

(٥) إبراهيم/ ١.

(٦) الأنفال/ ٢٤.

والمجموعة الثانية تتناول فطرة الإنسان وطبعه، والمجموعة الثالثة تهتم بغايات الإنسان، والمجموعة الأخيرة تُغطّي فعل الإنسان وسلوكه[١].

١ ـ الأهداف الفكريّة:

إنَّ الاستعانة بالفكر من جملة الأمور اللازمة للوصول إلى موطن السعادة والسرور كما ذكرنا سابقًا، فالقرآن جاء من أجل إيصال الإنسان إلى السعادة، وتلبية حاجته المعرفيّة؛ لذلك فإنَّ من جملة الأهداف الفكريّة للقرآن الصادر من علم اللّه العالم بجميع الحقائق، ما يلي:

١ ـ ١. التذكير:

إنَّ اللّه تعالى جعل مجموعة من الحقائق في دائرة اختيارات الإنسان عن طريق الفطرة والعقل، فالإنسان بعقله وفطرته يتمكن من إدراك بعض الأمور بالكامل أو يتوصل إلى معرفتها بقدر محدود، لكنَّه أحيانًا ينساها على أثر الأنس بالأمور الدنيويّة والأهواء النفسية والوساوس الشيطانية أو القضايا الأخرى، ومن الممكن أن تغفل بعض المجتمعات عن المسائل الدينيّة بالكامل وتصبح هذه الغفلة عامة، بحيث أن الناس أنفسهم لا يتمكنون من أن يفعلوا شيئًا، وفي مثل هذه الصورة يكونون بحاجة إلى تذكير؛ من أجل أن تستعيد هذه المعلومات فاعليتها لديهم.

---

(١) إنَّ التقسيم المذكور مقتبس من محمود رجبي، اهداف قرآن و شروط و موانع بهره مندى از آن (أهداف القرآن وشروط وموانع الاستفادة منه)، مجلة معرفت، العدد ٢٤، علماً أنَّي استعنت بهذه المقالة كثيرًا في تدوين هذا الفصل. علماً أنَّ هذه الأهداف يمكن تقسيمها بصور أخرى أيضًا: ١ـ على أساس سلوك الإنسان الفردي والاجتماعي، ٢ـ على أساس طائفتين من الناس؛ مطيع وغير مطيع، وأنَّ ملا صدرا في تفسيره يقسم أهداف الأنبياء ﷺ على هذا الأساس (انظر: تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص١٣٦ و ج٤، ص٢٣٥ و ج٧، ص١٣٩).
٣ـ التقسيم على الأهداف التعليمية والتربوية (انظر: عبدالله نصري، مبانى رسالت انبياء (مباني رسالة الأنبياء)، ص٦٣).

وربما لم يكن قد حدث نسيان في بعض الأحيان، ولكن تكون هناك حاجة للتأكيد والتذكير؛ من أجل الالتفات أكثر، ومن هنا فإنَّ لفظة «ذكر» واشتقاقاتها مثل: «ذكرى» و «تذكرة» و «مذكر» و «مذَّكر» التي هي بمعنى التذكير لا عن نسيان وإعادة الذكر لأمر منسي[١]، استخدمت بصورة مكررة في القرآن الكريم[٢] بخصوص الكتب السماويّة[٣]، وأنبياء اللَّه؛ فالقرآن الكريم بصدد تعريف نفسه يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤]. ويقول:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٥].

كما يُفهم من القرآن الكريم أنَّ التذكير وإخراج الناس من الغفلة من جملة وظائف أنبياء اللَّه، فالقرآن يخاطب النبيّ الأكرم ﷺ قائلاً: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٦].

إنَّ الأنبياء ﷺ يوجهون أنظار الناس إلى النعم الإلهيّة، فضلاً عن التذكير بالأمور العقليّة والفطريّة، مثل معرفة اللَّه والتوحيد؛ لكي يتمكنوا عن هذا الطريق بترغيبهم على شكر اللَّه، ومن ثمَّ إيصالهم إلى الفوز والفلاح، فقد حمل الأنبياء ﷺ مسؤولية التذكير بمعرفة اللَّه والتوحيد والنعم الإلهيّة؛ ليستثمروا هذا الطريق من أجل إزالة الحجاب عن العقل والفطرة، ففي رواية أنّ الإمام عليًّا ﷺ ضمن بيان أسباب بعثة الأنبياء ﷺ، أشار إلى هذا الأمر فقال: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ

---

(١) انظر: الراغب الأصفهانيّ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٨١، مادة ذكر.

(٢) للتعرُّف على استعمالات لفظ «ذكر» واشتقاقاتها حول القرآن، انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، قرآن شناسي (معرفة القرآن)، تحقيق وتدوين محمود رجبي، ص٤٧-٥٠.

(٣) وكذلك أطلق القرآن الكريم على ما أنزل الله على النبي هود ﷺ «ذكر»، قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ الأعراف/ ٦٩.

(٤) التكوير/ ٢٧.

(٥) القمر/ ١٧؛ وكذلك في الآيات ٢٢ و ٣٣ و ٤٠.

(٦) الغاشية/ ٢١.

وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»[١].

إنَّ عبارة «ميثاق فطرته» تشير إلى النتائج الفطريّة، مثل: معرفة اللَّه الفطريّة، وإنَّ عبارة «دفائن العقول» تشير إلى النتائج العقليّة.

١ـ٢. إزالة الغفلة:

إنَّ كمال الإنسان مرهون بتصرفاته الاختيارية، ويجب عليه اختيار الطريق الصحيح من بين طرق عدَّة، ولغرض هذا الاختيار يجب عليه أن يلتفت للطرق المختلفة ومنافع ومضار كل منها، وإنَّ الإنسان يغفل أحيانًا عن الالتفات إلى الطرق المختلفة كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك، ولا يلتفت أبدًا إلى اللَّه والآخرة والآيات الإلهيّة[٢] ومعارف الحق وطرق التكامل بسبب جموح الغرائز، فضلاً عن أن يقوم باختيارها ويتمسك بها ويتحرك نحوها، وهذه الغفلة هي منشأ جميع الضلالات والانحرافات، ففي وصف أهل جهنم قال اللَّه تعالى في كتابه الكريم: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٣].

ثمّ إنّ القرآن الكريم يعدُّ نجاة الناس من الغفلة أحد أهدافه التي تتحقق من خلال إنذار الناس وتوعيتهم، وهو ما جاء في الآية من قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١.

(٢) انظر: بحسب الترتيب: الأعراف/ ٢٠٥؛ الروم/ ٧؛ الأعراف/ ١٣٦.

(٣) الأعراف/ ١٧٩.

(٤) يس/ ٥ و ٦.

١ـ٣. تمييز الحقّ عن الباطل وبيان الدليل على المعرفة:

مع أنَّ الإنسان قادر على تمييز الحق عن الباطل في أمور كثيرة بوساطة الطرق المعرفية مثل العقل والقلب والوحي، إلا أنَّ الحق يشتبه مع الباطل أحيانًا إلى درجة أنَّ الإنسان صاحب الفطرة السليمة يعجز عن تمييز الحق؛ لأسباب مختلفة من قبيل الوساوس الشيطانية[١]، وفي مثل هذه الحالة يجب أن يكون هناك ميزان لتمييز الحق عن الباطل، والقرآن الكريم يعدُّ تمييز الحق عن الباطل هي من جملة أهدافه.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ﴾[٢].

وفضلاً عن تشخيصه للحق فإنَّ القرآن الكريم، يُعرِّف مصادر أخرى أحيانًا لتشخيص الحق من الباطل، من قبيل التصريح بحجيّة قول النبيّ ﷺ، حيث توجد آيات كثيرة تؤكِّد على لزوم إطاعة أنبياء اللَّه عليهم السلام[٣]، لاسيّما رسول اللَّه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ﴾[٤].

إنَّ تتبع الآيات التي تأمر بإطاعة الرسول ﷺ تدل على أنَّ الامتثال لأوامره ونواهيه هي طاعة للَّه، وهذه الطاعة في جميع الأبعاد، ومن جملة هذه الآيات

---

(١) النساء/ ٨٢.

(٢) البقرة/ ١٨٥.

(٣) مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾ النساء/ ٦٤؛ وانظر: آل عمران/ ٣٢؛ النساء/ ٨٠؛ النجم/ ٣ـ ٤.

(٤) الحشر/ ٧.

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[١].

ثمّ إنّ القرآن الكريم يأمر الناس بتوجيه الأسئلة للعلماء، لاسيّما أهل البيت ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

إنَّ هذه الآية الكريمة وإن كانت تأمر الناس بالرجوع إلى علماء اليهود؛ لكونهم على علم بقدرة الإنسان على تلقي الوحي، إلا أنَّ هذا الأمر يشمل الرجوع إلى كل عالم، وقد دلَّت الروايات المتعدد أنَّ أهل البيت ﷺ هم أهل الذكر[٣]، والمصداق الأكمل لذلك[٤].

إنَّ القرآن الكريم فضلاً عن بيانه للحق وطريق التكامل الحقيقيّ، يضمن ثبات ذلك بالاستناد إلى أدلّة واضحة ويقينيّة، وقد أشار إلى هذه الحقيقة في جملة من الآيات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾[٥].

البينات جمع بينة بمعنى الدلالات الواضحات[٦]. إنَّ هذه الآية الكريمة تصف القرآن الكريم بأنَّه يشتمل على دلالات واضحات للهداية إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٧].

---

(١) النساء/ ٨٠.

(٢) الأنبياء/ ٧.

(٣) انظر: محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّ أهل الذكر... هم الأئمة.

(٤) انظر: محمد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج٢، ص٢٤٦ ـ ٢٤٨.

(٥) البقرة/ ١٨٥.

(٦) انظر: مجمع البيان، ج٣، ص٤٤٣.

(٧) النساء/ ١٧٤.

وعلى وفق أحد الاحتمالات فإنَّ المراد من البرهان القرآن الكريم[١]، ففي هذه الآية الكريمة سمَّى اللَّه تعالى القرآن برهاناً، وحيث أنَّ البرهان يعني الدليل والحجة[٢]؛ فعليه يكون القرآن الكريم وسيلة لمعرفة الطريق الصحيح والمؤدي للسعادة.

١ـ٤. رفع الاختلاف:

لقد وجدت بين الناس اختلافات وسوف توجد أيضًا، وهم غير قادرين على رفعها ويحتاجون من أجل ذلك إلى مرشد إلهيّ؛ وعليه فإنَّ القرآن الكريم عدَّ رفع الاختلاف أحد الدواعي لنزول الكتب السماويّة وبعثة أنبياء اللَّه عليهم السلام، قال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٣].

يستفاد من هذه الآية الكريمة[٤] أنَّ الناس كانوا في عهد من العهود يمتلكون عقيدة واحدة، ويعملون على وفق أوامر نبيهم؛ أي النبيّ آدم عليه السلام، مع أنَّه ربما كان بعضهم يرتكب المعصية أيضًا، إلا أنَّه لم يكن الانحراف عن التوحيد في الفكر والاعتقاد مسلكًا، وكان التوحيد الذي جاء به النبيّ آدم عليه السلام يتمتع بالعموميّة، إلى أن مضت فترة حتى ظهرت بعد ذلك المذاهب المختلفة وضاع الحق في

(١) انظر: مجمع البيان، ج٢، ص١٤٧؛ الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٦٠، إنَّ هذين المصدرين ومصادر أخرى عدَّت نفس النبي محمد صلى الله عليه وآله، وولاية الإمام علي عليه السلام، ودين الحق من مصاديق البرهان في هذه الآية (انظر: تفسير البرهان، ج٢، ص٣٠٤؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، جوامع الجامع، ج١، ص٣٠٦).

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج٥، ص٢٠٧٨.

(٣) البقرة/ ٢١٣.

(٤) إنَّ هذه الآية الكريمة يوجد فيها بحث من جهات متعددة، وقد تعرَّض العلامة الطباطبائيّ رحمه الله بالتفصيل إلى جوانب هذا البحث المختلفة (انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٢٧ـ ١٦٢).

المجتمع، وأصبح الناس بحاجة إلى أنبياء آخرين[١]. فبعث اللّه النبيّين وأنزل معهم الكتاب لرفع هذا الاختلاف.

إنَّ بعض المفسرين يعتقدون بأنَّ المراد من الاختلاف الذي أشارت له الآية الكريمة، هو اختلاف الناس في الحياة الاجتماعيّة المعقدة التي ظهرت بعد مضي الحياة البسيطة على أثر اتساع دائرة مستلزمات الحياة البشرية[٢]. ويحتمل أيضًا أنَّ المراد من الآية الكريمة نوعي الاختلاف كليهما.

كما توجد آيات أخرى في القرآن الكريم تشير إلى هذا الهدف من أهداف أنبياء اللّه أيضًا[٣]، ففيما يتعلق بهدف النبيّ الأكرم ﷺ والقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٤].

بناء على ذلك تكون من جملة أهداف القرآن الكريم رفع الاختلافات الدينيّة عن طريق بيان القوانين الإلهيّة وإزالة البدع عن الدين.

١ ـ ٥. إصلاح التحريف في الدين:

إنَّ إصلاح التحريف في الدين هو أحد الأهداف الأخرى للأنبياء ﷺ، وإنَّ الناس الذين حُرِّف كتابهم السماويّ وأحكامه الإلهيّة يُعدون عداد الذين ليس لهم نبي ولا كتاب، فهم بحاجة إلى نبي ووحي من أجل إصلاح الأقسام المحرفة من دينهم، لاسيّما أنَّ محتوى دعوة النبيّ السابق التي كان وسيلة للّهداية يؤدي

---

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، راه و رهنما شناسى، «معرفة الطريق والدليل المرشد»، ص٣٤ ـ ٣٥؛ ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، پيام قرآن (رسالة القرآن)، ج٧، ص٣٢٣٣.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٢١٣.

(٣) يقول القرآن الكريم عن النبي عيسى ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ الزخرف/ ٦٣.

(٤) النحل/ ٦٤.

أحيانًا إلى إضلال الناس مع مرور الزمن أو بسبب عوامل أخرى إثر وجود هذا التحريف.

مثلاً لا يوجد الآن أي جزء من الإنجيل النازل من عند اللّه على النبيّ عيسى عليه السلام بين أيدينا، وقد لا يُعثر على أي نسخة من النسخ الأصليّة للإنجيل في كافة مكتبات العالم، فالإنجيل الموجود حاليًّا هو منسوب إلى تلاميذ النبيّ عيسى عليه السلام[١]، بل حتّى نسبة هذه الأناجيل هي ليست بثابتة الإسناد إليهم ثبوتًا قطعيًّا[٢]؛ لأنَّ لحن هذه الأناجيل الأربعة شبيه بلحن كتب التاريخ والسيرة، وتوجد فيها مواضيع ممزوجة بالشرك ومخالفة للعقل والشرائع السماويّة، وحُرِّفت فيها الأحكام التي أجمعت عليها الكتب السماويّة[٣].

إنَّ بعض الآيات القرآنيّة تشير إلى أنَّ علماء أهل الكتاب نسبوا كتاباتهم إلى اللّه لغرض مصالحهم الشخصيّة[٤]. وكانوا يخفون على الناس مجموعة من الأحكام والمعارف الإلهيّة، وبالنتيجة أصبح الدين عرضةً للتحريف، وعليه بعث اللّه رسوله صلى الله عليه وآله وأنزل معه القرآن الكريم؛ من أجل إصلاح الانحرافات ورفعها من خلال تبيين الحق للناس، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[٥].

---

(١) انظر: مريل سي. تني، معرفى عهد جديد (التعريف بالعهد الجديد)، المترجم طه ميكائيليان، ص١٣٥-٢٢١؛ توماس ميشيل، كلام مسيحيّ، ترجمة حسين توفيقي، ص٢٦ ـ ٢٧ و ٤٢ ـ ٤٧؛ لقد جاء في الصفحة ٤٣ من هذا الكتاب: (نحن المسيحيون، كتبة العهد الجديدالأناجيل الأربعةلا نعرف نبيًّا؛ ولكن نعتقد بأنَّ جميعهم عملوا في كل ما كتبوه بالإلهام الإلهيّ)، إلا أنَّ المسيحيين ليس لم يأتوا بدليل على هذا المدعى وحسب، بل إنَّ الدليل أقيم على خلاف ذلك أيضًا (انظر: رحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص١٦٠ ـ ١٩٩).

(٢) (انظر: رحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص٥٥ ـ ٨١).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٣٧١ ـ ٣٩٤؛ محمد جواد البلاغي، الهدى إلى دين المصطفى، ص٣٥ ـ ٤٠.

(٤) قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ البقرة/ ٧٩.

(٥) المائدة/ ١٥.

١ـ٦. إيجاد الأرضيّة للتفكُّر:

مع أنَّ عقل الإنسان وقلبه يدركان الكثير من الحقائق ويذعن إليها من أعماق روحه، إلا أنَّ هيمنة الأهواء النفسيّة على العقل تمنع من التفكير في هذه الحقائق والاعتراف بها، وأنَّ من جملة أهداف القرآن الكريم إيجاد الأرضيّة للتفكير إذ أشار إلى ذلك بعبارات مختلفة، كما في بعض الآيات التي طرح فيها مسألة استخدام العقل، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

وفي آية أخرى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[٢].

وبعض الروايات كقول رسول اللَّه ﷺ: «ولا بعث اللَّه نبيًّا ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من عقول أمته»[٣].

وبعض الآيات المتعلقة بالتدبّر، ومن جملة ذلك الدعوة إلى التدبّر في آيات القرآن من أجل توفير الأرضيّة للإنسان ليُدرك حقانيّة القرآن[٤]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٥].

وهناك آيات في القرآن أيضًا تعتبر التفكر هدف من أهداف نزول القرآن باستخدام لفظة «تفكر» واشتقاقاتها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦].

---

(١) يوسف/ ٢.

(٢) الأنعام/ ٦٩.

(٣) انظر: أصول الكافي، ج١، باب العقل والجهل، ح١١، ص١٤.

(٤) من قبيل: النساء/ ٨٢؛ محمد/ ٢٤.

(٥) ص/ ٢٩.

(٦) النحل/ ٤٤.

إنَّ القرآن في مقام العمل أيضًا يحاول من خلال التذكير أو بيان الآيات وتوضيحها[١] بالأمثلة أو التوصيفات المختلفة[٢]، وسرد القصص بأفضل بيان[٣]، أن يدعو الإنسان إلى التفكر في الدنيا والآخرة؛ لكي يُدرك زوال الدنيا وخلود الآخرة ويسعى من أجل آخرته.

١ـ٧. التعريف بالتوحيد والدعوة إليه:

إنَّ التعريف بوحدانيّة اللَّه من أهداف أنبياء اللَّه؛ لذلك يخاطب اللَّه الرسول الأكرم ﷺ في قول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٤].

كما يذكر القرآن الكريم بأنَّ تعريف الناس بوحدانية اللَّه هو من جملة أهدافه، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٥].

ويصف القرآن الكريم الدعوة إلى التوحيد والابتعاد عن الشرك بالهدف الأساسي للرسل، والعنوان الرئيسي لبرنامج جميع أنبياء اللَّه عليهم السلام[٦] بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٧].

---

(١) البقرة/ ٢٢١.

(٢) الحشر/ ٢١.

(٣) الأعراف/ ١٧٦.

(٤) الأنبياء/ ٢٥.

(٥) إبراهيم/ ٥٢.

(٦) نوح/ ٣؛ هود/ ٥٠؛ هود/ ٦١؛ الأنبياء/ ٥٢.

(٧) النحل/ ٣٦. قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ فصلت/ ١٤.

١ ـ ٨. التذكير بالمعاد:

تبعًا لآيات القرآن الكريم يعدُّ تذكير الناس بالقيامة وضرورة القيام بمحاسبة الإنسان على أعماله في ذلك اليوم، من جملة الأهداف الأخرى للأنبياء ﷺ والكتب السماويّة، فالأنبياء ﷺ يُذكِّرون الناس بأنَّ هناك حياة أخرويّة بعد هذه الحياة الدنيويّة[١]. وأنَّها استمرار للدنيا ومرتبطة بها، سيشاهدون فيها ثمرة كل عمل من أعمالهم الدنيويّة؛ لذلك علينا أن ننتبه إلى أعمالنا، ومن جملة الآيات التي جاءت بهذا الصدد، قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[٢].

ثمّ إنّ القرآن الكريم يشير إلى أنَّ اللَّه تعالى يحتجُّ يوم القيامة برسالة الأنبياء ﷺ هذه على الأنس والجنِّ، وهم يقرون ويعترفون بهذا الأمر، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾[٣].

ويعدُّ القرآن أيضًا أنَّ الهدف من إتيان النبيّ موسى ﷺ الكتاب هو إيمان الناس بالآخرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

١ ـ ٩. التعليم:

لا يمكن طيَّ مسيرة الكمال من دون معرفة الطريق الصحيح من غير الصحيح، لكن كما ذكرنا سابقًا أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يكتسب جميع المعارف اللازمة

---

(١) الأعراف/ ٥٩؛ المؤمنون/ ٣٥ ـ ٣؛ هود/ ٨٤؛ الشعراء/ ١٣٥.

(٢) غافر/ ١٥.

(٣) الأنعام/ ١٣٠.

(٤) الأنعام/ ١٥٤.

له عن طريق المعرفة العاديّة؛ بناء على ذلك، هو بحاجة إلى الوحي الإلهيّ في جانب المعرفة، والآيات والروايات تدل على ذلك أيضًا، ولكون التعليم كان من جملة أهداف الأنبياء ﷺ، لاسيّما رسول اللّه ﷺ، فإنَّ القرآن الكريم يقول حول ذلك: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[١].

كما تلاحظون، أنَّ هذه الآية وآيات مشابهة، اعتبرت أنَّ هناك أداتين من أدوات التعليم التي يختصّ بها النبيّ الأكرم ﷺ، فضلاً عن القرآن الكريم[٢]، وهما: الكتاب، والحكمة وما لم يتمكّن الناس أن يعلّموه بأنفسهم.

١ ـ ٩ ـ ١. الكتاب:

إنَّ الكتاب ذُكِر في القرآن الكريم بمثابة أداة للتعليم مختصة ببعض الأنبياء ﷺ، والكتاب هو مصدر يطلق على ما يُكتب فيه مبالغة، وفي التعبير بالكتاب إشارة إلى تثبيت أحكامه، وتثبّت مفاهيمه، وتحقّق محتوياته ومضامينه[٣]. وقد ورد شيء من التأكيد على هذا الأمر في آيات القرآن الكريم بعد ذكر الكتاب، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[٥].

إنَّ المراد من الكتاب في الآيات محل البحث الكتب النازلة من عند اللّه، ففي ما يتعلق ببيان المراد من الكتاب قيل: أنَّ المراد من الكتاب، كتاب كل نبي أنزل

---

(١) البقرة/ ١٥١، وفي البقرة/ ١٢٩، وآل عمران/ ١٦٣، والجمعة/ ٢؛ أشير إلى تعليم الكتاب والحكمة.

(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٨٠.

(٣) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص٢٢و٢٣.

(٤) البقرة/ ٢.

(٥) البقرة/ ٢١٣.

معه، مثل: الصحف النازلة على نوح وإبراهيم ﷺ، والتوراة والإنجيل النازلة على موسى وعيسى ﷺ، والقرآن الكريم الذي نزل على رسول اللّه ﷺ[١].

والظاهر أنَّ هذا الكلام ليس صحيحًا على إطلاقه؛ لأنَّه بخصوص عيسى ﷺ جاء لفظ الكتاب مقترنًا مع الإنجيل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[٢].

وفي ضوء الرأي المذكور سيكون ذكر الكتاب والإنجيل معًا بلا مبرر؛ ذلك لأنَّ كتاب النبيّ عيسى ﷺ هو الإنجيل نفسه؛ بناء على ذلك، نفهم من هذه الآية أنَّ المراد من الكتاب لأيِّ نبيّ، ليس هو الكتاب الذي أُوحي إليه، ومن المحتمل جدًا أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية المباركة الكتب الإلهيّة السابقة للتوراة والإنجيل[٣].

١ ـ ٩ ـ ٢. الحكمة

الحكمة[٤]: من الحكم بمعنى المنع[٥]، والحكمة فعلة تدلّ على نوع خاصّ من الحكم، وهو ما كان من الأحكام الراجعة إلى المعارف القطعيّة والحقائق المتقنة المعقولة[٦].

---

(١) انظر: جعفر السبحاني، منشور جاويد (الميثاق الخالد)، ج١، ص٥٢.

(٢) آل عمران/ ٤٨.

(٣) هناك احتمال آخر وهو أن المراد من الكتاب: الكتابة؛ انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج١و٢، ص٧٥٢.

(٤) لقد ذكر الطبرسي ﷺ في مجمع البيان عند تفسير الآية ١٢٩ من سورة البقرة أقوالًا مختلفة لمعنى الحكمة، ومن جملة ذلك: ١ـ السُنّة. ٢ـ المعرفة بالدين. ٣ـ الفقه في التأويل ٤ـ العلم بالأحكام التي لا يدرك علمها إلا من قبل الرسل. ٥ـ صفة للكتاب. ٦ـ شيء يجعله الله في القلب ينوره الله به كما ينور البصر، فيدرك المبصر. ٧ـ مواعظ القرآن وحرامه وحلاله (أبو علي بن أحمد الطبرسيّ، مجمع البيان، ج١و٢، ص٣٩٥)، وذكر أيضًا عشرة أقوال لمعنى الحكمة في تفسير الآية ٢٦٩ من سورة البقرة (المصدر السابق ٦٥٩).

(٥) انظر: أحمد بن محمد بن علي المقرّيّ الفيوميّ، المصباح المنير، ج١، ص١٧٩.

(٦) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص٢٢و٢٣.

وفي تعريف الحكمة قال العلامة الطباطبائيّ: «المراد من الحكمة بناء نوع يدل على نوع المعنى فمعناه النوع من الإحكام والإتقان، أو نوع من الأمر المحكم المتقن الذي لا يوجد فيه ثلمة ولا فتور، وغلب استعماله في المعلومات العقليّة الحقَّة الصادقة التي لا تقبل البطلان والكذب البتة. فالحكمة هي القضايا الحقَّة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها بنحو ما على سعادة الإنسان كالمعارف الحقَّة الإلهيّة في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي»[١].

والظاهر أنَّ للحكمة معنيين، وهما:

١ ـ التعقل والقدرة على تمييز الحق عن الباطل، والخير عن الشر.

٢ ـ مجموعة المعارف والقوانين التي توفر الأرضيّة لرقيِّ الإنسان وسعادته.

وهذا الأمر يُستفاد من آيات القرآن الكريم أيضًا، فمثلاً بعد ذكر أربعة عشر نوع من المعرفة والقوانين ضمن الآيات ٢٢ ـ ٣٧ من سورة الإسراء، جاء قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[٢].

والأحكام التي جاءت قبل هذه الآية، هي:

١ ـ النهي عن الشرك.

٢ ـ عبادة اللَّه الواحد.

٣ ـ الإحسان للوالدين.

٤ ـ إيتاء حقوق الأقارب والأيتام والفقراء.

---

(١) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٤١٨.

(٢) الإسراء/ ٣٩.

٥ ـ تجنب الإسراف.

٦ ـ رعاية الاعتدال في الإنفاق و الإحسان.

٧ ـ اجتناب قتل الأولاد خشية الفقر.

٨ ـ اجتناب الزنا.

٩ ـ اجتناب القتل والجريمة.

١٠ ـ عدم التجاوز على أموال اليتامى.

١١ ـ الوفاء بالعهد.

١٢ ـ تجنب التطفيف «رعاية العدالة في المعاملات الاقتصادية».

١٣ ـ تجنب اتّباع الظنّ.

١٤ ـ ترك التكبر والعصبية[1].

---

(١) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۞ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۞ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۞ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۞ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ الإسراء/ ٢٣-٣٥.

لقد ذكر القرآن الكريم الحكمة التي يعلمها الأنبياء ﷺ إلى جانب الكتاب[١]، وهذا يدل على أنَّ الحكمة التي ذُكرت في هذه الآيات[٢]، ترتبط بنحو ما مع الكتاب، ومن هذه الآيات الأخيرة يستفاد بأنَّ ذكر الحكمة من باب ذكر الخاص بعد العام، والكتاب يعني القرآن الكريم الذي يشتمل على الحكمة، أو قسم من الحكمة على أقل تقدير.

١ ـ ٩ ـ ٣. ما لم يتمكن الناس من علمه بأنفسهم:

كما اتضح سابقًا أنَّه قد ورد في الآية ١٥١ من سورة البقرة ذكر تعليم ما لم يتمكّن الناس من تعلُّمِه، فضلاً عن تعليم الكتاب، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

إنَّ هذا المقطع من الآية يشير إلى تعليم أمور ليست موجودة في الكتاب والحكمة[٣]، ويمكن أن يكون من باب ذكر العام بعد الخاص، بدليل أنَّ الآية الكريمة فصَّلته عن الكتاب والحكمة؛ لتُبيِّن بأنَّه إذا لم يوجد الأنبياء، فإنَّ بعض العلوم ستبقى خافية إلى الأبد؛ لأنَّ الأنبياء ﷺ ليس قادة في الأخلاق والاجتماع وحسب، بل قادة في العلم أيضًا.

وفي ضوء الاحتمالين كليهما تشير عبارة ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ إلى العلوم التي لا يمكن التوصل إليها بالطرق العاديّة[٤]، وهذه العبارة تختلف عن عبارة ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، وحتى لو لم يوجد فرق بين هاتين العبارتين، فإنَّ هذه

(١) من قبيل: البقرة/ ١٢٩؛ و١٥١؛ آل عمران/ ١٦٤؛ الجمعة/ ٢.

(٢) توجد طائفة أخرى من الآيات تتحدث عن الحكمة التي هي موهبة إلهيّة يهبها الله تعالى إلى الأنبياء ﷺ وأحيانًا إلى غير الأنبياء، من قبيل: البقرة/ ٢٥١و٢٦٩؛ النساء/ ٥٤؛ النحل/ ١٢٥. ومن قبيل الإسراء/ ١١٠؛ لقمان/ ١٢؛ الأحزاب/ ٣٤؛ ص/ ٢٠؛ الأحزاب/ ٦٢.

(٣) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٣٣٤.

(٤) انظر: التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٢٩؛ مجمع البيان، ج١، ص٢٣٣.

العبارة تشير إلى العلوم التي لا يتمكن الإنسان من التوصل إليها أبدًا؛ لكون القرآن الكريم يخاطب جميع الناس دائمًا.

ثمّ إنّ هناك آية أخرى تخبر النبيّ الأكرم ﷺ بالعلم الذي تعلّمه ولم يعلمه من قبل، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(١).

١ـ١٠. بيان حلال اللّه وحرامه:

إنَّ الناس من أجل الوصول إلى الكمال ينبغي لهم أن يعرفوا حلال اللّه وحرامه، ويُنظِّموا سلوكهم على أساس ذلك؛ لأنَّ جميع الناس لا يتمكنون من أن يتلقوا أحكام اللّه من اللّه مباشرة، فإنَّ اللّه تعالى يبلغ الأنبياء عليهم السلام بأوامره ونواهيه عن طريق الوحي؛ وعليه يكون بيان حلال اللّه وحرامه من جملة وظائف الأنبياء عليهم السلام(٢). واللّه تعالى في القرآن الكريم يأمر رسوله ﷺ أن يدعوَ الناس ويبيِّن لهم الأحكام الإلهيّة، كما فيقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾(٣)(٤).

---

(١) النساء/ ١١٣.

(٢) إنَّ القرآن بخصوص النبي عيسى عليه السلام، يقول: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم ... وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ آل عمران/ ٤٩ و٥٠.

(٣) الأنعام/ ١٥١.

(٤) واستمرت الآية لتقول: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ﴾ الأنعام/ ١٥١و١٥٢ إنَّ هذه الآيات تشير إلى جملة من الأحكام الإلهيّة التي تعتبر من أصول المحرمات الإلهيّة، وقد ذُكِر بعضها في الأديان الإلهيّة الأخرى (انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٩٥).

١ ـ ١١. ظهور الإسلام على جميع الشرائع أمر منطقيّ وعلميّ:

كما علمنا من خلال البحث حول أوصاف القرآن الكريم، أنَّ القرآن الكريم هو رسالة عالميّة وخالدة، ومع نزوله على النبيّ محمد ﷺ نُسخت جميع الشرائع الماضية؛ من أجل أن تبقى الهداية الإلهيّة لكافة الناس إلى الأبد، وأنَّ اللّه تعالى في بعض الآيات عدَّ ظهور الإسلام على كافة الأديان ـ ومن جملتها الأديان الماضية ـ هدف من أهداف نزول القرآن الكريم على النبيّ الأكرم ﷺ، حيث جاء في ثلاث آيات قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1].

والهدى في هذه الآيات يشمل القرآن الكريم، والضمير في قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ راجع إلى دين الحق، والمراد منه الإسلام[2]. ويستفاد من هذه الآيات أنَّ الإسلام فضلاً عن الانتصار العسكري، يدل على تحقق الانتصار بالاستدلال ومنطق القرآن؛ بناء على ذلك، فإنَّ الإسلام والقرآن فضلاً عن اشتمالها على تعاليم الأديان والكتب السماويّة، يمتلكان تعاليم خاصة بهما أيضًا.

٢ ـ الأهداف الفطريّة:

لابد من وجود الفطرة السليمة والأخلاق الحسنة، فضلاً عن الفكر الصحيح والمعرفة الحقيقيّة؛ لغرض الوصول إلى السعادة، بإيجاد الباعث على حركة الإنسان عن طريق جهود الأنبياء ﷺ والوحي الإلهيّ، ومن هنا كان إيجاد الفطرة السليمة والسلوك الصحيح من أهداف القرآن الكريم.

---

(١) التوبة/ ٣٣؛ الفتح/ ٢٨؛ الصف/ ٩.

(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٤٧.

٢ـ١. علاج الأمراض الروحيّة والأخلاقيّة

إنَّ الأحكام والمعارف التي جاء بها أنبياء اللَّه ﷺ والكتب السماويّة لأجل الإنسان يمكن أن تؤثر تأثيرها الحقيقيّ إذا عرضت على الأرواح السالمة من الأمراض المعنويّة؛ ولهذا السبب كان الأنبياء ﷺ يسعون لأجل علاج أمراض الناس المعنويّة، مثل الكفر، والنفاق، والحسد، والبخل، وأمثال ذلك، فضلاً عن بيان الأحكام والمعارف، فهم يريدون من خلال إزالة صدأ القلوب الذي يمنع من قبول الحق[١]، أن يجعلوا الناس يستعدون لقبول هذا الحق ويسارعون من أجل إصلاح فطرتهم؛ لذلك فإنَّ اللَّه تعالى قد وصف القرآن الكريم في آيات كثيرة بالشفاء[٢]، من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

ومن الطبيعي أنَّ علاج القرآن الكريم ليس منحصرًا بالأمراض المعنويّة، بل إنَّ أحكامه ومعارفه تؤثر حتى على صحة الأبدان وشفاء الأمراض الجسمية أيضًا، وإن كان هذا النوع من الأمور ليس داخلاً ضمن مجموعة أهداف القرآن

٢ـ٢. تهيئة الأرضيّة للتقوى:

التقوى هي ملكة مراقبة النفس والسيطرة عليها، وهي تلعب دورًا أساسيًّا في سعادة الإنسان وفلاحه، وقد اهتم أنبياء اللَّه ﷺ والكتب السماويّة بالتقوى

---

(١) قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/ ١٣و١٤.

(٢) للإطلاع أكثر على الآثار العلاجيّة للقرآن الكريم، انظر: مهدي أحمدي، دار الشفاء قرآن، ص٥٥ـ٢٥٤.

(٣) يونس/ ٥٧.

(٤) الإسراء/ ٨٢؛ إنَّ اختصاص علاج القرآن بالمؤمنين في هذه الآية الكريمة والآية ٤٤ من سورة فصلت ﴿هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ أخذ فيه بنظر الاعتبار تأثيره الفعليّ، وإلا فإنَّ القرآن هو شفاء لجميع الناس.

اهتمامًا خاصًّا، والقرآن الكريم يعدُّ تهيئة الأرضيّة للتقوى من جملة أهدافه، قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١].

إنَّ ملكة التقوى تساعد الإنسان على أن يكون طالبًا للحقيقة في الفكر والرأي، مذعنًا لقول الحق؛ ولعل هذا هو السبب الذي جعل القرآن الكريم يصف نفسه بأنَّه هدًى للمتقين[٢]. ثمّ إنّ التقوى تؤدّي إلى تقوية الميول الإيجابيّة لدى الإنسان، وتساعده على تجنب المعاصي، والحافظ على حقوق الآخرين في مقام السلوك والعمل؛ لكي لا يبتلي بالعذاب الأخروي، ويُحرم من رحمة اللّه؛ لذلك أنزل اللّه العليم اللطيف القرآن؛ ليتمكن الإنسان من الوصول إلى التقوى والرحمة الإلهيّة في ظلّه، وتحصل له الطمأنينة به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٣].

٢ـ٣. التزكية:

إنَّ الإنسان فضلاً عن البعد الفكري، يمتلك غرائز وميولاً فطرية أيضًا أودعها اللّه تعالى في وجوده، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٤].

إنَّ الغرائز الإنسانية بحاجة إلى الهداية من أجل أن تتوازن، وتؤدّي دورها اللازم في مسيرة حركة الإنسان نحو السعادة؛ ذلك لأنَّ الإنسان إذا لم يطهر من الخبائث الباطنية والقلبيّة، لا يتمكن من الوصول إلى الهداية الإلهيّة والكمال، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[٥].

---

(١) الزمر/ ٢٨.

(٢) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة/ ١.

(٣) القمر/ ٥٤ و٥٥.

(٤) الشمس/ ٧ و٨.

(٥) الشمس/ ٩ و١٠.

إنَّ تزكية النفس وتطهير وجود الإنسان من جملة الأهداف الأخرى لأنبياء اللَّه ﷺ والكتب السماويّة، وأنَّ القرآن الكريم في وصفه للنبيّ محمد ﷺ أشار إلى هذه المسألة، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[١].

وبالرغم من أنَّ التعليم قد تقدَّم على التزكية في آيات مشابهة أخرى[٢]، إلا أنَّ تقدُّم التزكية على التعليم في هذه الآية الكريمة يدلُّ على أهميّتها، ويشير إلى أنَّ التزكية تعتبر مقدمة للتعليم بنحو من الأنحاء أيضًا؛ وبعبارة أخرى إنَّ الإنسان لا يمكن أن يتجه نحو العلم إلاّ مع تحقق أضعف رتبة من مراتب التزكية ـ علمًا أنَّ أعلى مرحلة من مراحل التزكية لا يمكن أن تجتمع مع الجهل ـ أو أنَّ الإنسان لا يذعن إلى الحقيقة من دون التزكية حتى إذا توجه نحو ذلك العلم، بل حتى لو سمع آيات اللَّه تُتلى على لسان النبيّ الأكرم ﷺ أيضًا، ولعل بعضًا من الآيات قد أشارت إلى هذا الأمر[٣]. من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[٤].

٢ـ٤. تحرير الناس من القيود والأغلال المرفوضة:

إنَّ تحرير الناس من جميع القيود والأغلال والعادات المرفوضة التي تطوِّق أيديهم وأرجلهم، هي من جملة أهداف القرآن التي عدَّها للنبيّ الأكرم ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى

(١) الجمعة/ ٢.
(٢) انظر: البقرة/ ١٢٩ و١٥١؛ آل عمران/ ١٦٣.
(٣) انظر: لقمان/ ٦ و٧.
(٤) محمد/ ١٦.

التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١].

والإصر بمعنى عقد الشيء وحبسه بقهره، والمراد منه في الآية الكريمة الأمور التي تثبطهم وتقيّدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات[٢]. والأغلال جمع غل بمعنى طوق من حديد يُجعل في أعناق المجرمين[٣]. والمراد به هنا المعنى الكنائي الذي يمكن التعبير عنه بمصطلح «قيد الأسر».

من الأقسام السابقة التي أشارت لها الآية المباركة، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، يمكن الاستنتاج بأنَّ المراد من الإصر القيود والأغلال والعادات الثقافيّة الخاطئة، ومن المحتمل جدًا أنَّ الغل كناية عن قيد العادات والخضوع إلى حالة الأسر في قبضة الطواغيت.

بناء على ذلك، سوف تدل الآية الكريمة على أنَّ النبيّ محمد ﷺ قد أعدَّ الأرضيّة لتحرير الناس من أسر القيود والأغلال الأخلاقيّة والثقافيّة وقبضة الطواغيت.

٣ـ الأهداف الغائيّة:

إنَّ القرآن الكريم يخلق البواعث اللازمة لدى الناس؛ فضلاً عن طرح الفكر الصحيح، وإزالة طباعهم وعاداتهم المرفوضة، من أجل إيصالهم إلى الهدف النهائيّ، وإنَّ أهداف القرآن الكريم في هذا المجال هي:

---

(١) الأعراف/ ١٥٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٤، مادة (أ ص ر).

(٣) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيوميّ، المصباح المنير، ج٢، ص١٤.

٣ـ١ الوعظ:

يجب أن يكون للإنسان الباعث المناسب من أجل الوصول إلى السعادة المطلوبة، فضلاً عن امتلاكه للأفكار الصحيح الضروريّة والطباع الحسنة، فلكي يكون لنا باعث مناسب ينبغي أن نُطَّهر قلوبنا من الأمور التي تمنع من الوصول إلى تلك السعادة، وأن نمتلك قلبًا متعلقًا بالأفكار الصحيحة؛ لكي تكون لنا القابليّة على الاعتراف بالحقائق؛ ذلك لأنَّ معرفة الحقيقة غير الاعتراف بها.

وربما وجد بعض الأشخاص ـ ولا يزال يوجد بعضهم ـ الذين يدركون الحقيقة لكنَّهم لا يعترفون بها، بل قد يقفون لمواجهتها، فالقرآن الكريم يذكر جماعات وأفرادًا لم يقبلوا كلام أنبياء اللَّه ﷺ والتسليم لهم وحسب، بل كانوا يحاربونهم أيضًا، حتى بعد مشاهدة المعجزة منهم واليقين بنبوتهم؛ وذلك بسبب الظلم والاستئثار بالنفس، وقد أشار القرآن الكريم إلى تعامل فرعون وقومه مع النبيّ موسى ﷺ بعد مشاهدة معجزاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[١].

ولأهميّة الموعظة، ودور القرآن المتميز في هذا الأمر، سمَّى اللَّه تعالى كتابه موعظة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وكذلك ورد في آية أخرى أنَّ اللَّه تعالى يعظكم بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾[٤]. ثمّ إنّ النبيّ

(١) النمل/ ١٤.
(٢) يونس/ ٥٧.
(٣) آل عمران/ ١٣٨.
(٤) البقرة/ ٢٣١.

الأكرم ﷺ كان يستجيب للأمر الإلهيّ الرامي إلى تهيأة قلوب الناس بالموعظة من أجل قبول الحقائق الدينيّة، فضلاً عن بيان الحقائق لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[١].

إنَّ المخاطبين بهذه الآية الكريمة من أهل مكة؛ إذ اتهموا النبيّ ﷺ بالجنون بعد أن اتضح صدقه في دعوته للنبوة بمعجزة القرآن وعدم تمكنهم من الإتيان بمثله؛ وذلك من أجل الاحتجاج عليه أو بسبب شبهة طرحها بعضهم؛ لذلك أمر اللّه تعالى رسوله أن يعظهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾[٢].

٣ـ٢. الإنذار والتبشير:

لغرض أداء عمل أو تركه نحتاج إلى الباعث، فضلاً عن المعرفة، فإنَّ الإنسان أحيانًا يعلم بقبح العمل أو حسنه، لكن لا يكون لديه الباعث الكافي لأداء العمل الحسن وترك العمل القبيح، ما عدا أصحاب الهمم العالية من الناس الذين لا يؤدّون العبادة إلاّ لكونهم يعلمون بأنَّ اللّه جدير بالعبادة[٣]، أو لأجل محبّته[٤]،

---

(١) سبأ/ ٤٦.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٤١٤؛ محمود رجبيّ، أهداف القرآن، مجلة معرفت، العدد ٢٤؛ السُنّة ٦، ص٥٤.

(٣) إنَّ أمير المؤمنين ﷺ يعدُّ السر في عبادته للهَ يكمن في أهليته للعبادة، حيث يقول: «إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك». (محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٤١، ص١٤).

(٤) إنَّ الإمام الصادق ﷺ في رواية قسَّم العابدين على ثلاثة طوائف، وبخصوص وصف الطائفة الثالثة، قال: «وصنف منهم يعبدونه حبًّا له فتلك عبادة الكرام». (محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٨، ص٢٠٠).

أو لشكره[١]، أما الباعث على حركة أغلب الناس نحو عبادة اللّه فهو الشوق إلى الجنَّة أو الخوف من النار[٢].

فضلاً عن ذلك، فإنَّ الإنذار والتبشير يعدُّان تحذيرً للناس الذين لا ينفعهم بيان الحقائق والموعظة نتيجة للانحرافات، حيث يمنعانهم أحيانًا من سلوك طريقهم المنحرف؛ بناء على ذلك، فإنَّ القرآن الكريم يعدُّ من أهدافه الإنذار والتبشير، فضلاً عن كونه يُبيِّن عمل المحسنين والمسيئين

ويصوِّر حياة الناس في الجنة والنار، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

إنَّ التبشير بآثار الأعمال الحسنة وإنذار الناس بعاقبة الأعمال السيئة هو مهم من وجهة نظر القرآن إلى درجة أنَّه قد جاء في بعض الآيات[٤] عبارات تُشعر وكأنَّ الأنبياء ﷺ بُعثوا من أجل هذا العمل فقط،[٥] ومثالًا على ذلك الخطاب الموجَّه لرسول اللّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٦].

---

(١) وفي بيان آخر قال أمير المؤمنين ﷺ: إنَّ قومًا عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنَّ قومًا عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنَّ قومًا عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار. (محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٤١، ص١٤).

(٢) إنَّ أمير المؤمنين ﷺ في وصف قرَّاء القرآن المتقين في عبادتهم أثناء الليل قال: «**فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ، أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ**». (نهج البلاغة/ الخطبة ١٩٣).

(٣) الكهف/ ١ و٢.

(٤) من قبيل: البقرة/ ٢١٣؛ النساء/ ١٦٥؛ الأنعام/ ٤١؛ الكهف/ ٥٦.

(٥) طبعاً أنَّ اقتصار وظيفة الأنبياء ﷺ على التبشير والإنذار غير حقيقيّ، بل هو نسبيّ؛ بمعنى أنَّ الأنبياء ﷺ يقومون بالتبشير والإنذار، إلا أنَّ هداية الناس أو ضلالهم يكون بمشيئة الله، وفي ضوء أعمالهم. (انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٣)

(٦) الإسراء/ ١٠٥؛ الفرقان/ ٥٦.

وما دام البشارة جاءت مقترنة بالإنذار في آيات متعدّدة، يُعلم من ذلك بأنَّ كلاً منهما لا يكون كافيًا لهداية الإنسان لوحده، ولابد من الأخذ بنظر الاعتبار الجانبين كليهما ، فضلاً عن أنَّ كليهما يمكن أن يكون له تأثير أكثر على بعض الأشخاص.

٤ ـ الأهداف السلوكيّة للقرآن:

إنَّ أهداف القرآن ليست منحصرة بالأمور الفكريّة والفطريّة والغائيّة، بل إنَّ اللَّه تعالى من خلال بعث الأنبياء ﷺ وإنزال الوحي ـ ومن جملة ذلك القرآن الكريم ـ يهدي الإنسان في مجال العمل والسلوك، فضلاً عن طرح الفكر الصحيح وتعديل ميول الإنسان؛ لذلك فإنَّ القرآن الكريم يشمل بُعد عمل الإنسان أيضًا.

٤ ـ ١ . إقرار العدالة الاجتماعيّة:

يُستنتج من بعض آيات القرآن أنَّ إعداد الأرضيّة لإقرار العدالة في المجتمع الإنساني[١]، يعدُّ من جملة الأهداف المهمة الأخرى لأنبياء اللَّه ﷺ والكتب السماويّة، ومن جملة ذلك النبيّ الأكرم ﷺ والقرآن الكريم، وعلى سبيل المثال أنَّ اللَّه تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾[٢].

والبينات بمعنى الدلالات الواضحات، وتشمل المعجزات والأدلّة العقليّة على أحقيّة دعوة الأنبياء السابقين، والكتاب يشير إلى الكتاب السماويّ، ويشمل

(١) من قبيل: الأعراف/ ٨٥؛ هود/ ٨٤ و٨٥؛ الشعراء/ ١٨١ و ١٨٢.
(٢) الحديد/ ٢٥.

بيان العقائد والأحكام والأخلاق، والمراد من الميزان القوانين التي توزن فيها الأعمال الحسنة والقبيحة والقيم الأخلاقيّة وغير الأخلاقيّة والحق والباطل.

وكذلك يمكن أن يكون المراد من الميزان أداة الوزن؛ لأنَّ ذلك يمكن أن يكون وسيلة لإعداد أرضيّة إقامة القسط وتطبيق القوانين العادلّة في المجتمع، ومن خلال عبارة ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ يُستنتج ما يأتي:

١ ـ إنَّ هذه الآية الكريمة تعتبر أنَّ الهدف من إرسال الرسل والكتب السماويّة هو إقرار العدالة[١].

٢ ـ إنَّ الناس يصلون إلى رشدهم ورقيّهم في إثر تربية أنبياء اللَّه ﷺ من خلال الكتب السماويّة، والناس أنفسهم يقومون بوظيفة إقرار العدالة، لا أنَّ الأنبياء ﷺ يطبقون العدالة في المجتمع بالفرض والإجبار، ومن الطبيعي أنَّ هذا الأسلوب هو خاص بالأشخاص الذين يتمكن الأنبياء من ترغيبهم على تحقيق العدل عن طريق البيّنات والكتاب والميزان.

ويوجد بعض الناس من لا تؤثر عليهم أيٌّ من الأمور التي ذكرتها الآية المباركة في صدرها أبدًا، بل إنَّهم يقومون بتجاهل كل شيء نتيجة لاتّباع الأهواء ومحاولة الوصول إلى المصالح ، ومثل هؤلاء من الممكن إجبارهم على الإذعان للعدالة بالقوة والسلاح؛ ولهذا جاءت عبارة ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ﴾ في عجز الآية المباركة.

٤ـ٢. الحكم على أساس القوانين الإلهيّة:

مع أنَّ الإنسان ينشد العدالة بالفطرة، إلا أنَّه يتجاوز أحيانًا على حقوق الآخرين نتيجة لوساوس الشيطان والنفس؛ وعليه ينشأ الاختلاف بين الناس،

---

(١) لا منافاة من أن تكون غاية إقامة القسط مقدمة لأمر آخر، من قبيل تكامل الإنسان أو القرب الإلهيّ.

وهذا الاختلاف يكون أوسع وأعقد في الحياة الاجتماعيّة، ومن ثمَّ يصبح من اللازم أن يحكم العدول من الناس على أساس العدالة بين أبناء المجتمع[١].

إنَّ الحكم بالحق بين الناس من جملة أهداف أنبياء اللَّه[٢] عليهم السلام والكتب السماويّة، وتبعًا لتفسير الآية ٢١٣ من سورة البقرة، أنَّ الاختلاف بين الناس نشأ، بعد تصرُّم حياة الإنسان البسيطة وتأسيس الحياة الاجتماعيّة المعقّدة، حيث أرسل اللَّه تعالى الأنبياء عليهم السلام بالكتب السماويّة المشتملة على الأحكام وقوانين القضاء؛ ليحكموا بين الناس بالحق، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ...﴾[٣].

في ضوء هذه الآية الكريمة يكون بيان القوانين اللازمة للقضاء بين الناس من جملة أهداف الكتب الوحيانيّة، ومن جملتها القرآن الكريم، فضلاً عن التعريف بآثار الظلم والتجاوز على حقوق الآخرين، فقد ذكر اللَّه سبحانه بأنَّ الغاية من نزول القرآن الكريم على النبيّ محمد صلى الله عليه وآله هي الحكومة بين الناس ورفع الاختلاف بينهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[٤]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٥].

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج٢، ص٢١٣.

(٢) إنَّ القرآن الكريم بخصوص النبي داوود عليه السلام يقول: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ص/ ٢٦؛ وانظر: الأنبياء/ ٧٨و٧٩.

(٣) البقرة/ ٢١٣.

(٤) النساء/ ١٠٥؛ كما أشير إلى هذه المسألة أيضًا في الآية ٤٢ من سورة المائدة.

(٥) النحل/ ٦٤.

ثمّ إنّ هناك آية أخرى عدَّت قبول قضاء رسول اللَّه ﷺ من دون ترديد ولا مجادلة شرطًا لإيمان الناس باللَّه، وهي قوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١].

٤ـ٣. تثبيت المؤمنين:

إنَّ النبيّ محمد ﷺ والمؤمنين بحاجة إلى تثبيت أقدامهم ليتمكَّنوا من الانتصار على الكفار؛ لذا فإنَّ اللَّه تعالى في كتابه الكريم يأمر النبيّ ﷺ أن يُخبر الناس بأنَّ اللَّه يُنزل القرآن بوساطة الروح الأمين؛ ليثبت قلوب المؤمنين وأقدامهم، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢].

إنَّ القرآن الكريم يمكنه أن يؤدي إلى ثبات قلوب وأقدام المؤمنين من جهات عدَّة، وهي:

١ـ من جهة نزوله التدريجي واستمرار نزوله، فإنَّ هذا الأمر يجعل النبيّ الأكرم ﷺ والمؤمنين يشعرون بأنَّهم دائمًا في ظل العناية الإلهيّة ولا يتعرضون للانحراف في ميسرة الدين.

٢ـ إنَّ القرآن الكريم بتذكير المؤمنين بقدرة اللَّه الواحد المتعال، وبيان الأجر الكبير الذي أعدَّه للمجاهدين، وإمدادات الملائكة الغيبيّة، وذكر قصص الأنبياء عليهم السلام والمجاهدين السابقين؛ يهيئ الأرضيّة لثبات أقدام المؤمنين وتقوية حالتهم الروحيّة.

---

(١) النساء/ ٦٥.

(٢) النحل/ ١٠٢.

٣ـ إنَّ من أساليب تثبيت قلوب وأقدام المؤمنين أنَّ اللَّه تعالى كان يُنزل آية أو آيات من القرآن لحل أي مشكلة يتعرَّض لها المؤمنون، أو الإجابة على أي مسألة تواجههم.

إنَّ التثبيت في الوجه الثاني والثالث له علاقة بمسألة حدود القرآن الكريم[١].

٤ـ٤. إيصال المؤمنين إلى سبل السلام والصراط المستقيم:

من جملة الأهداف التي يذكرها اللَّه تعالى في القرآن الكريم هداية الناس إلى سبل السلام؛ وبالنتيجة إلى الصراط المستقيم، فالقرآن الكريم هو نور إلهيّ يُميِّز السبل الآمنة عن غير الآمنة والصراط المستقيم عن غيره، ومن الطبيعي أنَّ رضا اللَّه هو شرط الهداية بهذا الكتاب الإلهيّ، ويمكن أن تتحقق الهداية بوساطة هدي القرآن الكريم إلى سبل السلام والصراط المستقيم بهذه الصفة فقط، وبهذا الصدد يقول اللَّه تعالى[٢]: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

٤ـ٥. محاربة الطاغوت:

إنَّ الدعوة لمحاربة الطاغوت عمليًّا من جملة الوظائف التي عدَّها القرآن الكريم للأنبياء عليهم السلام، فإنَّ محاربة الطاغوت ودعوة الناس إلى اجتنابه، إلى جانب الدعوة إلى التوحيد وعبادة اللَّه، كانت منهجًا لعملية التبليغ عند جميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٤].

---

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٤٨.

(٢) انظر: النساء/ ١٧٤و١٧٥.

(٣) المائدة/ ١٥و١٦.

(٤) النحل/ ٣٦.

٤ـ٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

مع أنَّ هناك آيات[١] وروايات[٢] متعدّدة تُشجِّع جميع الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنَّه يُفهم من بعض الآيات أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان من جملة أهداف الأنبياء ﷺ ورسالاتهم الإلهيّة، وبالخصوص النبيّ محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٣]. وفي آية أخرى يخاطب اللّه رسوله ﷺ فيقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[٤].

٤ـ ٧. تأسيس الحكومة الدينيّة:

الحكومة من ضرورات الحياة الاجتماعيّة، وقد عبَّر الإمام علي ﷺ تعبيرًا دقيقًا جدًا مقابل الخوارج بخصوص ضرورة الحكومة للمجتمع، حيث قال: «إنَّه لابد للناس من أمير»[٥].

كما قال الإمام الرضا ﷺ مشيرًا إلى أهمية الحكومة أيضًا: «إنَّا لا نجد فرقة من الفرق، ولا ملّة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيّم ورئيس؛ لما لا بدّ لهم منه في أمر الدين والدنيا»[٦].

---

(١) آل عمران/ ١١و٩٠و١٠٤و١١٠؛ التوبة/ ١٧و١١٢.

(٢) انظر: محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٩٧؛ الشيخ الحر العاملّي، وسائل الشيعة، ج١١.

(٣) الأعراف/ ١٥٧.

(٤) الأعراف/ ١٩٩.

(٥) نهج البلاغة/ الخطبة ٤٠.

(٦) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ص٢٩٥؛ ج١، الباب ١٨٢، ح٩.

إنَّ بعض شؤون الأنبياء ﷺ كتطبيق العدالة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقضاء لا تتحقق إلا في ظل الحكومة الإلهيّة، فبتأسيس الحكومة الدينيّة والصالحة، تتوفر أرضيّة تحقق سائر الأهداف الفرديّة والمعنويّة للأنبياء ﷺ والكتب السماويّة، وقد أشار الإمام علي ﷺ في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]، إلى هذا الأمر وقال: «وفي هذا أوضح دليل على أنَّه لابد للأمَّة من إمام يقوم بأمرهم، فيأمرهم وينهاهم، ويقيم فيهم الحدود ويجاهد العدو ويقسم الغنائم، ويفرض الفرائض»[٢].

علاوة على ما تقدَّم، فإنَّ وظيفة الدعوة نحو اللَّه، وهداية الإنسان المعنويّة، وإيجاد أرضيّة لنمو الإنسان ورقيِّه يتحقق في ظل الحكومة الإلهيّة[٣]، إلا إذا فرضنا إمكانية تحرير الناس من القيود المانعة للتكامل دون تشكيل الحكومة الإلهيّة المقتدرة.

بناء على ذلك، حتى لو لم تكن الآيات تشير إلى الأهداف السياسيّة لأنبياء اللَّه ﷺ والكتب السماويّة، فإنَّ الأهداف الأخرى المذكورة تكون كافية للدلالة على ضرورة تأسيس الحكومة الإلهيّة على أساس تعاليم الوحي.

إنَّ هناك آيات متعدّدة في القرآن الكريم تدل على أنَّ تشكيل الحكومة الإلهيّة على أساس التعاليم الوحيانيّة كانت من جملة وظائف أنبياء اللَّه ﷺ[٤]، وكان

---

(١) البقرة/ ١٧٩.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٣، ص٤١.

(٣) يُفهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الحج/ ٤١، أنَّ المؤمنين عندما يحصلون على القدرة الكاملة، فإنَّهم يقيمون الصلاة، وهذا الأمر لا يحصل إلا مع وجود الحكومة.

(٤) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص١٥٥ ـ ١٥٨؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، حقوق و سياست در قرآن (الحقوق والسياسة في القرآن)، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

الناس مكلفون بالاعتراف بحكومتهم، واللَّه تعالى يصرح في القرآن الكريم بوجوب اتباع الأنبياء ﷺ بشكل مطلق في جميع الأمور؛ وهذا يشمل الأمور السياسيّة أيضًا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[١].

وكما يشهد التاريخ، فإنَّ الأنبياء ﷺ قد سعوا من أجل تأسيس الحكومة، والقرآن الكريم يدل على أنَّ البعض منهم قد نجحوا في ذلك، من قبيل النبيّ موسى ﷺ[٢]، ويوسف ﷺ[٣]، وداود ﷺ[٤]، وسليمان ﷺ[٥]، ورسول اللَّه ﷺ، فإنَّ القرآن الكريم بعد تأسيس الحكومة على يدي النبيّ محمد ﷺ وجَّه خطابه للمؤمنين ضمن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ[٦] وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٧].

إنَّ هذه الآية تشجع الناس على طاعة رسول اللَّه ﷺ في الأمور الحكوميّة؛ ذلك لأنَّ شأن أولي الأمر ليس سوى التدخل في شؤون الحكومة، وما دام لفظ «الرسول» قد ذُكر إلى جانب أولي الأمر في هذه الآية الكريمة، واسُتخدم خطاب واحد لهما وهو أطيعوا، فعليه يُستنتج من ذلك أنَّ المقصود من طاعة الرسول الطاعة في الأمور التي يُراجع فيها أولي الأمر عادة؛ أي الأمور المتعلقة بالحكومة، وبقية ما جاء في الآية يشهد على صحة هذا الاستنتاج أيضًا، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٨].

---

(١) النساء/ ٦٤.

(٢) انظر: الأعراف/ ١٠٥ و١٠٦.

(٣) انظر: يوسف/ ٥٦.

(٤) انظر: ص/ ٢٦.

(٥) انظر: ص/ ٣٥.

(٦) لقد جاءت هذه العبارة في الآيات الآتية أيضًا: النساء/ ٥٩؛ المائدة/ ٩٢؛ النور/ ٥١؛ محمد/ ٣٣؛ التغابن/ ١٢.

(٧) النساء/ ٥٩.

(٨) النساء/ ٥٩.

كما توجد آيات أخرى تشجع على طاعة النبيّ الأكرم ﷺ[١]، وتحذر من عصيان أوامره[٢]، وتصفه بأنَّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾[٣].

بالنظر إلى إطلاق الآية الكريمة، تكون أولوية النبيّ ﷺ على المؤمنين شاملة لجميع الأمور الدنيويّة والدينيّة والفرديّة والاجتماعيّة والحكومية[٤]. وهذا الأمر يصب في مصلحة المؤمنين؛ لأنَّ النبيّ ﷺ عارف بمصالح أمور الناس ومفاسدها، وقد استشهد بهذه الآية على أمر الولاية، فهو ﷺ في جوابه لشخص كان يشتكي من تصرف قد صَدَر من الإمام علي عليه السلام، قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، وبعد إذعان ذلك الشخص، قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[٥].

٥ـ تذكير ببعض المسائل:

١ - الظاهر من بعض آيات القرآن الكريم اقتصار رسالة أنبياء اللَّه عليهم السلام على أمر ما، كالإنذار مثلاً، قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٦].

لاشك أنَّ هذا القصر ليس قصرًا حقيقيًّا، بل قصر القلب، أو قصر إضافي على أقل تقدير؛ ذلك لأنَّه كما مرَّ بنا أنَّ القرآن نفسه يذكر أهدافًا أخرى للأنبياء عليهم السلام

---

(١) لقد ورد مثل هذا التشجيع على طاعة النبي الأكرم ﷺ في آيات أخرى أيضًا، من قبيل: البقرة/ ٢٤٦ و٢٥٢؛ النساء/ ٦٩ و٧٠؛ الأحزاب/ ٧١؛ الفتح/ ١٧؛ الحجرات/ ١٤.

(٢) مثل: آل عمران/ ٣٢؛ الأنفال/ ١٩.

(٣) الأحزاب/ ٦.

(٤) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٢٧٦؛ محمود بن عمر الزمخشريّ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص٥٢٣.

(٥) انظر: جلال الدين السيوطيّ، الدر المنثور، ج٦، ص٥٦٦.

(٦) فاطر/ ٢٣.

ورسول اللَّه ﷺ والكتب السماويّة؛ لذلك فإنَّ القرآن الكريم له أهداف متعدّدة.

٢ـ من مجموع أهداف القرآن الكريم، نجد أنَّ بعضها نهائيّ وأصليّ، والأهداف الأخرى لها حكم ابتدائيّ وفرعيّ، وبالتأكيد أنَّ للأهداف الابتدائيّة قيمة ذاتيّة أيضًا، وهي جزء من مراتب الهدف الأصليّ، لكن ما هو الهدف أو الأهداف الأصليّة؟ يوجد اختلاف في ذلك[١]. والظاهر أنَّ التوحيد كان هو الهدف الأصليّ للأنبياء والكتب السماويّة، وهو يشمل المجالين كليهما؛ أي التوحيد النظريّ[٢]، والتوحيد العمليّ[٣].

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ التوحيد العمليّ؛ أي التوحيد في عبوديّة اللَّه هو الهدف من خلقة الجنِّ والأنس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤].

فضلاً عن أن كلمة «ليعبدون» في الآية فُسِّرت بـ «ليعرفون»[٥]. حيث أشار الحديث القدسيّ إلى أنَّ التوحيد النظريّ يعني معرفة اللَّه، وهو الهدف من خلق جميع الموجودات، ومن جملتها الإنسان: «كنت كنزًا مخفيًّا[٦] فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»[٧].

---

(١) انظر: مرتضى مطهريّ، مجموعة الآثار، شرح الإشارات، ج٧، ص٩٢٢؛ مرتضى مطهريّ، وحي و نبوت (الوحي والنبوة)، ص٣٣ـ٣٥.

(٢) العبادة غرض لخلقة الإنسان، وكمال عائد إليه هي وما يتبعها من الآثار كالرحمة والمغفرة وغير ذلك، ولو كان للعبادة غرض كالمعرفة الحاصلة بها والخلوص للهَّ، كان هو الغرض الأقصى والعبادة غرضًا متوسطًا (الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ٣٨٦).

(٣) انظر: الإمام الخمينيّ قدس سره، صحيفة نور، ج١، ص٢٣٨؛ محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٥٩.

(٤) الذاريات/ ٥٦.

(٥) انظر: محمد بن علي شريف لاهيجي، تفسير شريف لاهيجي، ج٤، ص٢٧١.

(٦) قال أحمد بن فارس: خفي: الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادّان. فالأوّل السَّتْر، والثاني الإظهار. (معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٢٠٢).

(٧) عبدالرزاق الگيلاني، مصباح الشريعة، ص١٠٨.

٦ـ كيفية دلالة أهداف رسالة النبيّ والقرآن على حدود هذا الكتاب الإلهيّ:

إنَّ جميع الأهداف المستفادة من أدلّة وشواهد القرآن الكريم المباشرة وغير المباشرة، تعتبر جزءًا من حدود القرآن الكريم؛ ذلك لأنَّ النبيّ الأكرم ﷺ حقق هذه الأهداف في المجتمع عن طريق الأحكام والمعارف الموجودة فيه، ومن الطبيعي أنَّ هذه الأهداف توضح مجموع الحدود الظاهريّة والباطنية للقرآن الكريم؛ والسبب في هذا التوضيح هو أنَّ النبيّ الأكرم ﷺ حقق أهداف رسالته الإلهيّة بالاستعانة بظهر القرآن وبطنه.

٧ـ النتيجة

نستنتج مما تقدَّم بأنَّ هناك جملة من الأمور تعتبر جزءًا من حدود أهداف القرآن الكريم، وهي:

١ ـ التذكير بالأمور المنسيّة.

٢ ـ إزالة الغفلة.

٣ـ بيان الدليل الواضح على الأفكار الصحيحة والضروريّة.

٤ ـ تمييز الحق عن الباطل من أجل رفع الاختلاف.

٥ ـ إيجاد أرضيّة التفكر.

٦ ـ التعريف بوحدانية اللَّه.

٧ـ التذكير بالمعاد.

٨ـ تعليم الحكمة وما لم يتمكن الناس من معرفته.

٩ ـ بيان حلال اللّه وحرامه.

١٠ ـ علاج الأمراض الروحيّة والأخلاقيّة.

١١ ـ تهيئة الأرضيّة للتقوى.

١٢ ـ التزكية.

١٣ ـ تحرير الناس من القيود والأغلال المرفوضة.

١٤ ـ الموعظة.

١٥ ـ الإنذار والتبشير

١٦ ـ تحقيق القسط والعدالة الاجتماعيّة.

١٧ ـ الحكم على أساس القوانين الإلهيّة.

١٨ ـ تثبيت المؤمنين.

١٩ ـ ظهور الإسلام على جميع الشرائع.

٢٠ ـ الإيصال إلى سبل السلام والصراط المستقيم.

٢١ ـ محاربة الطاغوت.

٢٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٢ ـ تأسيس الحكومة الدينيّة.

بناء على ذلك، ينبغي أن يمتلك القرآن الكريم في نفسه الأحكام والمعارف اللازمة من أجل تحقيق هذه الأهداف.

الفصل السادس
علم النبيّ ﷺ والحدود الموضوعيّة للقرآن

علم النبي ﷺ والحدود الموضوعيّة للقرآن

إنَّ الأدلّة والشواهد المتعلقة بعلم النبيّ الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام تدل بنحو غير مباشر على سعة نطاق حدود القرآن الكريم، وهذه الأدلّة تنقسم على قسمين، وهما:

١ـ الآيات والروايات والأدلّة العقليّة المتعلقة بالعلم الشامل للأئمة المعصومين عليهم السلام.

٢ـ الشواهد والأدلّة المتعلقة بمصدريّة القرآن الكريم لعلوم هؤلاء الأئمة الأطهار عليهم السلام.

١ ـ أدلّة جامعيّة علم النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

توجد شواهد وأدلّة عقليّة متعددة تدل على أنَّ النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام يمتلكون علومًا كثيرة.

١ـ١. الأدلّة العقليّة:

١ـ١ـ١. اقتضاء الرسالة والإمامة:

إنَّ رسالة النبيّ الأكرم ﷺ وإمامة الأئمة الأطهار ﷺ تقتضي أن تكون لهم علوم واسعة، وبالرغم من أنَّ علمهم ببعض الأمور الدنيويّة لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بهدف الرسالة والإمامة، إلا أنَّ هذا الهدف ـ الرسالة والإمامة ـ لا يتحقق إلا من خلال ثقة الناس بالنبيّ والإمام والاعتقاد بحقانيّة كل ما يقولانه.

إنَّ رؤية أي خطأ يصدر من النبيّ أو الإمام يؤدي إلى الشك بأصل الرسالة، ويثير لدى الناس السؤال الآتي: هل هذه التكاليف التي ينسبها اللَّه هي تكاليفنا الحقيقيّة والإلهيّة؟، وإذا كان النبيّ يُخطئ في مورد فما هو المانع من أن يخطئ في مورد آخر؟ إنّ هذا الشك والترديد يؤدي إلى سلب ثقة الناس بالنبيّ، وبالنتيجة نقض الغرض من البعثة[1]، ونقض الغرض قبيح من الحكيم ومن المحال أن يصدر الأمر القبيح من اللَّه الحكيم.

بالرغم من أنَّ التفكيك بين المصونيّة في أمر الوحي والحكومة وبين الأمور الأخرى ممكن عقلاً، إلا أنَّ هذا الأمر سهل على الناس الواقعيين والمفكرين، ولا يمكن لعامة الناس الذين يشكلون أغلبية من يخاطبهم أنبياء اللَّه ﷺ أن يروا هذين المجالين منفصلين، أو أن يجعلوا خطأ أحدهما لا يسري إلى الآخر.

بناء على ذلك، يحكم العقل بوجوب عدم صدور الخطأ من النبيّ لكي يتحقق الهدف من بعثة الأنبياء ﷺ، وهذا الأمر يتحقق عندما يكون النبيّ والإمام متصلاً بمصدر العلم الإلهيّ بنحو من الأنحاء، ويتمكن من إعطاء الجواب الصحيح

---

(١) انظر: جعفر السبحانيّ، الإلهيّات، ج٣، ص٢٠و١٧٣؛ جعفر السبحانيّ، منشور جاويد (الميثاق الخالد)، ج١٠، ص١٥٤.

عندما يسألونه عن شيء؛ لأنَّ عدم الإجابة من قبل النبيّ والإمام أو عدم معرفتهما بأجوبة الأسئلة يؤثر في تصديق الناس لكلامهم الآخر، وإنَّ بعض الروايات تؤيد هذا الدليل العقليّ، فمثلاً: ورد في الخبر الصحيح أنَّ الإمام الصادق عليه السلام ركّز على وجود طاعة أهل البيت عليهم السلام، وقال: «أترون أنَّ اللّه تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثمَّ يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم؟»[١].

إنَّ أغلب الباحثين الشيعة يعتقدون بأنَّ النبيّ ﷺ يجب أن لا يخطئ بأي أمر من الأمور، فضلاً عن عصمته عن المعصية، فالخواجة نصر الدين الطوسيّ يعتقد بأنَّ النبيّ يجب أن يتمتع بمقام العصمة، وكمال العقل، والذكاء، والفطنة، وقوة الرأي، وعدم السهو؛ لكي يثق الناس به ويتحقق الغرض من بعثة الأنبياء عليهم السلام[٢]. وبالخصوص رسول اللّه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وكتابه المهيمن على جميع الكتب السماويّة الأخرى.

١ـ١ـ٢. الكمال الوجودي للنبيّ والإمام:

إنَّ أهل البيت عليهم السلام، لاسيّما النبيّ محمد ﷺ الذي هو الإنسان الكامل، يمتلكون كمالاً وجوديًّا، فالنبيّ ﷺ يقول: «ما خلق اللّه أفضل مني ولا أكرم عليه مني»[٣].

إنَّ كون أهل البيت عليهم السلام يمثلون الإنسان الكامل يلزم منه أن لا يكون شيء خارج دائرة علمهم مما يمكن أن يعلمه الإنسان، وبصدد ذلك قال الإمام الخمينيّ قدس سره:

---

(١) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنَّه لا يخفى عليهم الشيء، ح٤؛ وكذلك ورد في بصائر الدرجات، ج٣، الباب ٥ عدَّة أحاديث بهذا المضمون.

(٢) انظر: العلامة الحلّي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تصحيح حسن زاده آملي، ص٣٤٩.

(٣) محمد محمدي ريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ص٣٢٠٢، ح١٩٨١٣.

إنَّ درك النبيّ لحقائق ما وراء العالم الحسيّ والماديّ، ليس محدودًا بل هو تابع لشروط خاصة، وأنَّ اللَّه أظهر حقائق العالم لرسوله كما هي عليه[١].

والجدير بالذكر أنَّ هذه العلوم يمكن أن لا تكون موجودة بالفعل، إلا أنَّ الإنسان الكامل قادر على الوصول إليها متى ما شاء ذلك، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم عَلِم»[٢].

١ـ٢. الأدلّة القرآنيّة:

١ـ٢ـ١. تعليم الأنبياء عليهم السلام:

إنَّ الآيات القرآنيّة تدل على أنَّ اللَّه تعالى جهَّز أنبياءه بسلاح العلم والمعرفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣].

إنَّ العلم بهذه الأسماء أعظم موهبة إلهيّة لآدم ومصدر فضيلته وافتخاره واستحقاقه لمقام خلافة اللَّه، والمقصود من الاسم في هذه الآية ليس مجرد الألفاظ، بل المقصود من ذلك أنَّ اللَّه تعالى علَّم النبيّ آدم عليه السلام جميع العلوم المتعلقة بالأرض والسماء وخواصها ومنافعها؛ وعليه فإنَّ النبيّ آدم عليه السلام عالم بجميع حقائق العالم وأسراره؛ ذلك لأنَّه:

---

(١) انظر: الإمام الخمينيّ قدس سره، مصباح الهداية، ص٦١ـ٧١؛ ويوجد مثيل لهذا الكلام في كتب أخرى أيضًا، من قبيل: حيدر الآمليّ، تفسير المحيط الأعظم، ج١، ص٣٢؛ صدر المتألهين، تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٣٤٢؛ جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن، ج٧، ص٢٤٥.

(٢) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا، ح١، ص٣٨؛ ويوجد احتمال آخر في الحديث وهو أنَّ الفعل «عُلِّم» مبني للمجهول من باب تفعيل؛ أي كلَّما أراد عُلِّم (انظر محمد باقر المجلسيّ، مرآة العقول، ج٣، ص١١٨).

(٣) البقرة/ ٣١.

١ ـ إنَّ لهذه الأسماء مفهوماً عاماً وواسعاً تشير إليه لفظة «كلَّها»، كما توجد روايات تؤيد هذا الظهور أيضًا[١]، ومن جملة ذلك ما روي عن الإمام الصادق ﷺ عن أبي العباس قال سألته عن قول اللَّه «وعلم آدم الأسماء كلها» ماذا علّمه؟ قال: «الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علّمه»[٢].

٢ ـ من خلال ذكر ضمير جمع المذكر في الآية الكريمة، يُستنتج بأنَّ جميع الأسماء أو المسميات التي علَّمها اللَّه تعالى لآدم ﷺ هي موجودات حيَّة وذات شعور استقرت تحت حجاب عالم الغيب وكانت محجوبة عن الأنظار، والجدير بالذكر أنَّ معرفة النبيّ آدم ﷺ بتلك الأسماء لم تكن مثل معرفتنا؛ وإلا لو كان الأمر كذلك لعرفتها الملائكة أيضًا ولم تكن معرفتها له فضيلة، فالمراد من هذه المعرفة العلم المقترن بالكشف الحقيقيّ للأسماء.

بناء على ذلك تكون هذه الأسماء التي علّمها اللَّه للنبيّ آدم ﷺ الأشياء نفسها التي أشارت إليها الآية المباركة[٣]: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٤].

والنتيجة هي أننا نتوصل من الآيات المتعلقة بتعليم الأسماء للنبيّ آدم ﷺ إلى إثبات سعة علمه، ومعرفته.

---

(١) انظر: محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، تصحيح هاشم رسولي، ج١، ص٥١، ح١١-١٣.
(٢) المصدر السابق، ح١١؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٧٦.
(٣) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١، ص١١٧ و١١٨.
(٤) الحجر/ ٢١.

١ـ٢ـ١ـ١. معرفة رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام بالأمور التي علَّمها اللَّه لآدم عليه السلام:

نظراً إلى الخصائص التي يمتاز بها النبيّ محمد ﷺ، والوحي النازل عليه، فإنَّه ﷺ كان عالمًا بكل ما علمه النبيّ آدم عليه السلام؛ ذلك لأنَّه كما مرَّ في الفصل الثاني من هذا القسم، أنَّ النبيّ محمد ﷺ هو آخر أنبياء اللَّه عليهم السلام وكتابه خاتم كتب اللَّه السماويّة، حيث روى الكليّنيّ رحمه الله بسند صحيح[١] أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ اللَّه عزّ وجلّ ذكره خُتم بنبيكم النبيّين فلا نبي بعده أبدًا وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبدًا»[٢].

بناء على ذلك يمتلك النبيّ محمد ﷺ جميع العلوم الإلهيّة التي كان يمتلكها الأنبياء الماضين، ومن جملة ذلك علم النبيّ آدم عليه السلام والأسماء التي ذُكرت في الآية الكريمة، وقد أشير إلى هذه المسألة في الأحاديث أيضًا، ومن جملة ذلك ما ورد بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ اللَّه لم يعط الأنبياء شيئًا إلا وقد أعطاه محمدًا»[٣].

وتشير الروايات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام أيضًا إلى أنَّهم قد ورثوا علم النبيّ آدم عليه السلام، ومن جملة ذلك ما رواه الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «إنَّ العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع والعلم يتوارث، وأنَّ عليًّا عليه السلام عالم هذه الأمَّة، وأنَّه لم يمت منَّا عالم إلا خلف من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء اللَّه»[٤].

---

(١) انظر: محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج٣، ص١٥٧.

(٢) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، ص٢٦٩.

(٣) محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج٣، ص٢٠، ح٥.

(٤) حسين بن روح الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١١٦.

كما وردت روايات عدَّة في بصائر الدرجات وأصول الكافي تدل على أنَّ الأئمة يعلمون علم جميع الأنبياء والملائكة[١]، ومن جملة ذلك ما روي بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «إنَّ للَّه علميّن علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء، وعلم علَّمه ملائكته ورسله وأنبيائه ونحن نعلمه»[٢].

وقال رسول اللَّه ﷺ أيضًا: «الأوصياء من ذريتي أعطاهم اللَّه فهمي وعلمي»[٣].

١ـ٢ـ٢. إثبات علم الأنبياء عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

في ضوء بيان فضل اللَّه على النبيّ يوسف عليه السلام في هذه الآية المباركة، ومجيء لفظ الحكم والعلم نكرة فيها وهو ما يدل على عظمتهما؛ يُستنتج سعة علم هذا النبيّ، وقد جاء ما يشبه هذا التعبير بحق عدَّة أنبياء في آيات أخرى، ومن جملة ذلك ما جاء بخصوص النبيّ موسى عليه السلام في سورة القصص الآية ١٤، والنبيّ لوط عليه السلام في سورة الأنبياء الآية ٧٤، والنبيّ داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام في سورة الأنبياء الآية ٧٩.

---

(١) انظر: المصدر السابق، فإنَّ جميع أحاديث باب ٢١ من الجزء ٢ هي بهذا المضمون؛ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٩، ح٢، جميع أحاديث باب ٢١ من الجزء ٢ هي بهذا المضمون؛ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام.

(٣) المصدر السابق، ص٤٨.

(٤) يوسف/ ٢٢؛ وكذلك انظر: القصص/ ١٤.

وقد مرَّ أنَّ رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام تبعًا للروايات يمتلكون جميع علوم أنبياء اللَّه، فقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام حول علم النبيّ ﷺ وأنبياء اللَّه الآخرين عليهم السلام، أنَّه قال: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا ومحمد أعلم منه»(١).

بناء على ذلك، فإنَّ الآيات التي أثبتت نوعاً من العلوم لأنبياء اللَّه عليهم السلام، تصدق في حق رسول اللَّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

١ـ٢ـ ٣. الثبات في العلم:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(٢).

الرسوخ بمعنى الثبات(٣). والراسخون في العلم هم الأشخاص الذين يكون علمهم ثابتًا، وليس لديهم تبدّل أو تزلزل في الرأي، وعلمهم مطابق للواقع، ولمّا كانت الألف واللام في كلمة «العلم» للجنس؛ فلهذا يكون لهؤلاء ثبات في مجالات العلم كافة، وليس لديهم شيء من التزلزل؛ أي إنَّهم راسخون في مطلق العلم.

توجد روايات متعدّدة تركِّز على أنَّ الراسخون في العلم هم رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام(٤). فمثلًا روى بريد بن معاوية عن الإمام الصادق والإمام الباقر عليهما السلام بخصوص قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، فقال: «فرسول ﷺ أفضل الراسخين في العلم، قد علمه اللَّه عزّ وجلّ جميع

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح٧، ص٣٢٧.

(٢) آل عمران/ ٧.

(٣) أحمد بن محمد المقري الفيوميّ، المصباح المنير، ج١، ص٢٧٤.

(٤) إنَّ المفسرين اختلفوا في الرأي حول «الواو» وهل هي مستأنفة أو عاطفة، إلّا أنَّ هذه الرواية شاهد على كونها مستأنفة.

ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان اللّه لينزل عليه شيئًا لم يُعلِّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله»[١].

وكذلك قال الإمام علي عليه السلام: «أين الذين زعموا أنَّهم الراسخون في العلم دوننا، كذبًا وبغيًا علينا أن رفعنا اللّه ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم»[٢].

١ـ٣. الأدلّة الروائيّة:

إنَّ الأدلّة الروائيّة التي تُثبت سعة علم أهل البيت عليهم السلام كثيرة، وقد أورد الكليّنيّ رحمه الله بعض هذه الروايات في أصول الكافي، ضمن الجزء الأول من كتاب الحجة، وقد صنَّفها في عدَّة أبواب، مثل: إنَّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنَّه لا يخفى عليهم الشيء صلوات اللّه عليهم، ومما ذُكر في هذا الباب أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنِّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنَّ موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول اللّه ﷺ وراثة»[٣].

وهذه الرواية تدل على أنَّ رسول اللّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام يتمتعون بعلم واسع جدًا.

---

(١) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجّة، باب أنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام، ح٣.

(٢) نهج البلاغة/ الخطبة ١٤٤.

(٣) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان، وما يكون، وأنَّه لا يخفى عليهم الشيء، ح١.

وكذلك ورد في أصول الكافي باب بعنوان: إنَّ الأئمة ورثوا علم النبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء[١]. تدلّ مجموع روايته على أنَّ رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام يمتلكون علم جميع الأنبياء عليهم السلام، ولهم معرفة بالكتب السماويّة كافة التي جاء بها الأنبياء السابقون.

ومن جملة ذلك ما روي عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبيّ ﷺ ورث النبيّين كلهم؟، قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلّا ومحمد ﷺ أعلم منه»[٢].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ أوَّل وصي كان على وجه الأرض هبة اللَّه بن آدم، وما من نبي مضى إلاّ وله وصي، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وإنَّ علي بن أبي طالب كان هبة اللَّه لمحمد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله، أما إنَّ محمدًا ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّا ورثنا محمد ﷺ»[٤].

٢. مصدريّة القرآن لعلم النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام:

إنَّ الشواهد والأدلّة المتعلقة بمصدر علم النبيّ الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام طائفتان:

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢٩.

(٢) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب إنَّ الأئمة ورثوا علم النبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء، ح٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤، ح٢.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٢٥، ح٣و٤.

٢ـ١. الطائفة الأولى:

إنَّ بعض المفسرين وعلماء الإسلام بالاستناد إلى مجموعة شواهد يعتقدون بأنَّ القرآن الكريم مصدر علم النبيّ ﷺ والأئمة المعصومين[١] عليهم السلام، ومع أنَّه لا توجد في القرآن الكريم آية صريحة أو ظاهرة بخصوص مصدريّة القرآن لعلم هؤلاء الأفذاذ، إلا أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٢]، يمكن أن يكون دليلًا على مصدريّة القرآن لعلم النبيّ ﷺ، بالنظر لما ورد من مواقف استند ﷺ بها إليها، ومن المحتمل أنَّ المراد من الوحي فيها مجموع ظاهر وباطن الوحي القرآني.

روي أنَّ رسول اللَّه ﷺ أمر يومًا أن توصد جميع الأبواب المشرفة على المسجد - من بيوت الصحابة ـ سوى باب علي فكان هذا الأمر عزيزًا على المسلمين حتى إنَّ حمزة عم النبيّ عتب عليه وقال: كيف أوصدت أبواب عمك وأبي بكر وعمر والعباس؟! وتركت باب علي مفتوحًا «وفضلته على الآخرين؟!» فلما علم النبيّ ﷺ أنَّ هذا الأمر صعب عليهم دعا الناس إلى المسجد وخطب خطبة عصماء لم يسمع لرسول اللَّه ﷺ خطبة قط كان أبلغ منها تمجيدًا وتوحيدًا فلما فرغ قال: «يا أيها الناس ما أنا سددتها، ولا أنا فتحتها، ولا أنا أخرجتكم وأسكنته»[٣]، ثم قرأ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٤].

---

(١) انظر: محمد بن عبدالرحيم النهاونديّ، تفسير القرآن وتبيين الفرقان، ج١، ص٢٨؛ عبدالله جوادي آملي، مجلة كيهان انديشه، العدد ٣٩، السُنّة السابعة، ص٣٢؛ وحول كلام النبي الأكرم ﷺ انظر: جلال الدين السيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص١٣؛ فقد جاء في هذا الكتاب نقلاً عن قول الشافعيّ: «جميع ما تقوله الأمَّة شرح للسنة، وجميع السُنّة شرح للقرآن، وجميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن».

(٢) النجم/ ٣ و٤.

(٣) (جلال الدين السيوطيّ، الدر المنثور، ج٦، ص١٢٢).

(٤) النجم/ ١/ ٤.

إنَّ هذه الآية الكريمة من سورة النجم هي خطاب للمشركين، ومن هنا يمكن أن تكون منصرفة إلى وحيانيّة ما ينطق به النبيّ محمد ﷺ بما يتعلق بالوحي[١]. ومن جهة أخرى، إنَّ الحديث يكشف عن علوِّ مقام أمير المؤمنين على جميع الأمَّة الإسلاميّة بعد الرسول ﷺ، وهذا الحديث وهذه الآية يدلان على أنَّه ليست أقوال النبيّ هي على وفق الوحي فحسب، بل حتى أعماله وأفعاله وتقاريره وسيرته أيضًا[٢].

وتدل بعض الروايات أيضًا على أنَّ مصدر علم النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام هو القرآن الكريم، فهؤلاء الأفذاذ يستنبطون أحكامهم ومعارفهم الضروريّة بدقة خاصة، كما سيتضح ذلك في مناقشة روايات الجامعيّة المتعلقة بالآية ٨٩ من سورة النحل، فإنَّ أغلب الروايات المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم تدل على أنَّ أهل البيت عليهم السلام إذا كانوا يعلمون بأخبار السموات والأرض، فإنَّهم يستنبطون ذلك من القرآن[٣]. ومن جملة ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إنِّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنَّة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة فرأى أنَّ ذلك كَبُر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب اللَّه عزّ وجلّ، إنَّ اللَّه عزّ وجلّ يقول فيه تبيان كل شيء»[٤].

إضافة إلى الروايات المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم، توجد روايات أخرى تدل على أنَّ مصدر علم أهل البيت عليهم السلام مقتصر على القرآن، ومنها:

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص٢٧.

(٢) ناصر مكارم الشيرازيّ، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢٢، ص٢٧.

(٣) انظر: محمد بن الحسن الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٢٧.

(٤) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنَّه لا يخفى عليهم الشيء، ح٢.

١ ـ سُئِل الإمام الصادق عليه السلام: هل عندكم من رسول اللّه ﷺ سوى الوحي؟ قال عليه السلام: «لا والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إلا أن يعطى اللّه عبدًا فهمًا في كتابه»[١].

إنَّ العلامة الطباطبائيّ اعتبر هذه الحديث من غرر الأحاديث وأقل ما يدل عليه هو أنَّ ما نُقل من أعاجيب المعارف الصادرة عن مقام الإمام عليه السلام العلميّ الذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم[٢].

٢ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام، أنَّه قال: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب اللّه، ثم قال في حديثه: إنَّ اللّه نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقالوا: يا بن رسول اللّه وأين هذا من كتاب اللّه؟ فقال: إنَّ اللّه عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ النساء/ ١١٤، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ النساء/ ٥، وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ المائدة/ ١٠١»[٣].

٣ ـ روايات العرض: إنَّ روايات عرض الأخبار على القرآن الكريم التي تُبيِّن أنجع طريق لتمييز الأحاديث الصحيحة من غير الصحيحة، تدل على مصدريّة القرآن الكريم للروايات؛ لأنَّه يمكن تقييم الروايات بعرضها على القرآن في حالة مجيء كلام عن موضوع هذه الروايات فيه، ومن أمثلة هذه الطائفة من الروايات، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «ما أتاكم من حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو باطل»[٤].

---

(١) محمد عبدالرحمن النهاونديّ، تفسير القرآن وتبيين الفرقان، ج١، ص٢٨.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٧٣.

(٣) (جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج١، ص٧١٤، ح٦٦).

(٤) حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص١٨٦.

إنَّ هذه الرواية يُفهم منها أنَّ جميع روايات رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام تُستنبط من بطن القرآن بنحو من الأنحاء، وإن كان ذلك بالفحص والتدبِّر.

تبعًا لهذه الطائفة من الروايات التي تعتبر أنَّ علم رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام مقتصر على القرآن، تكون جامعيّة القرآن الكريم بسعة علم هؤلاء العظام، أو تكون متضمّنة لعلمهم بتمامه، وعلى أساس هذه الروايات اعتبر العلامة الطباطبائيّ أنَّ جميع التعاليم الموجودة في الروايات لابد أن تكون قد وردت في القرآن.

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] وما في معناه من الآيات يدل على أنَّ النبيّ ﷺ إنَّما يُعلِّم الناس ويبيِّن لهم ما يدل عليه القرآن بنفسه، ويبينه اللَّه سبحانه بكلامه؛ نعم لابد من استثناء تفاصيل الأحكام مما لا سبيل إلى تلقيه من غير بيان النبيّ ﷺ، وكذا تفاصيل القصص والمعاد، فإنَّ تفاصيل هذه المسائل لا سبيل للوصول إليها من نفس القرآن وحده، بل إنَّ طريق الوصول إلى معرفتها هو روايات الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام[2].

إنَّ آية اللَّه جوادي آملي أيضًا من مجموع العلماء الذين يعدُّون كل كلام أهل البيت عليهم السلام مأخوذاً من القرآن، ومن الطبيعي أنَّ الأئمة عليهم السلام يأخذون الكلام من باطن القرآن وأسراره، ثمَّ يبينونه للناس؛ ذلك لأنَّ السُنّة تعني تبيين باطن القرآن لا ظاهره، وبعبارة أخرى أنَّ القرآن الكريم لكونه تبيانًا لكل شيء لا يحتاج إلى بيان من الخارج، والرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام كالمعلميّن يقومون برفع الحُجب عن عيون الناس، والناس تهتدي بتعاليمهم من باطن القرآن[3].

---

(١) النحل / ٤٤.

(٢) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٨٤ و٨٥.

(٣) عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ، ج١، القرآن في القرآن، ص٣٩٠.

٢ـ٢. الطائفة الأخرى:

الطائفة الأخرى من الروايات تدل على أنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام لهم مصدر آخر للمعرفة، فضلاً عن القرآن الكريم؛ من قبيل: السُنّة، وكتاب علي عليه السلام، والصحيفة الجامعة، ومصحف فاطمة عليها السلام، والتحديث والإلهام الإلهيّ.

وقد ورد في رواية مشهورة عن النبيّ الأكرم ﷺ أنَّه ﷺ يذكر هبة أخرى وهبها اللَّه تعالى إيَّاه كما وهبه القرآن، فضلاً عن المصادر الأخرى، حيث قال: «أوتيت القرآن ومثله معه»[١].

وما دام بعضهم اعتبر القرآن هو السُنّة، فعليه يمكن الاستنتاج من مثلية السُنّة للقرآن مصدريّة السُنّة لعلم أهل البيت عليهم السلام إلى جانب الكتاب.

إنَّ الكليّنيّ رحمه الله في كتاب أصول الكافي، الجزء الأول من كتاب الحجة، في باب بعنوان «جهات علوم الأئمة عليهم السلام»، ذكر بأنَّ اللَّه تعالى كان يقذف في قلوبهم من الإلهام، وتنكت الملائكة في آذانهم، ويقرؤون على غير ظهر قلب، فضلاً عن وراثتهم العلم من رسول اللَّه ﷺ.

ثمّ إنّ الكليّنيّ رحمه الله في باب آخر تحت عنوان: «إنَّ الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا وإنَّ الأئمة عليهم السلام المحدثون والمفهمون» أورد بعض الأحاديث التي تدل على أنَّ الأئمة عليهم السلام كانوا محدثين وملهمين[٢]. فمثلًا أنَّ ابن عباس قال: سمعت

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٤٤، ص١٣١؛ لقد وردت هذه الرواية في مصادر الشيعة بهذه اللفظ: «أوتيت القرآن ومثليه معه» (بحار الأنوار، ج١٦٦، ص٤٤١٧؛ مجمع البيان، ج٢، ص٢٩٨؛ لقد احتمل الطبرسيّ أنَّ المراد من «مثليه» السنن.

(٢) انظر: محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة عليهم السلام المحدثون والمفهمون، وباب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث؛ أصول الكافي، ج١، ص٢٦٤، كتاب الحجة، باب: جهات علوم الأئمة عليهم السلام؛ وحول الفرق بين الوحي والإلهام، انظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، ج٣، ص٢٣٨ و ٢٣٩؛ محمد صدر الدين الشيرازيّ، مبدأ ومعاد، ص٦٠٨؛ محمد صدر الدين الشيرازيّ، مفاتيح الغيب، ص١٤٦.

رسول اللَّه ﷺ يقول: «أعطاني اللَّه خمسًا وأعطى عليًّا خمسًا... أعطاني الوحي وأعطاه الإلهام»[١]، وعن زرارة قال: «سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: اثنا عشر إمامًا من آل محمد كلُّهم محدثون»[٢].

وعن سورة بن كليب، قال: قلت لأبي عبد اللَّه ﷺ: بأي شيء يفتي الإمام؟، قال: بالكتاب. قلت: فما لم يكن في الكتاب؟، قال: بالسُنّة. قلت: فما لم يكن في الكتاب والسُنّة؟ قال: ليس شيء إلّا في الكتاب والسُنّة. قال فكررت مرة أو اثنتين قال: يسدّد ويوفّق، فأمَّا ما تظن فلا[٣].

يعتقد العلامة المجلسيّ أنَّ مراد الإمام من التوفيق والتسديد الإلهام من اللَّه والإلقاء من روح القدس[٤].

وهناك روايات تدل أيضًا على أنَّ حكم بعض الأمور لم يُبيَّن في الكتاب والسُنّة، وحتى الإمام علي ﷺ الذي هو باب مدينة العلم ما كان يعلم بها من قبل، وكان اللَّه يلهمه بحكمها، وعلى سبيل المثال روي عن أبي جعفر الباقر ﷺ: قال: «كان علي ﷺ يعمل بكتاب اللَّه وسنّة نبيه، فإذا ورد عليه الشيء الحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السُنّة ألهمه اللَّه الحق فيه إلهامًا، وذلك واللَّه من المعضلات»[٥].

---

(١) المجلسّي، بحار الأنوار، ج١٨، باب٣، ح٧٧، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج٢٦، ص٨١.

(٣) المصدر السابق، ص١٧٥؛ إنَّ هذه الرواية ضعيفة؛ لأنَّ الكتب الرجاليّة اعتبرت الراوي «سورة بن كليب» ضعيفًا.

(٤) المصدر السابق.

(٥) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢٦، أبواب العلوم، باب ١، ص٥٥، ح١١٣ و ص٣٢، ح٤٨ و ٤٩ و ص١٩، ح٢.

ثمّ إنّ الإمام الصادق ﷺ خاطب عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة بخصوص تبيين منهج أهل البيت ﷺ في التعامل مع القضايا، وقال: «فإنَّه ما ورد علينا من أمر القضايا، مما ليس في كتاب اللّه ولا في سُنّة نبيّه، فإنَّا نأخذ فيه برأينا»(١).

على أساس هذه الطائفة من الروايات التي ذكرت وجود مصادر أخرى غير القرآن الكريم لعلم رسول اللّه ﷺ وأهل بيته ﷺ، ليس من اللازم أن يكون جميع علم هؤلاء العظام قد جاء في القرآن، ولو أنَّ جميع ما جاء في القرآن قد انعكس في الروايات، ستكون النسبة بين جامعيّة القرآن الكريم والحدود الموضوعيّة للروايات نسبة العموم والخصوص المطلق ويكون ذلك لصالح الروايات؛ وبالنتيجة ستكون نسبة جامعيّة القرآن الكريم مع الحدود الموضوعيّة للدين هي نسبة العموم والخصوص المطلق ولصالح الدين أيضًا، وذلك في ضوء ما مرَّ في الفصل الأول وثبت هناك بأنَّ القرآن والروايات هما المصدر الأساسي للدين الإسلاميّ فقط.

لكن لو فرضنا أنَّه لم يرد كل ما هو موجود في القرآن في الروايات ولم يُحتسب جزءًا من الدين، ستكون النسبة بين جامعيّة القرآن الكريم والحدود الموضوعيّة للروايات نسبة العموم والخصوص من وجه، إلا أنَّ هذا الرأي خاطئ؛ وذلك لأنَّ المعصومين ﷺ يعلمون بكل محتوى القرآن الكريم، وتكون النتيجة الحاصلة من هذه الطائفة من الروايات هي نسبة العموم والخصوص المطلق بين جامعيّة القرآن الكريم والحدود الموضوعيّة للدين الإسلاميّ.

(١) النعمان بن محمد بن حيون، دعائم الإسلام، تحقيق محمد عبدالغفار، ج١، ص٩١.

٢ ـ ٣. الجمع بين الطائفتين من الروايات:

إنَّ الجمع بين الروايات التي تذكر بأنَّ منبع علم أهل البيت ﷺ القرآن، والروايات التي تعتبر أنَّ هناك مصادر معرفيّة أخرى لأهل البيت ﷺ غير القرآن، يمكن أن يكون بوجهين، وهما:

١ ـ المصادر الأخرى تهدي إلى بطن القرآن الكريم[١].

٢ ـ إنَّ هذه المصادر تنشأ من علم غير علم القرآن لأهل البيت ﷺ.

الوجه الأول للجمع أقرب للواقع، وإن لم يكن لدينا دليل قطعي على بطلان الوجه الثاني أيضًا.

النتيجة: إنَّ مصدر علم رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت ﷺ مقتصر على القرآن الكريم، أو هو المصدر الأصليّ لهما على أقل تقدير؛ بناء على ذلك يشتمل القرآن الكريم على الأصول الكليّة لعلم النبيّ الأكرم ﷺ والأئمة ﷺ والدين الإسلاميّ، ومع تعيين حدود القرآن الكريم تتعيَّن في الجملة حدود علم هؤلاء العظام والدين الإسلاميّ؛ ذلك لأنَّ الخطوط الأساسيّة والكليّة للدين قد وردت في القرآن[٢].

٢ ـ كيف يكون القرآن مصدرًا لسعة علم الرسول ﷺ وأهل البيت ﷺ:

نستنتج من القرآن الكريم أنَّ علم القرآن هو آيات في صدور أهل البيت ﷺ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٣].

---

(١) إنَّ بعضهم عدَّ القرآن طريقًا للوصول إلى مصادر أخرى بوساطة أهل البيت ﷺ (انظر: ناصر مكارم الشيرازيّ، پيام قرآن (رسالة القرآن)، ج٧، مبحث مصادر الأنبياء؛ احمد مطهريّ وغلام رضا كاردان، علم پيامبر و امام در قرآن (علم النبي والإمام في القرآن).

(٢) انظر: عبدالله جوادي آملي، تفسير تسنيم، ج١، ص١٥٤.

(٣) العنكبوت/ ٤٩.

إضافة إلى قول الإمام الصادق عليه السلام بأنَّ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الأئمة عليهم السلام[١]، ولابد من الاعتراف بأنَّنا لا نعلم كيف يستنبط المعصومون عليهم السلام معارفهم وأحكامهم الشاملة من القرآن الكريم، ولم نعثر على روايات بهذا الصدد أيضًا، وتبعًا لبعض الروايات أنَّ الأئمة عليهم السلام قد استنبطوا الآيات القرآنيّة بأساليب ومبانٍ خافية علينا[٢]. كما يُفهم من بعض الروايات أنَّه من الصعب علينا ـ نحن الناس العاديين ـ إدراك منهج عمل أهل البيت عليهم السلام وطريقة فهمهم، قال الإمام علي عليه السلام: «إنَّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان»[٣].

بالتأكيد أنَّ هناك نوعاً من العلاقة بين المعاني الباطنة للقرآن الكريم وألفاظه، لكنَّها ليست من سنخ العلاقة الوضعيّة بين الألفاظ والمعاني[٤]، ولا نعلم نوعها؛ ومن هنا كان ظاهر القرآن وسيلة للانتقال إلى المعنى الباطن، وبالإمكان فهم الباطن بعد توضيح هذا الظاهر.

ولعلنا نستطيع من فهم بعض الآيات أن نعرف بعض الشيء عن منهج استنباط الأئمة عليهم السلام من القرآن الكريم، فمثلاً روي أنَّ الإمام الباقر عليه السلام، قال: «إنَّ رسول اللّه ﷺ نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقيل: يا بن رسول اللّه أين هذا من كتاب اللّه؟ قال: إنَّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ النساء/ ١١٤، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ النساء/ ٥،

---

(١) محمد بن يعقوب الكليّني، الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب إنَّ الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح٢؛ ولقد وردت روايات عديدة في هذا الباب تدل بعضها على أنَّ المقصود هو الإمام علي عليه السلام.

(٢) مثالًا على ذلك: انظر: محمد بن محمد بن نعمان الشيخ المفيد، المقنعة، ص٥٦٤؛ ابن إدريس الحلّي، السرائر، ج٣، ص١٣.

(٣) نهج البلاغة: الكلمة (١٨٩).

(٤) انظر: محمد كاظم شاكر، تأويل قرآن و رابطه زبانشناختى آن با تنزيل قرآن (تأويل القرآن وعلاقته اللغوية مع تنزيل القرآن)، مجلة معرفت، العدد ٢٤، السُنّة السادسة، ربيع ١٩٩٨م.

وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ المائدة/ ١٠١»[1].

كما نقل الفيض الكاشانيّ ﷺعن بعض أهل المعرفة مطلبًا دقيقًا مختصرًا في تفسير الصافي، يمكن أن يساعدنا قليلاً على فهم هذا السر وهذه الحقيقة السامية، فقد قال:

إنَّ الإنسان يمكن أن يعلم بالأشياء عن طريقين، وهما:

١ ـ الحسّ برؤية، أو تجربة، أو سماع خبر، أو شهادة، أو اجتهاد، أو نحو ذلك، ومثل هذا العلم لا يكون إلا متغيّرًا فاسدًا محصورًا متناهيًا غير محيط؛ بسبب محدودية المعلوم وجزئيته؛ لذلك تكون مثل هذه العلوم التي تُشكل علوم أكثر الناس متغيرة ومحصورة.

٢ ـ العلم بمبادئ الأشياء وأسبابها وغاياتها علمًا واحدًا كليًّا بسيطًا على وجه عقليّ؛ ذلك لأنَّ الأسباب الكليّة والغايات العامة للأشياء ليست محصورة ولا محدودة، فإنَّه ما من شيء إلا وله سبب ولسببه سبب، وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى مسبّب الأسباب، وكل ما عرف سببه من حيث يقتضيه ويوجبه فلا بد أن يعرف ذلك الشيء علمًا ضروريًّا دائمًا.

بناء على ذلك، فمن عرف اللَّه تعالى بأوصافه الكمالية ونعوته الجلالية، وعرف أنَّه مبدأ كل وجود وفاعل كل فيض وجودي، وعرف ملائكته المقربين، ثم ملائكته المدبرين المسخرين للأغراض الكليّة العقليّة بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة، من غير فتور ولغوب الموجبة لأن يترشّح عنها صور الكائنات، كل ذلك على الترتيب السببيّ والمسببيّ فيحيط علمه بكل الأمور وأحوالها ولواحقها علمًا.

---

(١) محمد بن يعقوب الكلينيّ، أصول الكافي، ج١، ص٦٠، ح٥.

إنَّ هذا العلم بريءٌ من التغيير والشكّ والغلط، فيَعْلَم من الأوائل الثواني، ومن الكليّات الجزئيات المترتبة عليها، ومن البسائط المركبات[١].

ومثل هذا الشخص يَعْلَم حقيقة الإنسان وأحواله وما يكملها ويزكيها ويسعدها ويصعدها إلى عالم القدس، وما يدنسها ويرديها ويشقيها ويهويها إلى أسفل السافلين، علمًا ثابتًا غير قابل للتغيير ولا محتمل لتطرّق الريب، فيَعْلَم الأمور الجزئيّة من حيث هي دائمة كليّة ومن حيث لا كثرة فيه ولا تغيير.

وإن كانت هي كثيرة متغيّرة في أنفسها وبقياس بعضها إلى بعض، وهذا كعلم اللّه سبحانه بالأشياء وعلم ملائكته المقرّبين وعلوم الأنبياء والأوصياء ﷺ بأحوال الموجودات الماضية والمستقبلة، وعلم ما كان وعلم ما سيكون إلى يوم القيامة من هذا القبيل، فإنَّه علم كليٌّ ثابت غير متجدد بتجدد المعلومات ولا متكثّر بتكثّرها.

ومن عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]. ويصدق بأنَّ جميع العلوم والمعاني في القرآن الكريم عرفإنّاً حقيقيًّا وتصديقًا يقينيًّا على بصيرة لا على وجه التقليد والسماع ونحوهما، إذ ما من أمر من الأمور إلا وهو مذكور في القرآن إما بنفسه أو بمقوماته وأسبابه ومبادئه وغاياته، ولا يتمكن من فهم آيات القرآن وعجائب أسراره وما يلزمها من الأحكام والعلوم التي لا تتناهى إلا من كان علمه بالأشياء من هذا القبيل[٣].

استنتج بعض العلماء غير المعصومين ﷺ من القرآن معارف حيَّرت عقول الآخرين، وعلى سبيل المثال: نقل آية اللّه العظمى السيد محسن الحكيم في

---

(١) إنَّ الراسخين في العلم هم الذين جاءوا في القرآن الكريم بهذه الصفة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران/ ٧.

(٢) النحل/ ٨٩.

(٣) محسن، الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج١، ص٥٦ ـ ٥٨، مع التلخيص والتغيير الطفيف.

حقائق الأصول ضمن بحث بطون القرآن بأنَّ بعض الأعاظم حضروا يومًا مع مجموعة من الأعيان منزل الآخوند «ملا فتح علي قدس سره» منهم السيد إسماعيل الصدر قدس سره، والحاج النوري صاحب المستدرك قدس سره، والسيد حسن الصدر دام ظله.

فتلا الآخوند قدس سره قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ... ﴾[1]، ثم شرع في تفسير قوله: تعالى فيها: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ...﴾ الآية، وبعد بيان طويل فسرها بمعنًى، لما سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنًى آخر غير الأول، فاستوضحوه أيضًا وتعجّبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثمَّ حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين.

ولم يزالوا على هذه الحال كُلَّما حضروا عنده يومًا ذكر لها معنًى، إلى ما يقرب من ثلاثين يومًا، فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى وكُلَّما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد أصابتهم الدهشة وكيف أنَّهم لم يتوصَّلوا بأنَّفسهم إلى فهم ذلك، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس اللَّه روحه[2].

٤ ـ النتيجة:

يستنتج من مجموع الأدلّة والشواهد المتعلقة بالعلم الواسع للنبيّ محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، والروايات التي تُبيِّن مصدريّة القرآن لعلم هؤلاء العظام التي عقدنا هذا الفصل للبحث حولها أنَّ الحدود الظاهريّة والباطنية

---

(١) الحجرات/ ٧.

(٢) انظر: السيد الحكيم، حقائق الأصول، ج١، ص٩٥ و ٩٦.

للقرآن الكريم هي بسعة علم رسول اللّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

بناء على ذلك، فإنَّ مباحث هذا الفصل تكون قد أيَّدت ما قد فهمناه من الآيات؛ أي جامعيّة القرآن الكريم.

الفصل السابع
الأدلّة القرآنيّة على الحدود الموضوعيّة للقرآن

الأدلّة القرآنية على الحدود الموضوعيّة للقرآن

كما مرَّ في البحث عن مناهج الكشف عن الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، أنَّ الاستدلال بآيات القرآن الكريم من أجل الحصول على الحدود الموضوعيّة هو أمر جائز، بل ضروري، وقطعًا يدل هذا على أنَّ القرآن الكريم قد أشار إلى حدوده بوساطةبعض آياته.

لا يوجد هناك قطع بوجود ارتباط بين بعض الآيات التي استُدل بها في هذا المجال وبين حدود القرآن، ومن أجل أن نعرف رأي القرآن الكريم بهذا الصدد بدقة، سنقوم بمناقشة جميع هذه الآيات بحسب الترتيب الموجود في القرآن؛ لكي نتعرَّف الآيات التي ترتبط بحدود القرآن والتي لا ترتبط بحدوده.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

(١) الأنعام/ ٣٨.

ما دام معنى التفريط هو الإهمال[١]، فإنَّ الآية تشير إلى عدم وجود إهمال شيء في الكتاب، بل مجيء كل شيء فيه، ثمّ إنّ هناك احتمالات عدَّة لمعنى الكتاب[٢]، أقواها احتمالان، وهما:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ اللوح المحفوظ.[٣]

والظاهر أنَّ الاحتمالين كليهما يمكن أن يكون واردًا؛ ذلك لأنَّه:

أولاً: الآية في البداية تتحدث عن المخلوقات، وهذا يتناسب كثيرًا مع اللوح المحفوظ، ويبيِّن أنَّ كل الخلقة مكتوبة في اللوح المحفوظ، فقد روى السيوطي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، قال: (ما تركنا شيئًا إلاّ وقد كتبناه فى أم الكتاب)[٤].

ثانيًا: إنَّ الآية السابقة لهذه الآية تذكر طلب الإتيان بالمعجزة، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) احمد سياح، فرهنگ بزرگ جامع نوين (القاموس العصري الجامع)، ج٢، ص١٢١٥.

(٢) وهناك احتمال آخر وهو أنَّ المراد بالكتاب الأجل؛ أي أنَّ لكل شيء أجلًا، ثم يحشرون جميعًا، إلا أنَّ هذا الاحتمال بعيد (انظر فضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣و٤، ص٤٦١)، وكذلك يوجد احتمال آخر وهو أنَّ المراد علم الله بنية الإنسان وقوله وفعله؛ انظر: محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ج٢، ص١٨٥.

(٣) محمود بن محمد الزمخشريّ، الكشاف في تفسير القرآن، ج٢، ص٢١؛ سيد قطب في ظلال القرآن، ج٥ـ٧، المجلد ٢، ص١٠٨٠.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥، جلال الدين السيوطيّ، الدر المنثور، ج٣، ص٢٦٨؛ جرير الطبري، شرح هذه الآية.

(٥) الأنعام/ ٣٧.

إنَّ حديث هذه الآية عن طلب المعجزة يمكن أن يكون قرينة على أنَّ المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن الكريم، ثمّ إنّ الروايات أيضًا اعتبرت المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن الكريم، ومن جملة ذلك أنَّ الإمام عليه السلام في مذمّة أهل الاختلاف وإكمال الدين، قال: الله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾ (فيه تبيان كل شيء)[1].

كما روي أنَّ الإمام الرضا عليه السلام قال: «إن اللَّه عزّ وجلّ لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بيَّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾»[2].

بناء على ذلك، يكون اللوح المحفوظ والقرآن كلاهما مصداقًا للكتاب، والآية تشير إلى جامعيّة كتاب التكوين وكتاب التشريع الإلهيّ. إنَّ الفخر الرازي ضمن ذكره للقولين المتعلقين بتفسير الآية الكريمة، قال:

إنّ المراد منه القرآن، وهذا أظهر؛ لأنَّ الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن[3]. و«مِن» في عبارة «من شيء» للتبعيض، وما دامت الجملة منفيّة فهي نقيض للسالبة الجزئيّة؛ أي موجبة كلية، وهذا يدل على نهاية المبالغة في أنّه تعالى ما ترك شيئًا مما يحتاج المكلف إلّا وذكره في القرآن الكريم[4].

---

(١) نهج البلاغة/ الخطبة ١٨.

(٢) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، ص١٩٨؛ الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٩٥؛ عبد علي بن جمعة الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٧١٢.

(٣) محمد بن عمر فخر الدين الرازي الشافعيّ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج١٢، ص١٧٧-١٨٠.

(٤) انظر المصدر السابق ج ١٢، ص ٥.

ثمّ إنّ ابن عربي قد أيّد هذا الاحتمال أيضًا حيث قال:

إنَّ هذا الكتاب هو القرآن الكريم الجامع لكل شيء، وهو يشتمل على علوم الأنبياء عليهم السلام والملائكة وجميع العلوم، ويبيّنها لأهلها[١].

والنتيجة هي أنَّ هذه الآية المباركة تدل على جامعيّة القرآن الكريم.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

لقد فسَّرت الروايات الكتاب المبين[٣] في هذه الآية الكريمة بالإمام الظاهر من باب التطبيق[٤]، وبخصوص مصداق الكتاب المبين في هذه الآية الكريمة[٥] توجد ثلاثة آراء، وهي:

١ ـ القرآن الكريم[٦]؛ لأنَّ هذه الكلمة أطلقت على القرآن في موضع آخر[٧]، من قبيل قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[٨].

---

(١) انظر: محي الدين ابن عربي، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، ج٢، ص٧١ و٧٢؛ تجدر الإشارة إلى أنَّ محي الدين ابن عربي في تفسير آخر اعتبر المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ (انظر: محي الدين ابن عربي، تفسير القرآن الكريم، ج١، ص٣٦).

(٢) الأنعام/ ٥٩.

(٣) توجد عبارة «الكتاب المبين» في آية أخرى أيضًا، وهي: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ النمل/ ٧٦.

(٤) انظر: هاشم الحسينيّ البحرانيّ، البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص٧٢٢ و٧٢٣، ح٩٩-١٠١.

(٥) كما يوجد اختلاف في الآراء أيضًا حول الآية المباركة: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ النمل/ ٧٦.

(٦) محمود بن محمد الزمخشريّ، الكشاف، ج٢، ص٣١.

(٧) عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ، القرآن في القرآن، ج١، ص٢٢٤.

(٨) المائدة/ ١٥.

إنَّ استخدام الكتاب المبين بمعنى القرآن الكريم في هذه الآية الشريفة لا يمكن أن يكون قرينة على أنَّ المراد من الكتاب المبين في الآية ٥٩ من سورة الأنعام هو القرآن الكريم أيضًا؛ ذلك لأنَّ مجرد استخدام هذه اللفظة بخصوص القرآن لا يمكن أن يجعل استخدامها مقتصرًا على هذا المعنى، ولاسيّما إنَّ صدر الآية ينسجم أكثر مع كون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ أو العلم الإلهيّ؛ لكونها تتحدث عن الغيب الإلهيّ.

٢ـ اللوح المحفوظ الذي هو مرتبة من العلم الإلهيّ[١].

٣ـ كتاب غير القرآن مثبتة فيه جميع الأشياء قبل الخلقة وأثناء الخلقة وبعد الخلقة ولا يطرأ عليه التغيير أبدًا[٢]. ونسبة ذلك الكتاب للحوادث كنسبة الخطوط العامة لمنهج العمل، كما توجد آيات أخرى تشير للكتاب أيضًا[٣].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

وبصدد تأييد هذا الرأي أورد صاحب تفسير كشف الأسرار رواية عن رسول اللّه ﷺ قال فيها: «كتب اللّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض

---

(١) انظر: جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥، ص٢١١.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج٧، ص١٢٩؛ الزمخشريّ، الكشاف، ج٢، ص٣١؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٧، ص٢٢٩؛ محمود الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٥، ص٢٥١.

(٣) وكذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يونس/ ٦١.

(٤) سبأ/ ٣.

بخمسين ألف سنة»[١].

الرأي الثاني والثالث يمكن أن نجمعهما مع بعضهما بالبيان الآتي: إنَّ الكتاب المبين هو مرتبة من العلم الإلهيّ أطلق عليه اللوح المحفوظ؛ بسبب ثباته وبقائه مصونًا من أيدي الشياطين[٢]. ولعل هذا هو الذي جعل بعضهم يعدُّ المبين بمعنى المحفوظ وغير المنسي[٣].

النتيجة هي أنَّ مصداق الكتاب المبين في الآية ٥٩ من سورة الأنعام، يمكن أن يكون الكتاب المحفوظ والكتاب غير قابل للتغيير والقرآن الكريم؛ ومن هنا فإنَّ الآية الكريمة يمكن أن تكون متعلقة بالقرآن الكريم وجامعيّته ومفادها مفاد الآية ٨٩ من سورة النحل التي سيأتي البحث عنها.

الآية الثالثة: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٤].

لاشك أنَّ المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن الكريم، لكن توجد آراء عدَّة بخصوص كون الآية متعلقة بجامعيّة القرآن الكريم من عدمه، وكذلك فيما يتعلق بمفادها[٥]، وهي:

---

(١) أبو الفضل رشيد بن مبيدي، كشف الأسرار وعدة الأبرار، ج٣، ص٣٧٩؛ إنَّ محمد عبده ضمن تأييده لهذا الرأي، أورد الحديث المذكور وعدَّه حديثًا صحيحًا (انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج٧، ص٤٥٩).

(٢) انظر: محمود الآلوسّي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٥، ص٢٥١.

(٣) انظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٥٥.

(٤) الأنعام/ ١١٤.

(٥) انظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص٢٤٤.

١ ـ لقد وردت جميع الأمور اللازمة في القرآن بالتفصيل، وفي مثل هذه الحالة تكون هذه الآية متحدة المضمون مع الآية ٨٩ من سورة النحل[١].

٢ ـ إنَّ القرآن فرَّق بين الصادق والكاذب، وبين الحق والباطل في الدين، وبين الحلال والحرام، وكذلك بين الإيمان والكفر[٢].

٣ ـ إنَّ معاني القرآن واضحة ولا يوجد فيها خلط وإبهام[٣].

والظاهر أنَّ الرأي الثالث هو الصحيح، والمراد أنَّ معاني القرآن واضحة وليست فيها أي إبهام[٤]؛ ذلك لأنَّ لفظ «فصل» تدل في اللغة على تمييز الشيء عن الشيء وإبانته عنه،[٥] وبقرينة كلمة «حَكَمًا» التي جاءت بمعنى القاضي في بداية الآية أيضًا.

النتيجة: إنَّ الآية الكريمة ليست مرتبطة بجامعيّة القرآن الكريم، وحدوده الموضوعيّة.

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦].

---

(١) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ج٩، ص٢٠٤؛ وكذلك اعتبر جواد مغنية أنَّ الآية مرتبطة بالحدود الموضوعيّة للقرآن، لكنَّه يعتقد بأنَّ الآية تدل على أنَّ القرآن بصدد بيان الحلال والحرام والحق.

(٢) انظر: محمد بن رضا المشهديّ، كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج٤، ص٤٢٩.

(٣) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مجمع البيان، ج٣ و٤، ص٥٤٦، يوجد احتمال كبير أنَّ صاحب المجمع يعتقد بأنَّ هذه الآية ترتبط بجامعيةالقرآن الكريم؛ ذلك لأنَّه قد ذكر هذا الرأي في بداية الحديث عنها.

(٤) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج٧، ص٣٤٦.

(٥) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة «فصل»؛ أحمد بن محمد المقري الفيوميّ، المصباح المنير، ج٢، ص١٤٨.

(٦) يوسف/ ١١١.

لتعرّف ما يتعلق بارتباط هذه الآية المباركة بحدود القرآن الكريم، لابد لنا من البحث حول بعض الكلمات، وهي:

١ ـ كلمة «حديثًا»: يوجد احتمالان حول هذه الكلمة:

الأول: إنَّ كلمة «حديثًا» ترجع إلى السورة أو الآيات المتعلقة بقصة النبيّ يوسف ﷺ، وفي مثل هذه الصورة لا تكون الآية متعلقة بجامعيّة القرآن الكريم[١].

الثاني: المراد من حديثًا كل القرآن.

إنَّ الاحتمال الثاني هو الصحيح، وإنَّ أغلب المفسرين أيَّدوا ذلك أيضًا، والآية ترتبط بجامعيّة القرآن؛ لأنَّها تتحدث عن كتاب لم يكن يُفترى وهو مُصدِّق لجميع الكتب الأخرى، وقد وصف بهذا الوصف في آيات متعدّدة[٢].

٢ ـ تفصيل: من باب التفعيل من «فصل»، هو بمعنى التقسيم والتمييز، وفي الآية بمعنى البيان[٣]، ومن المحتمل أن يستفاد من لفظة «تفصيل» للدلالة على المبالغة[٤]؛ أي البيان الدقيق الذي يميِّز الحق عن الباطل.

٣ ـ كل شيء: إنَّ الذين يعتقدون بأنَّ لفظة «حديثاً» في هذه السورة مرتبطة بآيات قصة النبيّ يوسف ﷺ، قيدوا عبارة «كل شيء» بتفاصيل هذه القصة أو سنن الحق والباطل[٥].

---

(١) سلطان محمد الجنابادي، بيان السعادة، ج٢، ص٣٧٥.

(٢) فيما يتعلّق بكون القرآن لا يُفترى، انظر: هود/ ١٣، وأمّا فيما يتعلق بأنَّه مُصدِّق فقد أشير إلى ذلك في أكثر من ستة عشر آية، ومن جملتها: البقرة/ ٤١ و٨٩؛ الأحقاف/ ١٢.

(٣) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مجمع البيان، ج٥ و٦، ص٤١٦.

(٤) انظر: أبو جعفر بن الحسن الطوسّي، التبيان، ج٦، ص٢٠٩.

(٥) سلطان محمد الجنابادي، بيان السعادة، ج٢، ص٣٧٥.

يحتمل أنَّ هذا الرأي جاء تبعًا لما يمكن أن يتصوره بعضهم حين نقل تفاصيل القصص من كونها ليست صادرة من قبل اللَّه، فكانت هذه الآية تؤكِّد في معرض الجواب لمثل أصحاب هذه التصورات بأنَّ كل هذه التفاصيل هي من عند اللَّه، وليس للرسول ﷺ أي دور في ذلك، وعلى أساس هذا الرأي تكون الآية مبيّنة إلى أنَّ جميع آيات القرآن الكريم هي من اللَّه؛ لا أنَّ القرآن الكريم بيان لكل شيء، لكنَّ القرائن تدل على أنَّ الآية تتكلم على كل القرآن الكريم كما ذكرنا ذلك؛ وعليه فإنَّ عبارة «كل شيء» تبيِّن جامعيّة القرآن الكريم.

إنَّ الروايات تؤيِّد هذا المطلب أيضًا، وتعتمد على هذه الآية في إثبات الحدود الموضوعيّة للقرآن، ومن جملة ذلك ما رواه الشيخ الصدوق في كتابه الشريف «كمال الدين وتمام النعمة» بسندين مختلفين عن عبدالعزيز بن مسلم، من أنَّ الإمام الرضا عليه السلام قال: «إنَّ اللَّه تبارك وتعالى لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بيَّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كملاً...»[١].

النتيجة: هي أنَّ الآية الشريفة تتعلق بجامعيّة القرآن الكريم، لكن هل إطلاق الآية هو مقيَّد أو لا؟ وهل بيان القرآن لهذه الأمور هو بالتفصيل أو بالإجمال؟[٢] وهل هو بوساطة أو من دون وساطة؟[٣] ففيه خلاف. و اعتبره بعضهم مقيّدًا بأمور

(١) أبو جعفر محمد بن علي، الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٩٥؛ أبو جعفر محمد بن علي، الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٦٧٥؛ وكذلك انظر: علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٧١٤.

(٢) محمد بن الحسن الطوسّي، التبيان، ج٦، ص٢١٠.

(٣) فتح الله الكاشي، منهج الصادقين، ج٥، ص٨٦.

الهداية[١]، أو الأمور المتعلقة بسعادة الدنيا والآخرة[٢]، أو العلوم الشرعية[٣]، وفي المقابل أنَّ بعض المفسرين اعتبروا أنَّ المراد من «تَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ» بيان جميع الأمور الضروريّة للإنسان في مسائل الدنيا والآخرة[٤]، إلا أنَّ الأصل عدم جواز رفع اليد عن الظهور الأولي للكلام، إلّا مع وجود الدليل القطعي على الخلاف، فضلاً عن أنَّ الرواية المذكورة لم تُقيِّد عموم الآية أيضًا.

الآية الخامسة: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٥].

لقد أوليت هذه الآية المباركة اهتمامًا أكبر من الآيات الأخرى المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم، ثمّ إنّ دلالتها على هذه المسألة أوضح من الآيات الأخرى أيضًا، ونحن كذلك سنتعرَّض للبحث حول هذه الآية المباركة أكثر من غيرها، حيث وردت مسائل كثيرة جديرة بالبحث والدقة في تفسير الآية المباركة، ومن جملة ذلك دلالتها على علوِّ مقام الأنبياء ﷺ لاسيّما النبيّ الأكرم ﷺ، ولغرض تجنب إطالة البحث حولها سنقوم بمناقشة المسائل المتعلّقة بجامعيّة القرآن فقط.

---

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن الطبرسّي، المصدر السابق، ص٢٠٩؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، المصدر السابق، ص٤١٦؛ محمد حسن الفيض الكاشانيّ، تفسير الصافي، ج٣، ص٥٥؛ محمد بن محمد رضا المشهدي، المصدر السابق، ج٦، ص٤٠١.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١١، ص٣٠٨.

(٣) انظر: محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج١٧، ص١٨٦.

(٤) انظر: فتح الله الكاشانّي، منهج الصادقين، ج٥، ص٨٦؛ محمد شيخ علي شريف لاهيجي، تفسير شريف لاهيجي، ج٢، ص٥٧١؛ محمد حسين فضل الله، المصدر السابق، ج١٢، ص٣٣٤؛ محمد السبزواري، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج٤، ص٩٩؛ أبو الفتوح الرازي، روض الجنان ورح الجنان في تفسير القرآن، ج١١، ص١٧٢.

(٥) النحل/ ٨٩.

١ ـ **الكتاب**: لقد اتفقت الآراء على أنَّ المراد من الكتاب في هذه الآية الكريمة القرآن العربي النازل والمتداول بين أيدي المسلمين، وليس ما هو موجود في أمِّ الكتاب أو اللوح المحفوظ، وهذا الاتفاق في الرأي صحيح؛ لأنَّ الآية المباركة تقول: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾.

٢ ـ **تبيان**: يوجد احتمالات حول هذه اللفظة: فهي إمَّا مصدر أو اسم، وعلى الاحتمالين كليهما فيها شيء من مبالغة بمعنى الكلام البليغ[١]. ويستفاد من هذه اللفظة أنَّ القرآن بنفسه مبيِّنًا بنحو مباشر؛ لأنَّ المبيِّن غير المباشر لا يتناسب مع المبالغة؛ بناء على ذلك، لا يصح الاعتقاد بالبيان الإجمالي في جامعيّة القرآن الكريم[٢].

والجدير بالذكر أنَّ هذه المسألة لا تتعارض مع تصريح القرآن الكريم بوظيفة رسول اللَّه ﷺ الخاصة بتبيينه للقرآن[٣]؛ لأنَّ الحدود المبينة في هذه الآية خاصة بالنبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام؛ إذ هذا البيان من خصوصياتهم، هذا أولاً.

وثانيًا: بالرغم من أنَّ هذه الآية وصفت القرآن الكريم للجميع كل بحسب فهمه، إلّا أنَّ رسول اللَّه ﷺ وسائر المعصومين عليهم السلام هم في القمة من ناحية المعرفة بالقرآن الكريم، وفي بعض الأحيان يبقى المجال مفتوحًا لتبيين الكتاب من قبل هؤلاء العظماء، وهذا لا يتنافى مع كون القرآن الكريم مبيّنًا بنفسه، كما أشار العلامة الطباطبائيّ إلى ذلك في هذه الآية[٤]، وعبارة ﴿يعلمهم الكتاب﴾

---

(١) انظر: محمود بن محمد الزمخشريّ، الكشاف في تفسير القرآن، ج٢، ص٥٨٩؛ محمود الآلوسّي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٣١٦.

(٢) محمد بن حسن، الشيخ الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، محمود بن محمد الزمخشريّ، الكشّاف، ج٢، ص٤٨١ و ٥١٦.

(٣) قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل/ ٤٤.

(٤) النحل/ ٤٤.

في الآية من سورة الجمعة تصرِّح بأنَّ رسول اللَّه ﷺ يُعلِّم الناس ويبيِّن لهم عندما تكون المعاني مجملة ويتعذر على الناس فهمها بوضوح[١].

٣ـ الواو وسط الآية: يظهر أنَّها كانت واوًا عاطفة، وبداية الآية مرتبط مع نهاية الآية، فالقسم الأول من الآية ذكر مسألة وجود شاهد في كل أمَّة، وأنَّ شهادة رسول اللَّه ﷺ تكون على جميع الشهود أو جميع الناس؛ ونتيجة لزيادة أعداد الناس وكثرة أعمالهم قد يتبادر للذهن هذا السؤال: كيف يمكن للنبيّ ﷺ أن نتعرّف كل هذه الأعمال ويشهد بخصوصها يوم القيامة؟ لذلك جاء القسم الثاني من الآية ليطرح مسألة جامعيّة القرآن؛ حتى يُفهم الناس بأنَّ كل ما يريد أن يشهد به النبيّ ﷺ جاء في القرآن الكريم؛ لأنَّه تبيان لكلّ شيء.

إنَّ الاختلاف الزماني الذي أشير إليه في قسمي الآية المباركة، وتعلق القسم الأول بالقيامة والقسم الثاني بالدنيا، لا يدل على أنَّ الواو استئنافية وعدم الارتباط بين القسمين؛ ذلك لأنَّه:

أولاً: الأصل هو أنَّ أجزاء كل آية تكون مرتبطة مع بعضها؛ لأنَّها نازلة معًا.

ثانيًا: إلى جانب أنَّ هذه الشهادة تتحقق يوم القيامة، إلا أنَّ تحملها يكون في الدنيا، والقرآن الكريم في حكايته عن النبيّ عيسى يقول: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢].

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج٣، ص٨٥.

(٢) المائدة/ ١١٧.

إشكال: تبعًا لبيان القرآن الكريم أنَّ المؤمنين يتمكنون من رؤية أعمال الناس أيضًا؛ لأنّه يقول: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وإذا فسِّر بعضهم كلمة ﴿المؤمنون﴾ في الآية الشريفة بأهل البيت عليهم السلام[2]، فمعنى ذلك أنَّ الرواية التي استدلوا بها لتفسير ذلك قد بيَّنت المصداق الكامل للآية وليس معناها؛ وعليه لا ينبغي جعل الشهادة على الأعمال محصورة بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

الجواب:

أولاً: لم يرد كلام على الشهادة في الآية ١٠٥ من سورة التوبة، وهي تتعلق برؤية أعمال مجموعة خاصة، ولعل المراد رؤية أفعال المنافقين وتعرّف على نفاقهم، إلا أنَّ آيات الشهادة، ولاسيّما الآية ٨٩ من سورة النحل، جاءت بخصوص القيامة وأعمال جميع الناس.

ثانيًا: على فرض أنَّ بعض المؤمنين يتمكنون من الشهادة يوم القيامة، فإنَّ شهادة هؤلاء لا تشمل إلّا قسمًا من أعمال بعض الأشخاص، وليس أعمال جميع الناس مثلما ذُكر ذلك بخصوص الأئمة مما يُستنتج من بعض آيات الشهادة.

ثالثًا: بخصوص الآية التي خاطبت المسلمين في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

---

(١) التوبة/ ١٠٥.

(٢) قال الإمام الصادق: (والمؤمنون هم الأئمة)، جمعة العروسي الحويزيّ، نور الثقلين، ج٢، ص٢٦٢، ح٣٢٠.

(٣) البقرة/ ١٤٣.

بيَّنت الروايات بأنَّ المراد من «الأمَّة الوسط» أهل البيت ﷺ وليس الأمَّة الإسلاميّة بأسرها، فمثلاً: روي عن الإمام الباقر ﷺ في تفسير هذه الآية المباركة، أنَّه قال: «نحن الأمَّة الوسطى، ونحن شهداء اللَّه على خلقه»(١).

٤ ـ الالتفات في الآية المباركة يدل على أنَّ القرآن الكريم تبيان لكل شيء لخصوص رسول اللَّه ﷺ، والأئمة المعصومين ﷺ تبعًا لذلك؛ لأنَّه تبعًا للقواعد العربية يجب أن تأتي كلمة ﴿الكتاب﴾ في الآية مباشرة بعد الفعل ﴿نزَّلنا﴾؛ لأنَّها مفعول به ومقدمة على الجار والمجرور، في حين أنَّ الجار والمجرور؛ أي لفظ ﴿عليك﴾ تقدَّم على الكتاب، ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم تبيان لكل شيء لك وحدك، ولا يُخاطب بالقرآن بهذا الشكل إلّا رسول اللَّه ﷺ والأئمة المعصومون ﷺ؛ ولهذا ورد في رواية عن أبي جعفر الباقر ﷺ، أنَّه قال: «إنَّما يعرف القرآن من خوطب به»(٢).

من مجموع هذه الأدلّة والشواهد المتعلّقة باقتصار فهم القرآن على النبيّ ﷺ وأهل البيت ﷺ يُستفاد أنَّ القرآن الكريم له شأن خاص بالنسبة لرسول اللَّه ﷺ وأهل البيت ﷺ فيما يتعلق بأمر الهداية، فضلاً عن شأن الهداية الخاص بالناس كافة.

إنَّ بعض الأساتذة الكرام رفضوا أن يكون القرآن تبيانًا لكل شيء لخصوص النبيّ الأكرم ﷺ فقط، فهم يعتقدون بأنَّ ثمرة الارتباط بين قسمي الآية تنشأ من أنّ بداية الآية تبيِّن شهادة رسول اللَّه ﷺ، ونهايتها تصف القرآن الكريم بأنَّه يُعرِّف معيار الشهادة وتمييز الحسن من القبيح؛ بناء على ذلك يكون تبيانًا

---

(١) حسين بن روح الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ج١١، ص٦٣؛ جمعة العروسّي الحويزيّ، نور الثقلين، ج١، ص١٣٣ـ ١٣٥.

(٢) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنور، ج٤٦، ص٣٤٩.

للآخرين أيضًا، ومن الطبيعي أن تبيان القرآن يختلف بالنسبة لهؤلاء بالتناسب مع مقدار فهمهم، وما دام معرفة النبيّ ﷺ بأعمال الناس لا يقتصر على طريق القرآن، لا يمكن أن نستنتج من خلال الارتباط بين قسمي الآية بأنَّ القرآن الكريم تبيان لكل شيء بخصوص النبيّ الأكرم ﷺ.

ويقينًا توجد في القرآن المعايير الخاصة بحسن الأعمال والأشخاص وقبحهما، وهذه المسألة نتعرَّفها من ظاهر الآية ومن القرينة التي نحصل عليها عند استمرار الآية ﴿هُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾؛ ذلك لأنَّ وجود الارتباط بين قسمي الآية لا يكون دليلاً على أنَّ رسول اللَّه ﷺ يتعرَّف أعمال الناس عن طريق القرآن، وكذلك بالنظر لمقام هذا الرسول لا يلزم أن يتعرَّف باطن الأشخاص عن طريق القرآن، ولا يوجد شاهد على هذه المسألة أيضًا، فضلاً عن أنَّ مجرد تسجيل أعمال الأشخاص لا يكون هداية وبشرى ورحمة لهم.

في معرض الإجابة عن هذا الرأي لابد من القول:

أولاً: لا نقصد بأنَّ القرآن الكريم بيان لخصوص رسول اللَّه ﷺ والأئمة ﷺ، بل القصد هو أنَّ الآيات والروايات في مجموعها تدل على أنَّ القرآن هو تبيان لكل شيء بالنسبة لهؤلاء الأفذاذ، وهذا لا يتنافى مع كونه تبيانًا للآخرين كلاً على قدر فهمه، وهذا يماثل ما يُستفاد من بعض الروايات من أنَّ للقرآن مراتب كل مرتبة تختص بطائفة خاصة من الناس، ومرتبة منه خاصة بالأنبياء ﷺ؛ لذلك قال الإمام الحسيّن ﷺ: «كتاب اللَّه تعالى على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»[1].

(١) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج٨٩، ص٢٠، ح١٨، باب ١؛ لقد وردت هذه الرواية عن الإمام الصادق ﷺ أيضًا بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٧٧، ح١١٢، ج٨٩، ص١٠٣، ح٨١.

ثانيًا: لم ندّعِ أنَّ أعمال الناس هي التي سُجِّلت في القرآن فقط، حتى يكون هناك تعارض مع نهاية الآية التي اعتبرت بأنَّ القرآن وسيلة هدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

٥ ـ كل شيء: إنَّ لفظ «كل» و «شيء» كلاهما مطلق، وفيما إذا لم تكن هناك قرينة فعلينا أن نلتزم بإطلاق الآية، ثمّ إنّ بعضهم يعتقد بأنَّ لفظ «كل» في الآية الكريمة ليس بمعنى الشمول والعموم، بل للتكثير والتفخيم؛ بناء على ذلك، يكون المقصود من الآية هو أنَّ القرآن تبيان لأغلب الأشياء وليس لتمامها، والشاهد على ذلك ما ذكره القرآن الكريم بخصوص نزول العذاب على قوم عاد، في قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[١]، في حين أنَّ اللّه تعالى لم يُدمِّر كل شيء في العالم، بل منازل قوم عاد فقط[٢].

والظاهر أنَّ هذا القياس ليس صحيحًا؛ ذلك لأنَّ ما قبل عبارة ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الآية ٢٥ من سورة الأحقاف، يدل بوضوح على أنَّ المراد من ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾الناس والمنازل وأثاثها في الأرض التي كان يقطنها قوم عاد، وإنَّ التأمل في جميع عبارات الآية ٢٤ و ٢٥ من سورة الأحقاف يوضح هذا المدعى.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[٣].

وعليه لا يوجد ترديد في إطلاق لفظة «كل»، ولفظة «شَيْءٍ»، إلا مع وجود

---

(١) الأحقاف/ ٢٥.

(٢) انظر: محمود الآلوسّي، روح المعاني، ج١٠، ص٣١٦.

(٣) الأحقاف/ ٢٤ و ٢٥.

الدليل القطعيّ على خلاف ذلك، وفي ضوء ما مرَّ يكون إطلاق «كُلِّ شَيْءٍ» مقيّدًا بأمور يحتاج لها رسول اللّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في أداء رسالتهم.

إذاً لا دليل على تقييد إطلاق «شيء» بأمور الهداية[١]؛ لأنَّ القرآن الكريم وإن كان هداية للناس إلا أنَّه مصدر هداية للنبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام أيضًا، وهم بحاجة إلى هداية القرآن أكثر مما يحتاجه الناس؛ ذلك لأنَّهم مكلَّفون بالجواب عن أي سؤال.

إنَّ بعض الروايات تشير إلى أنَّ اللّه إذا أوجب اتباع شخص على الناس، لا يمكن أن يخفي عنه أخبار السموات والأرض[٢]؛ على هذا الأساس يعتقد أكثر الباحثين الشيعة بأنَّ النبيّ ﷺ يجب أن لا يعتريه الخطأ في أيِّ أمر، فضلاً عن عصمته من الذنب، ولعل هذه الأدلّة والشواهد هي التي جعلت أحد علماء القرآن يعتقد بأنَّ ما يتلقاه الأنبياء عن طريق الوحي أوسع مما يتلقاه الناس، نظرًا إلى ضيق سعة ما يتلقّاه الناس عن طريق الوحي، وأنَّ بعض الآيات والروايات تدل على أنَّ أشخاصًا غير النبيّ ﷺ ـ وليس النبيّ وحده ـ يعلمون بما هو كائن وما سيكون[٣]؛ لذلك تشير الآية المباركة إلى أنَّ شأن القرآن الكريم خاص بالرسول محمد ﷺ، وبوساطته يجب أن يهتدي الناس، ثمّ إنّ الروايات اعتمدت على

---

(١) انظر: أبو طاهر يعقوب فيروزآباديّ، تنوير المقباس عن تفسير ابن عباس، ص٢٢٩؛ جلال الدين السيوطيّ، الدر المنثور، ج٤، ص٥٨٩؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان، ج٥ و٦، ص٥٨٦؛ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢،ص٩٨؛ أبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص٦٨٢؛ محمود الآلوسيّ، روح المعاني، ج٨، ص٢١٦؛ سيد قطب، في ظلال القرآن؛ رشيد رضا، المنار، ج٧، ص٣٩٥؛ محمد بن طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٥٣؛ محمد بن عبدالحق ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٤٥٢.

(٢) انظر: محمد بن يعقوب الكلينيّ، أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنَّه لا يخفى عليهم الشيء، ح٤؛ بصائر الدرجات، ج٣، باب ٥؛ وتوجد فيه عدَّة أحاديث بهذا المضمون.

(٣) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف قرآن (معارف القرآن)، ج١-٣، ص٤٠٦.

هذه الآية الكريمة لإثبات النطاق الواسع للقرآن الذي يتعدّى حدود الهداية[١]، وأنَّ بعضًا من هذه الروايات صحيحة السند أيضًا[٢]. ومن جملتها:

١ ـ جاء في أصول الكافي بسند صحيح[٣] أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنَّ اللَّه عزَّ ذكره ... ختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبدًا، وأنزل فيه تبيان كل شيء، وخلقكم وخلق السماوات والأرض، ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم، وأمر الجنة والنار وما أنتم صائرون إليه»[٤].

٢ ـ روى محمد بن يحيى عن محمد بن عبدالجبار عن ابن فضال عن حماد بن عثمان عن عبدالأعلى بن أعين بسند موثق[٥] أنَّه سمع الإمام الصادق عليه السلام يقول: «وأنا أعلم كتاب اللَّه وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنة وخبر النار، وخبر ما كان، و ﴿خبر﴾ ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إنَّ اللَّه يقول: ﴿فيه تبيان كل شيء﴾»[٦].

٣ ـ وقد ورد في محاسن البرقي بسند صحيح أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ أنزل في القران تبيانًا لكل شيء، حتى واللَّه ما ترك اللَّه شيئًا يحتاج إليه العباد، حتى ما يستطيع عبد يقول لو كان في القرآن هذا إلّا وقد أنزله اللَّه فيه»[٧].

---

(١) انظر: محمد بن حسن الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٢٨؛ ج٣، الباب ٦، ح٢؛ فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفيّ، ص١٤٦؛ محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٢٦، ص٦٥، و ج٣٥، ص٤٣٣ و ج٨٩، ص١٠٣.

(٢) انظر: محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج١، ص٢٠٢؛ جاء في سند هذا الحديث محمد بن يحيى، ومحمد بن عبدالجبار، وابن فضال، وحماد بن عثمان، وعبدالأعلى بن أعين، وكل راوٍ فيه إماميّ ثقة.

(٣) محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج٣، ص١٥٧.

(٤) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، ص٢٦٩، ح٣.

(٥) كل راوي من رواة هذه الرواية إماميّ ثقة، ما عدا ابن فضال فهو فطحي المذهب، إلا أنَّه ثقة أيضًا.

(٦) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، أصول الكافي، ج١، ص٦١.

(٧) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج١، ص٢٦٧؛ وقد ورد في الكافي، ج١، ص٥٩ ما يماثل هذه الرواية بسند صحيح.

الآية السادسة: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[١].

يوجد رأيان في تفسير هذه الآية:

١ ـ إنَّ الآية متعلقة بالخلقة لا بالقرآن، والمراد منها تمييز الأشياء وكون الخلقة لا تتضمن إبهامها ولا إجمالها[٢].

٢ ـ إنَّ الآية متعلقة بالقرآن، والمعنى هو أننا بيَّنا مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم بيانًا غير ملتبس[٣].

والاحتمال الأول أقوى؛ وعليه لا ترتبط الآية ببحث جامعيّة القرآن الكريم؛ لأنَّ صدر الآية الكريمة يتحدث عن الخلقة والأمور التكوينيّة، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ﴾.

الآية السابعة: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾[٤].

فهل المراد من القرآن في هذه الآية المباركة نزول القرآن الحقيقيّ على رسول اللَّه ﷺ، أو القرآن الافتراضي؟ يوجد رأيان حول ذلك:

---

(١) الإسراء/ ١٢.

(٢) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١٣، ص٥٦.

(٣) الزمخشريّ، الكشاف، ج٢، ص٦١٠.

(٤) الرعد/ ٣١.

١ ـ إنَّ الآية المباركة تبيِّن خصائص القرآن النازل[١]، ولتأييد هذا الرأي استدل بعضهم برواية استند فيها الإمام الكاظم عليه السلام إلى هذه الآية الكريمة وهو يذكر بأنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله ورث النبيّين كلهم وهو أعلمهم جميعًا، حيث قال: «وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال، وتقطع به البلدان، وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء»[٢].

٢ ـ المراد القرآن الافتراضي، ففي ضوء ما تدل عليه نهاية الآية يكون المقصود هو أنَّه إذا نزل قرآنًا بهذه الخصوصيات، فهم لا يؤمنون به أيضًا، والرواية التي استند الإمام عليه السلام فيها إلى هذه الآية ضعيفة[٣].

في ضوء التفسير الأول تدل الآية على اشتمال القرآن على أمور أكثر من المعارف اللازمة للَّهداية، وفي ضوء الرأي الثاني لا تتعلق الآية بالقرآن النازل، والرأي الثاني أقرب للواقع؛ لأنَّ الآية الكريمة بدأت بـ «لو الشرطية»، ولفظ «قرآن» جاء فيها بصورة نكرة، وليست معرفة لكي يكون المقصود منها القرآن النازل على النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، إضافة إلى أنَّ الرواية التي استدل بها بعضهم في الرأي الأول ضعيفة أيضًا[٤]؛ بناء على ذلك لا ترتبط الآية الكريمة بجامعيّة القرآن الكريم.

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٥].

---

(١) قال الشيخ الطوسّي: وكان سبب ذلك أنهَّم سألوا النبي صلى الله عليه وآله أن يسير عنهم جبال مكة؛ لتتسع عليهم المواضع، فأنزل الله تعالى الآية، وبيَّن أنَّه لو سُيرت الجبال بكلام، لسُيرت بهذا القرآن لعظم مرتبته وجلالة قدره. (التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٥٢).

(٢) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، ص٢٢٦.

(٣) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص٥٠٥.

(٤) المجلسّي اعتبر هذه الرواية موضوعة (انظر: محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج٣، ص٢١).

(٥) الإسراء/ ٩.

إنَّ كون القرآن أقوم هو بالقياس إلى كتب الأديان والشرائع الإلهيّة السابقة، والقرآن بالمقارنة مع كتب سائر الشرائع الأخرى هو أقوم؛ لأنَّ تلك الكتب استجابت إلى بعض حاجات أتباعها، وليس بتمامها، في حين اهتم القرآن بجميع أبعاد حياة الإنسان وجميع ما يهمه من أمور الدنيا والآخرة، وقام بتلبية متطلباته، ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم يهدي الإنسان إلى دين أقوم بالقياس إلى سائر الأديان والشرائع[١].

إنَّ بعض علماء المسلمين ضمّن استدلالهم بهذه الآية على جامعيّة القرآن الكريم، قالوا:

إنَّ القرآن الكريم في هذه الآية المباركة يصف نفسه بأنَّه يهدي للتي هي أقوم، وأقوم يعني الطريقة المستقيمة؛ لذلك ورد فيه جميع معاني ومفاهيم الطريقة المستقيمة، ولو لم تكتمل في القرآن جميع معاني هذه الطريقة لما صح أن يطلق القرآن الكريم على نفسه بأنَّه يهدي للتي هي أقوم[٢].

بناء على ذلك، إنَّ للقرآن الكريم جامعيّةً، وحدودًا موضوعيّة أوسع بالقياس إلى الكتب السماويّة الأخرى.

الآية التاسعة: القرآن الكريم معجزة إلهيّة[٣]؛ وقد تحدَّى الجميع في آيات متعدّدة لإثبات إعجازه، والذين كانوا مرتابين في كون الوحي من عند اللّه

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٤٧.

(٢) انظر: أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ص٦٣٩.

(٣) لغرض الاطلاع على كون القرآن معجزة إلهيّة، انظر: عبدالله الدراز، النبأ العظيم، ص٢٠-٣٢؛ محمد هادي معرفة، التمهيد، ج٤.

دعاهم بكل قوّة لأن يأتوا بحديث مثل القرآن[١] أو عشر سور[٢] أو سورة[٣] من مثله في أقل تقدير، ومن ثمَّ أخبر بعجز الإنس والجنِّ عن الإتيان بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٤].

إنَّ أعم مراتب تحدِّي القرآن الكريم في هذه الآية، وعمومية الآيات المتعلقة بتحدي القرآن ـ لاسيّما هذه الآية المباركة ـ تشير إلى أنَّ الدعوة إلى الإتيان بمثل القرآن على نحوٍ عام تستلزم إعجاز هذا الكتاب من جميع الجوانب وشموليّته في الأبعاد كافة، وعندما يتحدّى القرآن بجميع المسائل التي يتيسر للإنسان ـ الأشخاص في زمن النزول في أقل تقدير ـ الخوض فيها من الناحية الفكريّة والعمليّة، يكون لازم ذلك جامعيّته واشتماله على تلك المسائل في حد الإعجاز.

إنَّ القرآن يدعو في هذه الآية الجميع أعم من الجنِّ والأنس إلى الإتيان بمثله، وفضلاً عن التحدي بالبلاغة والأسلوب تحدَّاهم بخصائصه الأخرى أعم من المعارف الحقيقيّة، والأخلاق الفاضلة، والأحكام والقوانين، والأخبار الغيبيّة، والعلوم والمعارف الخفيّة، وأمثال ذلك، وإنَّ عمومية تحدِّي القرآن الكريم للجنِّ والأنس يكون له معنًى عندما تضم دائرته جميع الأوصاف والخصائص والميادين التي تتوفر فيها إمكانيّة الأفضليّة والأسبقيّة.

---

(١) انظر قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ الطور/ ٣٣و٣٤.

(٢) انظر قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود/ ١٣.

(٣) انظر قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة/ ٢٣و٢٤.

(٤) الإسراء/ ٨٨.

وعلى هذا الأساس فالقرآن معجزة للبليغ في بلاغته وفصاحته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللاجتماعي في اجتماعه، وللمقننين في تقنينهم، وللسياسيين في سياستهم، وللحكام في حكومتهم، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعًا؛ ولا يتمكن لشخص أن يأتي بمثله.

بناء على ذلك، فقد تحدَّى القرآن الآخرين في جميع ميادين المعرفة البشريّة، وعموميّة هذا التحدِّي تُثبت إعجاز القرآن من جميع الجهات المذكورة، وهذا يدل على أنَّ جامعيّة القرآن تضم جميع مجالات المعرفة[١].

إنَّ العلامة الطباطبائيّ استنتج من هذا الكلام بأنَّ القرآن كان معجزًا من الناحية العلميّة، ومشتملاً على العلوم المختلفة التي تؤدي إلى عدم إمكانية الإتيان بمثله؛ ذلك لأنَّ مراد القرآن من العلم والمعرفة نوع خاص منهما، لا يشبه المعرفة التجريبيّة، بل إنَّه طرح المعرفة طرحاً مطلقًا تشمل الفروع المختلفة كافة للعلم هذا من جهة، ومن جهة أخرى لو فرضنا اشتمال القرآن على كليّات تعاليم الإسلام وكل ما يرتبط بفعل وعمل الإنسان بنحو من الأنحاء، ومصونيّته من أن يؤتى بمثله ومن التغيير والتحول والتكامل، فلابد أن يكون هذا الكتاب جامعاً لأصول جميع العلوم وكلياتها التي ترتبط بعمل الإنسان في أقل تقدير[٢].

إنَّ بعض الباحثين في المجال القرآني اعتبر أنَّ الإعجاز المضموني للقرآن واشتماله على العلوم الكثيرة من جملة وجوه الإعجاز أيضًا، ومن أجل إثبات ذلك استند إلى الآية ٤٩ من سورة القصص[٣] التي تتحدَّى في مجال إمكانية

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٩ و٦٠.

(٢) انظر: حميد آريان، جامعيت قرآن در بيان مفسر الميزان (جامعية القرآن في بيان مفسر الميزان)، ج١، ص٥٩ و٦٠.

(٣) انظر: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، معترك الإتقان في إعجاز القرآن، ص١٢-١٦؛ عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، ج١، ص١٣٧؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، رهنما شناسى «معرفة الدليل المرشد»، ص١٣٠؛ محمد هادي معرفة، التفسير الأثريّ، ج٤، ص٢٩؛ محمد حسين الحسيني الطهراني، نور ملكوت قرآن (نور الملكوت القرآني)، ج٢، ص٢٢.

المماثلة في الهداية، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

إنَّ دلالة هذه الآية على الجامعيّة في المضمون تتضح من خلال دعوة الآية الآخرين للإتيان بكتاب أفضل وأكثر هداية من القرآن الكريم، باعتبار أنَّ الذي يمارس فعلاًفي الهداية هو المضمون والمعارف، لكن لابد من الإشارة هنا إلى أنَّ هذه الآية لا تُثبت سوى سعة المعارف القرآنيّة في أمور الهداية فقط.

النتيجة:

لقد اتضح مما ذكرنا سابقًا أنَّ الآيات المتعلقة بالحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، لاسيّما الآية ١١١ من سورة يوسف، والآية ٨٩ من سورة النحل تدل على أنَّ جامعيّة القرآن الكريم لم تكن مقتصرة على الأمور المرتبطة بالهداية والدين، ثمّ إنّها مرتبطة بشأن الهداية القرآنيّة ووسيلتها لخصوص رسول اللّه ﷺ والأئمة عليهم السلام.

(١) القصص/ ٤٩.

الفصل الثامن
الحدود الموضوعيّة للقرآن في الروايات

الحدود الموضوعيّة للقرآن في الروايات

توجد روايات متعدّدة عن أهل البيت عليهم السلام حول الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم وشموليّته وردت في الكتب الروائيّة والتفسيريّة[١]، وهذه الروايات وإن كان بعضها لا يخلو من إشكال من ناحية السند إلا أنَّ عددها يبلغ حد الاستفاضة، فضلاً عن وجود روايات صحيحة السند بينها[٢]، وقد ذُكرت هذه الروايات في أبواب الكتب الروائيّة المختلفة، ويمكن تقسيمها من جهة على قسمين.

القسم الأول:

لقد استندت بعض الروايات المتعلقة بالجامعيّة إلى آيات الجامعيّة أو وردت ضمن تفسير هذه الآيات، وقد بيَّنا هذا القسم من الروايات ضمن الآيات المتعلقة بحدود القرآن الكريم، وهذه الروايات في الجملة ذات مضمون واحد مع الآية ٨٩ من سورة النحل، فهي تدل على أنَّ الحدود الواسعة لكلمات القرآن

(١) توجد اثنتا عشرة رواية في تفسير نور الثقلين ضمن توضيح الآية ٨٩ من سورة النحل (انظر: جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٧٤-٧٧، ح١٧٢-١٩٠).

(٢) وردت في أصول الكافي أربع روايات صحيحة السند وراية موثقة واحدة من مجموع تسع روايات، (انظر: الكلينيّ، أصول الكافي، ح١، باب الرد في الكتاب والسُنّة...، ص٥٩-٦٠).

الكريم خاصة بالنبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، وفي أغلب هذه الروايات يبدأ الإمام عليه السلام بالإخبار عن علمه الواسع ومعرفته بما يوجد في الأرض والسماء وأخبار الماضي والحاضر والمستقبل، ثمَّ يذكر عليه السلام بأنَّ مصدر هذا العلم هو القرآن[١]. وكأنَّه يريد أن يقول: إنَّ الإمام يجب أن يكون له علم ومعرفة، وأنا أمتلك العلم والمعرفة، وقد أخذت ذلك من القرآن.

القسم الآخر:

الروايات التي لا ترتبط بالآيات المتعلقة بحدود القرآن، وتُبيِّن حدود القرآن من دون الاستناد إلى هذه الآيات، وفي هذا الفصل سنتعرَّض لمناقشة هذه الروايات التي يمكن تقسيمها على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى:

الروايات التي تُبيِّن سعة حدود كلمات القرآن الكريم من دون الإشارة إلى من يعلم بها[٢]. ومن جملتها:

١ـ روي عن النبيّ الأكرم ﷺ أنَّه يوصي من يبحث عن علم الأولين والآخرين بقراءة القرآن الكريم، حيث قال: «من أراد علم الأولين والآخرين فليقرأ القرآن»[٣].

٢ـ الروايات التي تصف القرآن بأنَّه مشتمل على كل ما يحتاج إليه العباد، وعلى سبيل المثال روي بسند صحيح[٤] عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «إنَّ اللَّه تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى واللَّه ما ترك شيئًا تحتاج

---

(١) انظر: جمعة العروسي الحويزيّ، نور الثقلين، ج٣، ص٧٤ـ٧٧، ح١٧٢ـ١٧٤ و١٨٢ و١٨٣ و١٨٥ـ١٨٧.

(٢) توجد روايات عدَّة تشير إلى هذا القسم من بين تسعة عشرة رواية موجودة في تفسير نور الثقلين، وهي: ١٧٥ و١٧٦ و١٨٧.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ح٢٤٥٤.

(٤) ورد في سند هذا الرواية كل من محمد بن يحيى، وأحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن حديد، ومرازم، وكل منهم إماميّ ثقة.

إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا أنزل في القرآن إلّا وقد أنزل اللّه في ه»[١].

تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الروايات مجملة؛ ذلك لأنَّه لم يتضح فيها بأنَّ جميع حاجات الناس المتعلقة بالهداية وردت في القرآن، أو أنَّ ما جاء في القرآن هو أعم من الحاجات المتعلقة بالهداية وغير الهداية.

٣ـ روي عن الإمام الرضا عليه السلام، أنَّه ذكر رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقال: «ثمَّ جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة»[٢].

وفي وصف القرآن الكريم قال الإمام علي عليه السلام: «واعلموا أنَّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنًى»[٣].

إنَّ هذا الكلام المختصر المفعم بالمعاني الذي أورده الإمام عليه السلام يدل على أنَّ القرآن الكريم يتمتع بالغنى الثقافي الذي يُغني أتباعه عن كل مذهب ومسلك، في الوقت الذي لا تتمكن سائر المذاهب الفكريّة والكتب البشرية من الاستجابة إلى المتطلبات الأخلاقيّة والمعنويّة للبشر.

وكذلك قال الإمام علي عليه السلام بخصوص القرآن الكريم: «إنَّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه»[٤].

ليس المقصود من كون باطن القرآن الكريم عميق في عبارة الإمام عليه السلام صعوبة

---

(١) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٥٩، ح١.

(٢) محمد بن علي، الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٦٦.

(٣) نهج البلاغة/ ١٧٥.

(٤) أنيق بمعنى عجيب من الناحية الجمالية (انظر: أحمد بن محمد المقري الفيوميّ، المصباح المنير، مادة «أنق»).

المعاني القرآنيّة وغموضها، بل المراد أنَّ القرآن ذكر جميع المسائل المتعلقة بالإنسان والعالم في آيات تتضمن كلمات بسيطة وجميلة[١].

وكذلك قال الإمام علي عليه السلام في خصوص القرآن الكريم: «ثمَّ أنزل عليه الكتاب... وبحراً لا يُدركه قعره»[٢].

الطائفة الثانية:

إنَّ هناك روايات تشير إلى أنَّ الناس لا يتمكنون من فهم القرآن، في الوقت التي تُبيِّن فيه هذه الروايات سعة نطاق حدود القرآن الكريم، ومن جملتها:

١ ـ روي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: «ما من شيء إلّا علمه في القرآن ولكن عقول الرجال تعجز عنه»[٣].

إنَّ هذه الرواية تُصرِّح بأنَّ في القرآن الكريم علم كل شيء، وتركِّز على أنَّ الإنسان لا يتمكن من بلوغه بقوة العقل فقط.

٢ ـ ورد في الكافي مرسلاً[٤] أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب اللّه عزّ وجلّ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»[٥].

إلى جانب أنَّه لم يتعيَّن في هذه الرواية أنَّ المراد هو كل نوع من الاختلاف، كالاختلاف في العلوم التجريبية مثلاً، إلا أنَّ الظاهر من العبارة أنَّها تدل على العموم.

---

(١) محمد تقي جعفريّ، ترجمة وتفسير نهج البلاغة، ج٤، ص٢٦٦-٢٦٩.

(٢) نهج البلاغ/ الخطبة: ١٨٩.

(٣) سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص٢١٨.

(٤) انظر: محمد باقر المجلسّي، مرآة العقول، ج١، ص٢٠٥.

(٥) محمد بن يعقوب الكلينّي، الكافي، ج١، ص٦٠.

يستفاد من هذا القسم من الروايات امتناع فهم جزءٍ من القرآن على الجميع، بحيث لا يمكن أن يفهم هذا الجزء منه إلّا الأشخاص الذين وهبهم اللّه بصيرة خاصة، وإنَّ عدم وصول الناس غير المعصومين إلى معرفة علوم القرآن الكريم كافة لا يتنافى مع كون القرآن الكريم نوراً؛ ذلك لأنَّ التقصير من قبل هؤلاء الناس، وأنَّ كل شخص لا يتمكن من الوصول إلى معارف القرآن الكريم إلا بمقدار كماله العلميّ والمعنوي.

الطائفة الثالثة:

إنَّ هذه الطائفة تضم العدد الأكثر من الروايات، وتشير إلى أنَّ كل ما في القرآن الكريم خاص برسول اللّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام[١]. ومن جملتها:

١ ـ قال الإمام علي عليه السلام: «ما من شيء تطلبونه إلا وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه»[٢].

٢ ـ روي بسند صحيح[٣] عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «كتاب اللّه في ه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه»[٤].

إنَّ هذه الرواية تركِّز على وجود أخبار حوادث الكون في القرآن الكريم، وتصف القرآن بأنَّه القاضي للنزاعات والاختلافات، وتصرِّح بأنَّ المعصومين عليهم السلام يعلمون بمثل هذه المعارف الواسعة في القرآن.

---

(١) انظر: جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٧٥ـ٧٧، ح١٧٩ و١٨٩.

(٢) الشيخ الحر العاملّي، وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٣٥، ح٢.

(٣) انظر: محمد باقر المجلسّي، البحار، ج١، ص٢٠٩؛ ورد في سند هذه الرواية كل من أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن نعمان، وإسماعيل بن جابر، وكل منهم إماميّ وثقة.

(٤) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، ص٦١؛ جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٣، ص٧٥، ح١٨٣.

٣ـ روي في الكافي بإسناد موثق أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ اللَّه تبارك وتعالى لم يدع شيئًا تحتاج إليه الأمَّة إلا أنزله في كتابه وبيَّنه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حدًا»[١].

يستفاد من هذه الرواية أنَّ جامعيّة القرآن بحاجة إلى بيان، فضلاً عن النزول، وهذا البيان هو من خصائص النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

٤ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن، وكانت فيه أسماء الرجال فألقيت، وإنَّما الاسم الواحد في وجوه لا تحصى تعرف ذلك الوصاة»[٢].

إنَّ هذه الرواية في البداية تدل بوضوح على الجامعيّة، ثمّ إنّ أسماء الرجال أيضًا تعني وجود التفاصيل في القرآن، والمسألة الأخرى هي أنَّ كل اسم له وجوه متعدّدة، وتوجد في باطنه مسائل كثيرة، والجملة الأخيرة من الرواية تدل على أنَّ كل اسم من الأسماء الباقية ينطبق على أمور كثيرة أيضًا وهو جامع لكل تلك الأسماء.

يُستنتج من هذه الرواية أنَّ حدود القرآن الواسعة هي أعم من ظاهر القرآن وباطنه، ولو كان المقصود من وجود أسماء الرجال في القرآن وجودها في ظاهر القرآن، فإنَّ عدم وجود هذه الأسماء في ظاهر القرآن الذي بين أيدينا، سيكون دليلاً على التحريف[٣].

---

(١) تفسير العياشي، ج١، ص١٧، ح١٣.

(٢) محمد بن حسين الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٩٥، باب ٧، ح٦.

(٣) محمود رجبي، جامعيت قرآن (جامعية القرآن)، كراسة دراسية، مقدمة لمرحلة الدكتوراه فرع العلوم القرآنيّة في مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، الدرس ١١.

٥ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه تحدّث حول القرآن الكريم، وقال: «فيه خبركم، وخبر من قبلكم، وخبر من بعدكم، وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم ما يخبركم عن ذلك لتعجبتم»[١].

إنَّ هذه الرواية التي اعتبرها المجلسيّ رحمه الله موثقة أو حسنة[٢]، تدل على سعة معارف القرآن، وتبعًا لهذه الرواية يكون القرآن شاملاً لجميع الأخبار والحوادث التي تقع إلى يوم القيامة، وجميع الأخبار المتعلقة بالسموات والأرض، كما يُفهم من هذه الرواية أيضًا أنَّ هناك أشخاصًا عالمين بهذه الحقائق ولهم القدرة على توضيحها للناس من القرآن ليعلموها؛ لأنَّهم لو لم يكونوا يعلمون بها لما تعجبوا.

٦ ـ قال الإمام علي عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إنَّ فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم»[٣].

بالرغم من أنَّ سند هذه الرواية ضعيف[٤]، لكن ما دام مضمونها يتحد مع مضامين الروايات السابقة، تكون مؤيّدة لها ودالة على سعة معارف القرآن، ومن عبارة «فلو سألتموني عنه لعلمتكم» يُفهم بأنَّ المراد بطن القرآن الكريم، وهو يحتاج إلى تعليم من قبل الإمام عليه السلام، لكن لكون بطن القرآن لا يخلو من الارتباط مع ظاهره، فعندما يُخْبَر شخصٌ بباطنه فإنَّه سُيدرك ارتباطه مع ظاهره، وهذا يعدُّ نوعًا من أنواع التعليم[٥].

---

(١) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج٢، ص٥٩٩؛ تفسير العياشّي، ج١، ص١٩، ح١٨؛ جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٣، ص٧٧، ح١٨٩.

(٢) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج١٢، ص٤٧٩.

(٣) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٦٠.

(٤) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج١، ص٢٠٥.

(٥) انظر: محمود رجبي، كراسة دراسية تحت عنوان: جامعيت قرآن (جامعيّة القرآن)، الجلسة ١٠.

الطائفة الرابعة:

الروايات التي تشير إلى أنَّ كل شيء موجود في الكتاب والسُنّة، وقد أورد ثقة الإسلام الكليّنيّ[١] بعضًا منها، ومن جملة ذلك:

١ ـ روى حماد بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سُنّة»[٢].

٢ ـ روي في الكافي عن سماعة بسند صحيح أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام سُئل: أكلّ شيء في كتاب اللَّه وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه؟، قال: «بل كل شيء في كتاب اللَّه وسنَّة نبيه»[٣].

٣ـ أشار الإمام علي عليه السلام إلى حقوق أصحاب الحرف، وكونها موجودة في القرآن والسُنّة، حيث قال: «وكل قد سمَّى اللَّه له سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدًا منه عندنا محفوظًا»[٤].

إنَّ هذه الطائفة من الروايات تدل على أنَّ جميع الأمور موجودة في القرآن والسُنّة، وليس في القرآن فقط، وكما مرَّ في الفصل السادس أنَّه يمكن الاستنتاج من القرائن والأدلّة النقليّة بأنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأصليّ للسنة.

النتيجة:

إنَّ الروايات هي كآيات القرآن تدلّ على أنَّ جامعيّة القرآن الكريم وسعة نطاق

---

(١) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، فصل فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسُنّة وأنَّه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلاّ وقد جاء في كتاب أو سُنّة.

(٢) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، ص٥٩؛ جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٣، ص٧٤، ح١٧٨.

(٣) محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، ص٦٢؛ جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٣، ص٧٥، ح١٨٤.

(٤) نهج البلاغة/ الكتاب ٥٣.

أحكامه ومعارفه ليست منحصرة في أمور الدين والهداية، بل شاملة لجميع الأحكام والمعارف الضروريّة للنبيّ ﷺ والأئمة عليهم السلام، ولا يُفهم ذلك إلّا هؤلاء العظام، ورواية ابن مسعود تؤيِّد هذا الأمر أيضًا، حيث قال: «إنَّ اللَّه أنزل في هذا الكتاب تبيانًا لكل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بُيِّن لنا في القرآن»[1].

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح الغدير، ج٢، ص١٨٩.

الفصل التاسع
جامعيّة القرآن التامَّة في الظاهر والباطن

جامعيّة القرآن التامَّة في الظاهر والباطن

في ضوء ما مرَّ من بحوث نستنتج بأنَّ حدود جامعيّة القرآن الكريم التي أشارت إليها الآيات والروايات، هي أوسع من الأحكام الإلهيّة وأمور الهداية، ثمّ إنّ السعة الموضوعيّة متعلقة بشأن هداية القرآن الخاصة بالنبيّ ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

ومن هنا سنقوم بدراسة هذه المسألة بالإجابة عن السؤال الآتي: هل الحدود الموضوعيّة الواسعة للقرآن موجودة في ظاهر الكتاب السماويّ أو في الظاهر والباطن؟. إنَّ دراسة الآيات والروايات يدلّ على أنَّ السعة الموضوعيّة لا تُستنتج من ظاهر القرآن فقط، بل تتعلق بظاهر القرآن وباطنه، ولتوضيح هذه المسألة لابدّ من التأمل في جملة من أمور.

١ ـ انعدام شؤون الهداية في ظاهر القرآن:

إنَّ الآيات المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم، لاسيّما الآية ١١١ من سورة يوسف، والآية ٨٩ من سورة النحل، وبعض روايات الحدود الموضوعيّة

للقرآن، تصرِّح بأنَّ القرآن الكريم قد بَيَّن كلَّ شيء بالتفصيل، فإذا كان المراد من ذلك ظاهر القرآن الكريم، فإنّهَ يلزم منه خروج الأكثر وهو كلام بعيد على اللَّه الحكيم.

لاشك أنَّ ظاهر القرآن الموجود بين ظهراني المسلمين لم يبيِّن جميع أمور الدين والهداية بالدلالة اللفظيّة، فضلاً عن بيان كل شيء بالتفصيل، والروايات قد أشارت إلى أنَّ القرآن الكريم لم يُبيَّن بدلالة ألفاظه الظاهريّة حتى عدد ركعات الصلاة الواجبة التي هي عمود الدين، ومن جملة هذه الروايات ما رواه أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول اللَّه تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ «قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. قلت له: إنَّ الناس يقولون لنا فما منعه أن يسمي عليًّا وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام قولوا لهم: إنَّ اللَّه أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثًا ولا أربعًا حتى كان رسول اللَّه هو الذي فسر ذلك لهم و...»[1].

وأيضًا ورد في رواية أبي ذر رحمه الله عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله أنَّ اللَّه تعالى بعث ١٢٤ ألف نبي لهداية الناس، منهم ٣١٣ رسولاً، وأنزل اللَّه ١٠٤ كتب سماوية[2]. ومع ذلك لم تُذكر في القرآن الكريم والكتب السماويّة أغلب أسماء هؤلاء الأنبياء أو أسماء الرسل في أقل تقدير، والقرآن الكريم لم يذكر إلّا ٢٦ منهم بالاسم، وأربعة بالوصف، والقرآن يصرّح بأنَّه قد قصَّ قصص بعض الأنبياء، ولم يقصص قصص بعضهم الآخر، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[3].

---

(١) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٣٥، ص٢١٠.

(٢) انظر: محمد بن حسن الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٢١، ج٣، باب نادر من الباب، ح٢، محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ح١٩٤٩٥ ـ ١٩٥٠١.

(٣) النساء/ ١٦٤.

ثمّ إنّ الروايات السابقة تعتبر أفضل شاهد على هذا المدّعى، فضلاً عمَّا ورد من شواهد في القرآن الكريم نفسه، فإنَّه لم ترد جميع التعاليم الدينيّة بكمالها في ظاهر القرآن الكريم وحسب، بل إنَّ جميع المسائل المتعلقة بأمور الدين المهمة، مثل الإمامة والصلاة والزكاة، لم ترد فيه أيضًا.

بناء على ذلك، لا يمكن الإذعان إلى أنَّ المراد من «جامعيّة جميع الأمور» التي جاءت في الآيات والروايات هي الجامعيّة الظاهريّة لألفاظ القرآن الموجودة بين ظهراني المسلمين، وكونها تدل بالدلالة اللفظيّة على جميع المعارف والأحكام الواسعة، كما لا يمكن الاستناد إلى إطلاق الآية، ومن هنا لابد من قبول أحد الاحتمالات الآتية، أو بعضٍ منها:

١ ـ المراد من الكتاب والحديث، القرآن الموجود في اللوح المحفوظ.

٢ ـ المراد من «تبيان كل شيء» البيان الإجمالي أو ذكر الكليّات.

٣ـ إنَّ إطلاق لفظة «كل شيء» مقيَّد في الآيات والروايات بأمور الهداية.

٤ ـ المقصود ظاهر القرآن الكريم وباطنه، وليس الظاهر فقط.

في ضوء ما مرَّ في بيان الآراء السابقة، وما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى في نقد أقوال الآخرين ودراستها بالتفصيل، نشهد بأنَّ كل من أعطى رأيًا قام بتوجيه دلالات آيات الجامعيّة بتأييد أحد هذه الاحتمالات بالتناسب مع رأيه حول حدود القرآن، ونحن نعتقد بأنَّ الاحتمال الصحيح الوحيد هو الاحتمال الرابع؛ لأنَّ ما يستتبع ذلك سيُثبت صحّة هذا الاحتمال وعدم صحّة الاحتمالات الأخرى، فضلاً عما سيأتي ضمن نقد الآراء الأخرى.

٢ ـ جامعيّة القرآن النازل:

لقد ثبت من خلال مناقشة آيات الجامعيّة بالتفصيل أنَّ سياق هذه الآيات قرينة على أنَّ المراد من القرآن هو القرآن النازل على النبيّ محمد ﷺ، وليس هو القرآن الموجود في اللوح المحفوظ؛ وذلك لأنَّه:

١ ـ في آية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾[١].

أولاً: «أل» التعريف تمَّ إلحاقها بلفظ «كتاب» وهو اسم مفرد، ومن ثمَّ ينصرف لفظ الكتاب إلى معهود سابق، والمعهود السابق للكتاب عند المسلمين هو القرآن الكريم.

ثانيًا: الآية السابقة لهذه الآية تطرَّقت إلى طلب الإتيان بالمعجزة، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

إنَّ تطرُّق هذه الآية إلى طلب الإتيان بالمعجزة يمكن أن يكون قرينة على أنَّ المراد من الكتاب في هذه الآية، القرآن النازل.

ثالثًا: إنَّ الروايات أيضًا اعتبرت مصداق الكتاب في هذه الآية هو القرآن النازل، ومن جملة ذلك ما روي عن الإمام الرضا ﷺ، أنَّه قال: «إنَّ اللَّه ﷻ لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن ... فقال ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾»[٣].

---

(١) الأنعام/ ٣٨.

(٢) الأنعام/ ٣٧.

(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ﷺ، ج٢، ص١٩٥؛ محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الكافي، ج١، ص١٩٨؛ عبد علي بن جمعة الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٧١٤.

٢ـ إنَّ الكتاب في الآية: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١]، هو القرآن النازل؛ لأنَّ القرآن النازل سُمِّي في موضع آخر كتاب مبين[٢]، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[٣].

٣ـ المراد من كلمة «الحديث» في الآية المباركة: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٤]، القرآن الكريم؛ ذلك لأنَّها تتحدث عن كتاب رُفِعت عنه تهمة الافتراء على اللّه، كما توجد آيات أخرى نَفَت تهمة الافتراء عن القرآن النازل أيضًا[٥]، ومن جملة ذلك قول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هذا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[٦]. حيث أشارت إلى القرآن بلفظة «هذا»

٤ـ في ضوء عبارة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٧]، أجمع أرباب الفكر على أنَّ المراد من الكتاب هو القرآن العربي النازل والموجود بين أيدي المسلمين.

٥ـ إنَّ لفظ «هذا» في الآية المباركة: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٨]، تدل على أنَّ هذه الآية تتحدث عن القرآن النازل، والأوصاف المبينة فيها متعلقة بهذا القرآن.

---

(١) الأنعام/ ٥٩.

(٢) عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ، القرآن في القرآن، ج١، ص٢٢٤.

(٣) المائدة/ ١٥.

(٤) يوسف/ ١١١.

(٥) للإطلاع على تنزيه القرآن عن الكذب، انظر: هود/ ١٣.

(٦) يونس/ ٣٧.

(٧) النحل/ ٨٩.

(٨) الإسراء/ ٩.

٦ـ لفظ «هذا» في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]، يدل أيضًا على أنَّ اللَّه تعالى كان يتحدَّى الإنس والجنِّ بالإتيان بمثل القرآن النازل والموجود بين أيدي الناس، إضافة إلى أنَّ التحدِّي بالقرآن في اللوح المحفوظ ليس بالأمر المعقول؛ لأنَّه يستحيل على المخالفين بلوغه.

بناء على ذلك يكون المراد من هذه الآيات والروايات جامعيّة القرآن النازل على النبيّ محمد ﷺ، والموجود بين أيدي الناس؛ ومن هنا يكون الاحتمال الأول غير وارد، ولا يمكن أن يدّعيَ أحد بأنَّ المراد من الكتاب والحديث في الآيات هو القرآن الموجود في اللوح المحفوظ.

٣ـ جامعيّة القرآن ببيان تفصيليٍّ وليس إجماليًّا وكليًّا:

إنَّ الأدلّة والشواهد المتعلقة بجامعيّة القرآن تشهد على أنَّ القرآن الكريم لا يتمتع بسعة موضوعيّة على نحو الإجمال والبيان الكليّ، بل بالبيان التفصيليّ والواضح، وإنَّ لفظ «تفصيلاً» في الآية ١١١ من سورة يوسف، و «تبيانًا» في الآية ٨٩ من سورة النحل، تدلان على أنَّ بيان القرآن لكل شيء واضح وتفصيليّ، وليس إجماليًّا؛ لأنَّ التفصيل من الفصل بمعنى التمييز بين الشيئين، ومعنى التبيان المبالغة في البيان، وكلاهما لا ينسجم مع البيان الإجماليّ؛ بناء على ذلك، لا يمكن اعتبار بيان القرآن لكل شيء بيانًا إجماليًّا أو في حد الكليّات؛ ومن ثمَّ ليكون الاحتمال الثاني غير وارد أيضًا.

---

(١) الإسراء/ ٨٨.

٤ ـ خطأ تقييد عبارة «كل شيء» بأمور الهداية:

إنَّ عبارة «كل شيء» عامة ومطلقة في الآيات، فلابد من الحفاظ على عموميّة الآيات وإطلاقها؛ ذلك لأنَّ الأصل هو عدم تأويل دلالتها الظاهريّة؛ بناء على ذلك ينبغي للمفسر أن يسعى لتجنب تقييد آيات الجامعيّة قدر الإمكان، ولاسيّما مع الأخذ بنظر الاعتبار ما مرَّ في مبحث الأدلّة الروائيّة على جامعيّة القرآن، حيث كانت هناك روايات متعددة[1]، تدل على جامعيّة القرآن في أمور أوسع من مسائل الهداية، وبعض هذه الروايات كان صحيح السند وبعضها موثقاً، بحيث يمكن الاستناد إليها.

بناء على ذلك لا يمكن رفع اليد عن إطلاق الآية، وتقييده بالأمور المتعلقة بالهداية أو أمر آخر بلا دليل قطعي، وإن شاء اللَّه تعالى سنتحدث في الفصل اللاحق بالتفصيل عن القيود التي ذكرها بعضهم لتقييد هذه الآيات؛ وبالنتيجة فإنَّ الاحتمال الثالث لا يمكن قبوله أيضًا.

٥ ـ بطن القرآن النازل واختصاص فهمه بالمعصوم عليهم السلام:

ثبت إلى الآن أنَّ الاحتمالات الثلاث الأولى من الاحتمالات الأربعة المذكورة ليست صحيحة؛ لأنَّه يمكن أن نفهم من الآيات والروايات التي تدل على الحدود الموضوعيّة، ما يأتي:

١ ـ إنَّ الحديث هو عن جامعيّة القرآن الكريم النازل، ولا يمكن اعتبار ذلك يتعلق بقرآن آخر.

---

(١) من باب المثال، انظر جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٣، ص٧٣ـ٧٧، فقد نقل تسع عشرة رواية، سنذكر بعضها في فصل آخر.

٢ـ لقد جاءت هذه الأمور في القرآن الكريم بالتفصيل، ولا يمكن أن نعتبرها بيانًا إجماليًّا وكليًّا.

٣ـ لا يمكن اعتبار هذه الأمور مقتصرة على شؤون الهداية.

بناء على ذلك يبقى الاحتمال الرابع، باعتباره الاحتمال الصحيح؛ ذلك لأنَّ القرآن له بطن، فضلاً عن الظهر، ولا يتمكن أحد سوى المعصوم ﷺ من الوصول إلى تمام هذا البطن.

٥ـ١. بطن القرآن:

لقد ذكرنا في الفصل الأول أنَّ من جملة خصائص القرآن الكريم أنَّ له بطنًا فضلاً عن الظهر، وأصل وجود البطن للقرآن من مسلمات الثقافة الإسلاميّة، وتوجد آيات وروايات تدل على ذلك أيضًا، وأنَّ هناك مجموعة من الروايات المتعلقة بالجامعيّةمتواترة تواترًا معنويًّا[1] ولا تحتاج إلى مناقشة في السند.

بل إنَّ بعض الروايات تُبيِّن أنَّ للقرآن بطونًا متعدّدة[2]، وعلى سبيل المثال، قال جابر بن يزيد الجعفي: «سألت أبا جعفر ﷺ عن شيء من التفسير فأجابني، ثمَّ سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جُعلت فداك كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟، فقال: يا جابر إنَّ للقرآن بطنًا وللبطن

(١) انظر: محمد بن حسن الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص٢١٢ـ٢١٦؛ محمد بن يعقوب الكليّنيّ، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمة ﷺ، وأنَّهم يعلمون علمه كلّه، ح١، محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٨٩، كتاب القرآن، باب أنَّ للقرآن ظهرًا وبطنًا وأنَّ علم كل شيء في القرآن وأنَّ علم ذلك كلّه عند الأئمة ﷺ ولا يعلمه غيرهم إلاّ بتعليمهم.

(٢) إنَّ بعض التفاسير نقلت عن رسول الله ﷺ بأنَّ للقرآن سبعين بطنًا دون أن تذكر المصدر (انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧)، إلا أنَّه لم نعثر في الكتب الروائية المعتبرة على مثل هذه الروايات.

بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر»[١].

يوجد اختلاف بين العلماء حول طبيعة بطن القرآن[٢]، إلا أنَّ الروايات تدل على أنَّ بطن القرآن من سنخ المعاني ومن سنخ المصاديق كذلك، وأنَّ دلالة وانطباق ظاهر الآيات على باطنها ليس بيِّنًا[٣]، كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: «له ظهر وبطن ... وباطنه عميق»[٤].

٥ـ١ـ١. الباطن من سنخ المعنى:

ومثال ذلك ما روي عن ذريح المحاربيّ «قال: قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام: إنَّ اللَّه أمرني في كتابه بأمر فأحبُّ أن أعمله، قال: وما ذاك؟ قلت: قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[٥] قال ليقضوا تفثهم لقاء الإمام وليوفوا نذورهم تلك المناسك».

قال عبد اللَّه بن سنان عندما سمعت هذه الرواية من ذريح أتيت أبا عبد اللَّه عليه السلام، فقلت: «جُعلت فداك قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال: قلت: جُعلت فداك إنَّ ذريح المحاربي حدثني عنك بأنَّك قلت له: ﴿لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ لقاء الإمام ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ تلك المناسك، فقال: صدق ذريح وصدقت، إنَّ للقرآن ظاهرًا وباطنًا ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟!»[٦].

---

(١) البحار، ج٨٩، ص٩١؛ أبو نصر محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص١٢.

(٢) انظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٩٠؛ تفسير الصافي، ج١، ص٣٠ـ٣٤؛ أحمد بن عبدالحليم بن تيميه، التفسير الكبير، ج٢، ص٣٩ـ٤٣.

(٣) علي أكبر بابايي، مكاتب تفسيرى (المناهج التفسيرية)، ج٢، ص٢٠.

(٤) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٩، ص٩٠.

(٥) الحج/ ٢٩.

(٦) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٤٩؛ محمد باقر المجلسي، البحار، ج٤٧، ص٣٣٨.

إنَّ هذه الرواية تدل على ضرورة وجود شروط لفهم باطن القرآن الكريم، فضلاً عن إثبات وجوده، ولا يمكن لكل شخص حيازة هذه الشروط.

٥ـ١ـ٢. الباطن من سنخ المصداق:

ومثال ذلك ما روي عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام «قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١] قال: نزلت في بني أميّة، هم شر خلق اللّه، هم الذين كفروا في بطن القرآن وهم الذين لا يؤمنون[٢].

بناء على ذلك، لا ينبغي اعتبار أحكام القرآن ومعارفه مقتصرة على ظاهره، بل إنَّ للقرآن باطنًا يمتلك نطاقًا أوسع بكثير من الظاهر؛ لذلك أشار ملاصدرا إلى آفة الاقتصار على ظواهر القرآن في فهم الحقائق، وقال: «لا توجد مسألة إلّا ويُعثر عليها في القرآن»[٣].

٥ـ٢. اقتصار العلم بتمام الباطن على المعصوم عليه السلام:

١ـ إنَّ بعض الروايات تصرِّح باقتصار فهم تمام ظاهر القرآن وباطنه على الأئمة الأطهار عليهم السلام، فقد روي بسند صحيح أنَّ الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ما يستطيع أحد أن يدعي أنَّه جمع القرآن كلّه ظاهره وباطنه إلّا الأوصياء»[٤].

وكذلك تشير بعض الروايات إلى أنَّ بعض أحكام القرآن الكريم ومعارفه خاصة بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فمثلاً ورد عن الإمام الحسن عليه السلام[٥]

---

(١) الأنفال/ ٥٥.

(٢) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج٢، ص٦٥.

(٣) محمد صدر الدين الشيرازيّ، تفسير القرآن الكريم، سورة السجدة، تصحيح محمد خواجوي، ص١٠.

(٤) محمد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب أنَّه لم يجمع القرآن كلّه إلاّ الأوصياء، ح٢.

(٥) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج٨٩، ص٢٠.

والإمام الصادق عليه السلام[1] أنّهما قالا: «كتاب اللّه تعالى على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء».

ثمّ إنّ مولوي أشار في ديوانه مثنوي إلى عمق معاني القرآن الكريم، وعدم قدرة الإنسان العادي على إدراكها، مستلهمًا ذلك من الروايات، حيث أنشد قائلاً:

لا تتصور أنَّ للقرآن ظاهر وحسب بل تحت هذا الظاهر باطن قاهر

وتحت هذا الباطن بطن ثالث تحيَّرت فيه أصحاب العقول

والبطن الرابع لم يره أيُّ نبي إلا اللّه الذي ليس له مثيل ولا يرى

٢ـ لقد ذكرنا سابقًا أنَّ سياق الآية ٨٩ من سورة النحل، وعبارة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، التي وردت فيها يدلان على أنَّ القرآن هو تبيان لكل شيء لخصوص رسول اللّه صلى الله عليه وآله يتبعه أهل البيت عليهم السلام؛ ذلك لأنَّه:

أولاً: القسم الأول من الآية ذكر شهادة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله على الأقوام السابقة، ووصف القرآن بأنَّه مصدر العلم الواسع لهذه الشهادة.

ثانيًا: تبعًا لقواعد اللغة العربية يجب أن تأتي كلمة «الكتاب» في الآية المباركة بعدة الفعل «نزَّلنا» مباشرة؛ لأنَّها مفعول به ومقدمة على الظرف والجار والمجرور، في حين أنَّ الجار والمجرور؛ أي لفظ «عليك» تقدَّم على الكتاب، وهذا يدل على أنَّ القرآن الكريم تبيان لكل شيء للنبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يفهمه بتمامه إلّا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ولذلك ورد في رواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنَّه قال: «إنَّما

(١) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج٧٥، ص٢٧٨؛ محسن الفيض الكاشانّي، تفسير الصافي، ج١، ص٣٠.

يعرف القرآن من خوطب به»[١].

فالمخاطبون بالقرآن بهذه الخصوصية هو النبيّ الأكرم ﷺ والأئمة المعصومون عليهم السلام فقط، أما في ما يخص ظاهر القرآن فإنَّه يخاطب جميع الناس، حيث تكررت عبارة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في القرآن مرارًا؛ وعليه يكون المراد من الآيات والروايات بطن القرآن.

٣ـ لقد تطرقنا في الفصل المتعلق بعلم رسول اللَّه ﷺ والأئمة عليهم السلام إلى أنَّ بعض الآيات والروايات تدل على أنَّ هؤلاء العظام يتمتعون بعلم واسع، والقرآن الكريم هو المصدر الأصليّ لعلمهم[٢]، كالعلم بأخبار السموات والأرض وما شابه ذلك، ومن جملة هذه الروايات ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «فيه خبركم، وخبر من قبلكم، وخبر من بعدكم، وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم ما يخبركم عن ذلك لتعجبتم».

وقد اتضح أنَّ هذه المعارف الواسعة لا تُستخرج من ظاهر القرآن الكريم؛ إذاً المقصود أنَّ المعصومين عليهم السلام وحدهم الذين يعلمون بظاهر القرآن الكريم وباطنه.

٤ـ كما مرَّ أنَّ روايات الجامعيّة تنقسم على أربع طوائف؛ أشارت الطائفة الثانية من الروايات إلى أنَّ كل شيء قد ورد في الكتاب، إلا أنَّ عقول الناس العاديين قاصرة عن إدراكه.

واشتملت الطائفة الثالثة على أكثر الروايات بالمقارنة مع الطوائف الأخرى، وفي أغلب هذه الروايات يبدأ الإمام عليه السلام بالإخبار عن علمه الواسع ومعرفته بما

(١) محمد باقر المجلسّي، البحار، ج٤٦، ص٣٤٩.

(٢) انظر: محمد بن حسن الصفار القميّ، بصائر الدرجات، ص١٢٧.

يوجد في الأرض والسماء وأخبار الماضي والحاضر والمستقبل، ثمَّ يذكر بأنَّ مصدر هذا العلم هو القرآن، وكأنَّه يريد أن يقول: إنَّ الإمام يجب أن يكون له علم ومعرفة، وأنا أمتلك العلم والمعرفة، وقد أخذت ذلك من القرآن؛ أي لابد أن يمتلك القرآن الكريم هذه المعارف الواسعة، وهي المعارف الخاصة بالنبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

إنَّ هاتين الطائفتين من الروايات تشهد على أنَّ القرآن الكريم يمتلك في باطنه معارف مكنونة خاصة بالمعصومين عليهم السلام، فضلاً عن امتلاكه للظاهر.

إنَّ العلامة الطباطبائيّ رحمه الله في تفسير عبارة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ في الآية ٨٩ من سورة النحل، يعتقد بأنَّ سعة الحدود الموضوعيّة للقرآن متعلقة بكل ما يرجع إلى أمر الهداية مما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقيّة المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الإلهيّة والقصص والمواعظ، بالدلالة اللفظيّة وعلى أساس المعاني الظاهريّة للفظ تبيان؛ وذلك لكون الكتاب هداية لعامّة الناس[1].

ولكنَّ العلامة رحمه الله يؤيِّد بأنَّ اللازم من الروايات فيما لو صمت أن يصبح المراد من كون القرآن تبيانًا هو الأعم من البيان المتعارف والبيان عن طريق الدلالة اللفظيّة؛ أي فضلاً عن الدلالات اللفظيّة توجد إشارات في القرآن الكريم تكشف عن أسرار وخبايا ليس للفهم المتعارف سبيل إليها؛ وذلك بالنظر لدلالات روايات جامعيّة القرآن على وجود علم ما كان وما يكون وجميع الحوادث إلى يوم القيامة في القرآن الكريم[2].

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٢٤.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن ، ص٣٢٥.

إنَّ النكتة المهمَّة في هذا الكلام دلالته على أنَّ ما جاء في ظاهر القرآن لا يكشف عن جميع مطالبه؛ وعليه لا يكون ظاهر القرآن تبيانًا لكل شيء، هذا أولاً.

وثانيًا: إنَّ الدلالة اللفظيّة والبيان المعهود للقرآن لا يغطي سوى كليات المعارف والمسائل المتعلقة بهداية البشر، وليس جميع جزئياتها وتفاصيلها؛ بناء على ذلك يجب البحث عن جامعيّة القرآن فيما هو أعم من ظاهره وباطنه.

في ضوء هذه الأدلّة والشواهد يعتقد أحد العلماء أنَّ ما يحصل عليه الناس عن طريق الوحي محدود، إلا أنَّه يرى بأنَّ ما يتلقاه الأنبياء ﷺ عن طريق الوحي أوسع، وأنَّ هناك بعض الآيات والروايات التي تدل على وجود بعض الأشخاص غير النبيّ ﷺ يعلمون بتمام ما هو كائن وما سوف يكون[1].

إنَّ فهم بعض الخواص من غير المعصومين لمعارف القرآن الكريم الواسعة التي لا يتمكن من فهمها غيرهم من العلماء شاهد على هذا الأمر، وسنشير هنا إلى بعض النماذج:

١ ـ لما نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا، وسمعها العباس فبكى فقال ﷺ: ما يبكيك يا عم؟ فقال: أظن أنَّه قد نعيت إليك نفسك يا رسول اللَّه، فقال: إنَّه لكما تقول، فعاش بعدها سنتين ما رؤى فيهما ضاحكًا مستبشرًا[2].

٢ ـ ذكر آية اللَّه سيد محسن الحكيم في مبحث بطون القرآن من كتاب حقائق الأصول أنَّ بعض الأعاظم حضروا يومًا مع مجموعة من الأعيان منزل الآخوند

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف قرآن (معارف القرآن)، ج١ـ٣، ص٤٠٦.
(٢) جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٥، ص٦٨٩.

«ملا فتح علي ﷺ» منهم السيد إسماعيل الصدر«رحمه اللّه»، والحاج النوري صاحب المستدرك «رحمه اللّه»، والسيد حسن الصدر دام ظله.

فتلا الآخوند ﷺقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... الآية﴾[1]، ثم شرع في تفسير قوله: تعالى فيها: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... الآية﴾، وبعد بيان طويل فسَّرها بمعنى، لما سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول، فاستوضحوه أيضًا وتعجبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثمَّ حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين.

ولم يزالوا على هذه الحال كُلَّما حضروا عنده يومًا ذكر لها معنًى إلى ما يقرب من ثلاثين يومًا، فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنًى، وكُلَّما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد أصابتهم الدهشة وكيف أنَّهم لم يتوصلوا بأنفسهم إلى فهم ذلك، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس اللّه روحه[2].

٣ـ تبعًا لنقل آية اللّه الأراكي في صلاة جمعة مدينة قم عن آية اللّه الحائريّ اليزديّ، أنَّ ملاآخوند سلطان آبادي ﷺالذي كان مشغولاً بإقامة الجماعة ودرس الأخلاق والتفسير في سامراء من قبل الميرزا الشيرازيّ الكبير، أصبح ضريرًا في آخر أيام حياته، وبدل أن يقرأ آيات القرآن كان يفكر بها ويتأمل.

وفي أحد الأيام وهو يفكر صاح بأعلى صوته وقال: «آية واحدة وستة آلاف مسألة! »، وهذا يدل على أنَّه فهم من آية واحدة ستة آلاف مسألة، وإنَّ السيد

(١) الحجرات/ ٧.

(٢) انظر: السيد محسن الحكيم، حقائق الأصول، ج١، ص٩٥ و ٩٦.

الحكيم بعد أن استند إلى كلام المرحوم سلطان آبادي هذا قال بجواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

النتيجة هي أنَّ الحدود الموضوعيّة الواسعة للقرآن التي دلَّت عليها الآيات والروايات توجد في مجموع ظاهر القرآن وباطنه، ولا يتمكن من بلوغ ذلك إلّا المعصومون عليهم السلام.

٦ ـ مماثلة آيات وروايات الجامعيّة لحديث الثقلين:

في ضوء هذا التحليل للآيات والروايات المتعلق بجامعيّة القرآن الكريم والحدود الموضوعيّة له، يُعلم بأنَّ هذه الآيات والروايات تماثل حديث الثقلين بالمضمون، إذ روي بأنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قال: «إنِّي تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1].

لتوضيح ذلك نقول:

أولًا: إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله صرَّح في حديث الثقلين أنَّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام مقترنان ولن يفترقا؛ وهذا يعني عدم تمكُّن أحدهما لوحده من تحقيق هدف رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله الإلهيّة، ولا يكفي أحدهما لهداية الناس إلى الكمال والسعادة من دون الآخر، ولو لم يكن الأمر كذلك لأمكن افتراقهما، ولتمكن أحدهما أو كلاهما بمفرده أن يكون هاديًا إلى الحق والحقيقة.

ثانيًا: إنَّ آيات وروايات الجامعيّة كانت تدل من جهة على أنَّ القرآن الكريم

---

(١) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٠٦، باب ٧.

هو المصدر الوحيد لعلم أهل البيت ﷺ الواسع، أو المصدر الأصليّ لذلك في أقل تقدير؛ ومن جهة أخرى، لا يتمكن من إدراك الأحكام والمعارف المكنونة بهذا الكتاب الإلهيّ بعد النبيّ محمد ﷺ إلاّ أهل البيت ﷺ.

بالنتيجة فإنَّ منهج الهداية لأهل البيت ﷺ مرهون بالقرآن، ولا يتمكن الناس من بلوغ الهداية الكاملة للقرآن الكريم إلا عن طريقهم؛ وعليه تكون جامعيّة القرآن الكريم شاهد على حاجة المجتمع لأهل البيت ﷺ في مجال الانتفاع بالقرآن إنتفاعاً كافياً، وحاجة أهل البيت ﷺ للقرآن الكريم من أجل الحصول على العلم اللازم لهداية الناس، وهذا هو مفهوم حديث الثقلين؛ لذلك قال العلامة الطباطبائيّ رحمه الله وهو يشير إلى حديث الثقلين:

«للقرآن الدلالة على معانيه والكشف عن المعارف الإلهيّة، ولأهل البيت الدلالة على الطريق وهداية الناس إلى أغراضه ومقاصده»[1].

النتيجة:

لقد اتضح مما سبق أنَّ سعة نطاق الحدود الموضوعيّة التي بينتها الآيات والروايات لجامعيّة القرآن الكريم متعلقة بشأن منهج هداية القرآن الخاص برسول اللّه ﷺ والأئمة ﷺ، وأنَّ معارف القرآن تُستنتج من مجموع ظاهره وباطنه، وأنَّ فهمه خاص بهؤلاء السادة العظام، علمًا أنَّ ما يستطيع المفسرون فهمه من ظاهر القرآن يتمتع بنطاق واسع أيضًا، كما سيأتي البحث حول ذلك في الفصول الآتية.

(١) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٨٦.

الفصل العاشر
نقد الآراء الأخرى وتحليلها

نقد الآراء الأخرى وتحليلها

لقد ثبت أنَّ القرآن الكريم هو بيان للعلوم والأحكام التي يحتاج لها رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ فيه الظهر والبطن وأنَّ الأشخاص العاديين لا يستطيعون الوصول إلى تلك المعارف بسبب ظلمة أنفسهم أو عدم لياقتهم اللازمة، ورسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وحدهم الذين يستطيعون الوصول إلى تمام هذه المعارف، وأنَّ ظاهر القرآن يتطرَّق لمسائل الدنيا والآخرة والأحكام والأخلاق والمعارف، وتوجد آراء أخرى تُطرح حول هذه المسألة أيضًا، يمكن بيانها بثلاث نقاط:

١ ـ نقد الآراء المبنيّة على المنهج الدينيّ:

إنَّ أغلب المفكرين استندوا إلى المنهج الديني في البحث حول حدود القرآن الكريم، فهم بالاستناد إلى بعض الآيات والروايات المتعلقة بجامعيّة القرآن، لاسيّما آية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]. طرحوا آراء وتفاسير مختلفة.

(١) النحل/ ٨٩.

١ـ١. نظرة على هذه الآراء:

١ـ١ـ١. تأييد إطلاق الآية:

لقد أيَّد بعضهم إطلاق الآية، وهؤلاء طرحوا آراءً مختلفة حول ذلك، من جملتها:

١ـ إنَّ ظاهر إطلاق الآيات هو المراد؛ أي إنَّ القرآن الكريم يشتمل على جميع الأحكام والمعارف والعلوم، وتتفرع منه جميع علوم الأولين والآخرين، وقد ذهب لهذا الرأي ابن مسعود، ومحي الدين بن عربيّ، وأبو حامد الغزاليّ، والسيوطيّ[١]. قال ابن مسعود: إنَّ اللَّه تعالى أنزل في القرآن جميع العلوم، وبيَّن لنا كل شيء؛ لذلك يقول اللَّه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]،[٣].

٢ـ إنَّ القرآن الكريم يدل على كل شيء بالإشارة، وقد ذهب العلامة الطباطبائيّ ﵀ إلى أنَّ القرآن يدل على الأمور المتعلّقة بالهداية بالدلالة اللفظيّة؛ لأنَّه كتاب هداية ويمكن أن يدل على كل شيء بالإشارات أو بأمر آخر[٤].

٣ـ إنَّ القرآن بيان لكل شيء بالإجمال، وتقع مسؤولية تفصيله على رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت ﵈[٥]. بعبارة أخرى، أنَّ كليات جميع حاجات الإنسان قد

---

(١) انظر: محي الدين ابن عربي، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، ج٢، ص٧٧ و٧٨؛ جلال الدين السيوطيّ، الاتقان في علوم القرآن، ج٤، النوع ٦٥، ص٣٣؛ أبو حامد الغزاليّ، جواهر القرآن، ص٨؛ إلا أنَّ الغزاليّ في إحياء العلوم يعتقد بأنَّه قد أشير في القرآن الكريم إلى أصول وكليات العلوم (انظر: إحياء العلوم، ج١، ص٢٨٩).

(٢) النحل/ ٨٩.

(٣) انظر: محمد بن جرير الطبريّ، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٩٠.

(٤) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٣٤.

(٥) محمد بن الحسن، الشيخ الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن؛ محمود بن محمد الزمخشريّ، الكشاف، ج٢، ص٤٨١ و٥١٦.

وردت في القرآن الكريم، أمَّا تفاصيلها فقد وردت في السُنّة النبوية، قال العلامة الطباطبائيّ رحمه الله:

إنَّ الإسلام كما يعلمه ويعرفه كل من سار في متن تعليماته من كلياته التي أعطاها القرآن وجزئياته التي أرجعها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، بنحو قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾،[2] وغير ذلك، متعرض للجليل والدقيق من المعارف الإلهيّة «الفلسفيّة» والأخلاق الفاضلة، والقوانين الدينيّة الفرعيّة من عبادات ومعاملات، وسياسات واجتماعيات وكل ما يمسّه فعل الإنسان وعمله[3].

١ ـ ١ ـ ٢. تقييد إطلاق الآية:

إنَّ بعض المفسرين وعلماء المسلمين لم يؤيدوا مسألة إطلاق الآيات وقاموا بتقييدها بنحو من الأنحاء، وهؤلاء يمتلكون آراءً مختلفة حول ذلك، من جملتها:

١ ـ إنَّ حدود القرآن متعلقة بالأحكام الدينيّة؛ أي الحلال والحرام والأوامر والنواهي الإلهيّة، وهذا الرأي ذهب إليه ابن عباس[4].

٢ ـ جامعيّة القرآن تتعلق بالأمور الخاصة بالهداية، وقد أيَّد أغلب المفسرين والمفكرين المعاصرين وبعض المفسرين الماضين هذا الرأي المتعلق بحدود الأحكام والمعارف الإلهيّة[5]، وقد أوضح أصحاب هذا الرأي رأيهم بتقريرات

---

(١) الحشر/ ٧.

(٢) النساء/ ١٠٥.

(٣) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٦٠.

(٤) انظر: أبو طاهر يعقوب فيروزآباديّ، تنوير المقياس عن تفسير ابن عباس، ص٢٢٩؛ ثمّ إنّ جلال الدين السيوطيّ ذكر ما يشبه هذا الأمر أيضًا (انظر: الدر المنثور، ج٤، ص٥٨٩).

(٥) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مجمع البيان، ج٥ و٦، ص٥٨٦؛ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،

مختلفة، فمثلاً العلامة الطباطبائيّ «رحمه اللّه»، وصف الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم في موضع من تفسير الميزان بأنّها مقيدة بأمور الهداية[١]، واعتبرها في موضع آخر مرتبطة بالأمور المتعلقة بسعادة البشر[٢]، أو فيما يتعلق بالكمال الأخروي[٣]، أو الحاجات الدنيويّة[٤]، أو الشؤون المتعلقة بإنسانية الإنسان[٥].

١ـ٢. نظرة أخرى على هذه الآراء:

قبل مناقشة الآراء الأخرى في المسألة، لابد من التذكير بمسألة وهي أننا نجد أنَّ المفسِّر الواحد يمتلك آراء متعدّدة في هذا المجال، فضلاً عن الاختلاف بين آراء المفسرين حول أصل المسألة، وعلى سبيل المثال إنَّ العلامة الطباطبائيّ رحمه الله ذكر الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم بحسب الترتيب الآتي[٦]:

١ـ إنَّ جامعيّة القرآن بمعنى تماميّة سعة المسائل القرآنيّة، بالقياس إلى الكتب السماويّة الأخرى من جميع الجهات[٧].

ج٢، ص٩٨؛ أبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص٥٨٢؛ محمود الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٢١٦؛ سيد قطب، في ظلال القرآن؛ رشيد رضا، المنار، ج٧، ص٣٩٥؛ محمد بن طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٥٣؛ محمد بن عبدالحق بن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٤٥٢؛ ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١١، ص٣٦١؛ ولكن جاء في الجزء ١٠، الصفحة ١٠١: (إنَّ كلّ ما يتعلق بسعادة الإنسان يوجد في القرآن)؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج١و٣، ص٤٠٦؛ محمد هادي معرفة، مجلة نامه مفيد، العدد ٦، ص٥ـ ٧.

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج٧، ص٨١ـ٨٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ج٢، ص١٣٠.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج١١، ص٢٨٠ و ج١٤، ص٢٥٥.

(٥) انظر: المصدر السابق، ج٥، ص٢٠.

(٦) انظر: حميد آريان، جامعيت قرآن در بيان مفسر الميزان (جامعية القرآن في بيان مفسر الميزان)، مجلة معرفة القرآن، العدد ١، السُنّة الأولى، ربيع ٢٠٠٨م.

(٧) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٤٧ و ج١٨، ص٢٨ و٢٩.

٢ـ إنَّ جامعيّة القرآن بمعنى تماميّة سعة المسائل القرآنيّة، بالقياس إلى الكتب السماويّة الأخرى وفي حدود خاصة، مثل الحاجة للّهداية وأمثال ذلك[١].

٣ـ إنَّ جامعيّة القرآن بمعنى تماميّة سعة المسائل القرآنيّة، في نفسه ومن جميع الجهات[٢].

٤ـ إنَّ جامعيّة القرآن بمعنى تماميّة سعة المسائل القرآنيّة، في نفسه وفي حدود خاصة، مثل الحاجة للّهداية وأمثال ذلك[٣].

من التحليل الذي قدَّمناه عن الآيات والروايات المتعلقة بالجامعيّة اتضح بأنَّ هذه الأدلّة والشواهد تُبيِّن الحدود المرتبطة بظاهر القرآن الكريم وباطنه، فضلاً عن إمكانية الجمع بين آراء أخرى استندت إلى الآيات والروايات بنحو من الأنحاء؛ وبعبارة أخرى الآراء التي تناولت البحث في ضوء المنهج الديني[٤]. وذلك للأسباب الآتية:

١ـ إنَّ الأشخاص الذين تمسكوا بإطلاق الآيات لا يريدون بذلك ظاهر القرآن؛ لأنَّ من الواضح عدم إمكانية استخراج كل المسائل من ظاهر القرآن، فإنَّ ابن مسعود الذي يعتقد بأنَّ اللّه تعالى أنزل في القرآن جميع العلوم، قال بصراحة: إنَّ علمنا يقصر عما بُيِّن لنا في القرآن[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ج٥، ص٣٤٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج١، ص٥٩ و٦٠.

(٣) انظر: المصدر السابق، ج٢، ص١٣٠ وج٧، ص٨١ و٨٢ وج١٢، ص٣٢٥.

(٤) كما تلاحظون، أنَّ العلامة الطباطبائيّ ﷺ يعتقد بأنَّ حدود القرآن مرتبطة بالهداية بالدلالة الظاهريّة، ومرتبطة بجميع الأشياء بدلالة الإشارة، ومن جهة أخرى يصف القرآن بأنَّه بيانًا لكليات كل شيء، والسُنّة بيانًا لجزئيات كل شيء.

(٥) محمد بن علي بن محمد الشوكانيّ، فتح القدير، ج٢، ص١٨٩.

٢ـ إنَّ رأي العلامة الطباطبائيّ ﵀ الذي اعتقد فيه أنَّ القرآن يدل على كل شيء بالإشارة لا يتنافى مع ما قلناه؛ لوجود الارتباط بين المعاني الباطنيّة والألفاظ الظاهريّة للقرآن، فإنَّ ألفاظ القرآن وظاهره يمكن أن يكونا إشارة إلى باطنه.

٣ـ يمكن الجمع بين الرأي الذي يذهب إلى أنَّ القرآن قد بَيَّن كل شيء مجملاً وبين ما قلناه؛ لأنَّه قد مرَّ بأنَّ المصدر الأصليّ للسُنّة هو ظاهر القرآن وباطنه؛ وعليه تكون الجامعيّة مرتبطة بظاهر القرآن وباطنه، وأنَّ يكون بعضها قد ورد في السُنّة.

٤ـ لم يصرّح أي أحد يعتقد بأنَّ جامعيّة القرآن مرتبطة بمسائل الهداية، بعدم قدرة باطن القرآن على التعرُّض لأمور خارجة عن دائرة الهداية، بل كما مرَّ أنَّ العلامة الطباطبائيّ ﵀ يؤيد بأنَّ القرآن يدل على كل شيء بالإشارة، ثمّ إنّ بعض هؤلاء العلماء أشار إلى سعة نطاق ما يتلقاه الأنبياء ﵈ عن طريق الوحي، وأنَّ هناك بعض الآيات والروايات تدل على وجود أشخاص غير النبيّ ﷺ يعلمون بتمام ما هو كائن وما سيكون، وليس النبيّ ﷺ وحده[١].

وهناك مفسِّر آخر يعتقد بهذا الرأي أيضًا، فهو بالاستناد إلى الآية المباركة: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٢]، في جانب آخر من حديثه، اعتبر أنَّ قسماً من القرآن الكريم الذي يُطلق عليه البطن هو بعيد عن متناول العلم الحصوليّ والأشخاص غير المعصومين[٣].

---

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، حقوق و سياست در قرآن (الحقوق والسياسة في القرآن)، ص٤٠٦.

(٢) الواقعة/ ٧٩.

(٣) انظر: ناصر مكارم الشيرازيّ، قلمرو قرآن و ارزش فهم ما از قرآن (حدود القرآن وأهمية فهمنا من القرآن)، القسم الأول، مجلة معرفت، العدد ٥، السُنّة الثانية، ص٤ و٥.

بناء على ذلك، من المحتمل جدًا أنَّ يكون مراد الأشخاص الذين قيَّدوا جامعيّة القرآن الكريم بأمور الهداية المعاني الظاهريّة للقرآن، وفي مثل هذه الحالة سوف يرد عليهم إشكال وهو أنَّ ظاهر القرآن الكريم لا يتعرَّض لعدد ركعات الصلاة الواجبة مع كونها عمود الدين، أمَّا لو كان مرادهم تقييد الحدود الظاهريّة والباطنية للقرآن بأمور الهداية، فإنَّ هذا سيأتي نقده من العنوان الآتي الذي يحمل عنوان «الرد على دعوى وجود القيود».

١ـ٣. الرد على دعوى وجود القيود:

إنَّ الذين أيَّدوا إطلاق لفظتي «كل» و «شيء» في الآيات المتعلقة بحدود القرآن الكريم، ذكروا لهذه الآيات قيودًا، وهذا ما سنقوم بمناقشته فيما يأتي[١]:

١ـ٣ـ١. الآيات التي تُبيِّن محدودية مواضيع القرآن:

يُستفاد من بعض الآيات أنَّ بعض المواضيع لم ترد في القرآن الكريم، في قبال الآيات التي يدل ظاهرها على أنَّ كل شيء قد ذُكر في القرآن، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[٢]. فهذه الآية المباركة تشير إلى أنَّ القرآن الكريم قد ذكر بعض قصص الأنبياء، ولم يذكر قصص غيرهم.

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٣].

---

(١) انظر: محمود رجبي، كراسة دراسية تحت عنوان: جامعيت قرآن (جامعيّة القرآن)، الدرس ٣.

(٢) النساء/ ١٦٤.

(٣) المائدة/ ١٠١.

وقوله عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

ويُستفاد من هاتين الآيتين عدم ورود بعض الأمور التي تؤدي إلى إيقاع الناس بالحرج أو الأمور التي يختص علمها باللَّه في القرآن؛ ولذلك لا تشمل عبارة «كل شيء» جميع الأمور.

١ـ٣ـ١ـ١. الجواب:

١ـ إنَّ الآية تدل على أنَّ القرآن الكريم لم يذكر شيئًا عن قصص بعض الأنبياء عليهم السلام في زمان نزول الآية فقط، إلا أنَّ هذا الشيء هل يُذكر بعد ذلك أو لا؟ فإنَّ الآية ساكتة عن ذلك.

٢ـ إنَّ الآية ١٠١ من سورة المائدة خارجة تخصّصًا عن محل البحث؛ ذلك لأنَّه:

أولاً: الآية بصدد السؤال عن المصاديق التي يؤدي الجواب عنها إلى وقوع هؤلاء بالحرج[2].

ثانيًا: إنَّ الآية المباركة لا تنفي الأمور التي توقع في الحرج، بل تركِّز على ضرورة عدم إظهارها، فالآية تقول: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

---

(١) لقمان/ ٣٤.

(٢) أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: لما نزلت ﴿وللهِ على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا﴾ قال رجل: يا رسول الله أفي كل عام، قال: والذي نفسي بيده لو قلت نعم لو جبت ولو وجبت ما قمتم بها ولو تركتموها لكفرتم فذروني فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم، فإذا أمرتكم بأمر فائتمروه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه. (السيوطيّ، الدر المنثور، ج٢، ص٢٧٣).

ثالثًا: إنَّ الآية بصدد تبيين قانون أخلاقيّ؛ لكي يجتنب الناس الأسئلة التي تخلق مشاكل؛ لأنَّ هذه الأسئلة تمهد الأرضيّة لإظهار مثل هذه المشاكل.

٣ـ فيما يتعلق بالآية ٣٤ من سورة لقمان يمكن القول أنَّ هذه الآية تشير إلى بعض العلوم الإلهيّة المختصة باللَّه تعالى، ولا يمكن أن يفهمها الآخرون بنحو مباشر، لكن يمكن أن يأذن اللَّه تعالى بها لبعض عباده، وأنَّ نبوءات المعصومين ﷺ المتعلقة بالزمان والمكان وكيفية موت بعض الأشخاص من هذا القبيل، فمثلاً أنَّ بعض الآيات عدَّت علم الغيب خاصًّا باللَّه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[١].

وفي مقابل هذه الآية التي اعتبرت أنَّ علم الغيب خاصًّا باللَّه تعالى، تشير بعض الآيات إلى أنَّ اللَّه تعالى أذن بالغيب لبعض عبادة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...﴾[٢].

١ـ٣ـ٢. الآيات التي تُبيِّن هدف القرآن:

إنَّ رسالة الدين وغايته هي تحقيق سعادة الناس الأبديّة؛ لأنَّ الدنيا إذا كانت هي نهاية حياة البشر فلا تبقى حاجة للدين[٣]، وإنَّ هناك الكثير من الآيات تذكر بأنَّ الهدف من القرآن الكريم الهداية[٤]، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٥].

---

(١) الأنعام/ ٥٩.

(٢) الجن/ ٢٦ و٢٧.

(٣) عبدالكريم سروش، دين أقلى وأكثرى (الدين الأقلي والأكثري)، صحيفة كيهان، العدد١٤١، ١٩٩٨م.

(٤) الشورى/ ٥٢.

(٥) الزمر/ ٢٣.

ثمّ إنّ الآية ٨٩ من سورة النحل ذكرت أنَّ هدف القرآن هداية الناس إلى السعادة؛ وتكون نتيجة ذلك أنَّ القرآن الكريم لابد أن يُبيِّن أمورًا مرتبطة بهداية الإنسان.

بناء على ذلك، تكون لفظة «شيء» في الآيات المتعلقة بجامعيّة القرآن الكريم مُقيَّدة بأمور مرتبطة بتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة[١].

١ـ٣ـ٢ـ١. الجواب:

١ ـ إنَّ تقييد عبارة «كل شيء» بالأمور المرتبطة بسعادة الإنسان خلاف دلالة الآية ٨٩ من سورة النحل؛ لأنَّه إذا كان المراد من عبارة ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ بيان أمور الهداية، فستكون هذه العبارة بمعنى الهدى، ويُصبح مجيء الهدى في الآية المباركة تكرارًا، مع أنَّ الأصل هو عدم التكرر.

٢ ـ إنَّ عناوين الهداية والسعادة كلية ولا تُعيِّن المصاديق، وبالرغم من إمكانية التيقن من اعتبار بعض الأشياء جزءاً من أهداف القرآن ومرتبطة بسعادة الإنسان، إلا أنَّه لم تُعيَّن الأهداف الخارجة عن نطاق حدود القرآن، ثمّ إنّ أصحاب هذا الرأي لم يذكروا بوضوح ما هي الأمور التي تمارس فعلاً في هداية الإنسان، فطائفة منهم اعتبرت الكثير من الأشياء ومن جملتها المسائل الاجتماعيّة والعلميّة خارجة عن حدود القرآن[٢]. وطائفة أخرى اعتبرت العلوم والفنون

---

(١) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسّي، مجمع البيان، ج٥ و٦، ص٥٨٦؛ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢، ص٩٨؛ أبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص٥٨٢؛ محمود الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٢١٦؛ رشيد رضا، المنار، ج٧، ص٣٩٥؛ محمد بن طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٥٣؛ محمد بن عبدالحق ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٤٥٢؛ ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١١، ص٣٦١؛ محمد هادي معرفة، مجلة نامه مفيد، العدد ٦، ص٥ـ٧.

(٢) انظر: علي عبدالرزاق، الإسلام وأصول الحكم، ص٢٥؛ مهدي بازرگان، آخرت و خدا هدف بعثت أنبيا (الآخرة والله هدف بعثة الأنبياء)، ص٣٧.

جزءًا من حدود الهداية وحدود القرآن، وطائفة ثالثة اعتبرت أن حدوده تشمل جميع المسائل المرتبطة بتمييز الحق من الباطل[١].

وذهب بعضهم إلى أنَّ الآيات المرتبطة بحدود القرآن مقيَّدة بالحلال والحرام والأوامر والنواهي الإلهيّة[٢].

والظاهر أنَّ نطاق الهداية ليس مقتصرًا على معرفة اللَّه والرسول ﷺ والمعاد والأحكام الفرعيّة، بل هو أوسع من ذلك، فهو يشمل النظام الحكوميّ، والاقتصاديّ، والتربوي، وبعض العلوم الأخرى أيضًا؛ لاسيّما مع وجود الارتباط بين الدين والدنيا في الإسلام، وكما مرَّ في موضوع ضرورة الوحي، أنَّ الحكماء قد طرحوا مسألة الحياة الاجتماعيّة والقوانين المرتبطة بها[٣].

٣ـ لقد مرَّ في الفصل الخاص بأهداف القرآن الكريم وحدوده، أنَّ القرآن الكريم أشار إلى أنَّه يمتلك الكثير من الأهداف.

٤ـ إنَّ القرآن الكريم هو هداية للناس، ولكن له شأن آخر أيضًا بالنسبة لرسول اللَّه ﷺ والأئمة عليهم السلام؛ لكونهم يتحملون مسؤوليّة هداية الناس بوساطة القرآن، ولقد مرَّ في البحوث السابقة أنَّ النبيّ ﷺ والأئمة عليهم السلام إذا لم يتمكّنوا أن يجيبوا عن أسئلة الناس الإجابة الصحيحة، أو يكونوا في معرض الاشتباه والخطأ، فستنعدم الثقة بكلامهم في الأمور كافة؛ لأنَّ الناس في مثل هذه الحالة لا يتمكنون من التمييز بين شؤونهم المختلفة.

إنَّ المفسرين الذين يعدُّون هذه الآيات مقيدة بالآيات المتعلقة بهدف القرآن،

---

(١) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٤٨.

(٢) نُسب هذا الرأي إلى ابن عباس أيضًا، انظر: أبو طاهر يعقوب فيروزآباديّ، تنوير المقياس عن تفسير ابن عباس، ص٢٢٩؛ ثمّ إنّ جلال الدين السيوطيّ ذكر ما يشبه هذا الأمر أيضًا (انظر: الدر المنثور، ج٤، ص٥٨٩).

(٣) راجع: الفصل ٣.

يعترفون بأنَّ القرآن الكريم له بطن فضلاً عن الظهر، وأنَّ كل ما هو موجود في البطن والظهر خاص بالمعصومين عليهم السلام.

٥ـ إنَّ الآيات المأخوذة بنظر الاعتبار لا تتمكن من تقييد آيات الجامعيّة ؛ لأنَّ كليهما مثبت، فضلاً عن دلالة هذه الآيات على أنَّ الهدف الأصليّ من القرآن هو الهداية إلى السعادة؛ بناء على ذلك، لا تتمكن هذه الآيات من تقييد لفظ «شيء» في الآية ٨٩ من سورة النحل، لاسيّما أنَّ الآية كانت في مقام البيان ولم تذكر قيدًا.

٦ـ إنَّ هذا الرأي، لم يهتم بخصوص روايات الجامعيّة أبدًا.

١ـ٣ـ٣. جامعيّة القرآن ملازمة لتعطيل قوى الإنسان الإدراكية:

إنَّ جامعيّة القرآن الكريم لجميع المعارف والأحكام يلزم منه تعطيل العقل وقوى الإنسان الإدراكية الأخرى، وإذا سرى الوحي في تمام أبعاد الحياة البشرية فسيؤدي ذلك إلى إنكار دور الحس والعقل في النظام المعيشيّ[١]؛ بناء على ذلك يكون إطلاق الآيات المتعلقة بحدود القرآن مقيَّدًا بأمور خارجة عن إطار حدود العقل وأدوات الفهم البشري الأخرى؛ ذلك لأنَّ اللَّه جهَّز الإنسان بأدوات كثيرة للفهم مثل العقل والحواس الظاهريّة، وذمَّ الغفلة عنها؛ إذا لا ينبغي للوحي والقرآن اللذين جاءا من أجل تأمين حاجات الناس[٢] أن يتعرضا لأمور يتمكن الإنسان من التوصل إليها لوحده.

١ـ٣ـ٣ـ١. الجواب:

إنَّ هذا الكلام غير وارد، وأنَّ مجيء كل شيء في القرآن لا يتنافى مع استخدام العقل والحواس؛ وذلك للأسباب الآتية:

---

(١) انظر: عبد الكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة).

(٢) عبدالكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٥٦٢.

١ ـ لقد قلنا إنَّ سعة المعارف في القرآن الكريم خاص بالنبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ إنَّ العقل والحواس ليست أدوات لفهم القرآن.

٣ ـ إنَّ القرآن لم يركِّز على لزم عدم استخدام أدوات معرفيّة أخرى.

٤ ـ مع أنَّ العقل يمتلك قدرات فاعلة، لكن أحيانًا يعلوه الغبار نتيجة لبعض العوامل فتتعطل بعض فاعليته، وقد تصبح هذه الحالة عامة في المجتمع، وفي مثل هذه الحالة يقوم البيان الوحياني بإزالة الغبار عن العقول؛ ولهذا السبب استخدم القرآن الكريم لفظة «ذكر» واشتقاقاتها مثل: «ذكرى» و «تذكرة» و «مذكر» و «مدَّكر» بمعنى التذكير لأمر منسيّ[١]، لخصوص الكتب السماويّة، وأنبياء اللّه عليهم السلام؛ لذلك خاطب اللّه تعالى رسوله ﷺ من خلال قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٢].

وقد وردت آيات كثيرة بخصوص وصف القرآن بالذكر أيضًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٣].

ثمّ إنّ الإمام عليًّا اعتبر التذكير من جملة عوامل الحاجة إلى الأنبياء والوحي، حيث قال: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ... وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ اَلْعُقُولِ»[٤].

بناء على ذلك، لا يكون القرآن الكريم مقتصرًا على الأمور الخارجة عن العقل والعلم الإنساني، وإنَّ بيان القرآن للأطر المتعلقة بحدود العلم والعقل البشري يمكن أن يكون مؤيّدًا أو مرشدًا أو مشجّعًا في هذا المجال.

---

(١) لتعرُّف على استعمالات لفظة «ذكر» واشتقاقاتها حول القرآن، انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، ص٤٧ ـ ٥٠.

(٢) الغاشية/ ٢١.

(٣) القمر/ ١٧؛ وانظر: القمر: ٢٢ و٣٢ و٤٠.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١.

٢ـ نقد الآراء المبنية على المنهج غير الديني:

إنَ بعضهم يُظهر نطاق القرآن الكريم وكأنَّه محدود جدًا، أو أنَّ له حد أدنى كما يُعبِّر بعضهم؛ وذلك باستخدام بعض المناهج غير الدينيّة وهذه المناهج تتمثل بمنهج «توقع البشر من الدين والقرآن» ومنهج «التفصيل التاريخي للقرآن».

لقد تعرَّضنا في الفصل الثاني إلى بحث حول منهج «التفصيل التاريخي للقرآن» وحول التفسير الثاني من منهج «توقع البشر من الدين والوحي»؛ يعني حول السؤال الآتي: «ما هي توقعات الناس من الدين والقرآن؟»، وقد أثبتنا عدم قدرتهما على تعيين حدود القرآن الكريم، وفي هذا الفصل سنتناول البحث حول التفسير الثاني لمنهج توقع البشر من الدين والقرآن بنحو مستدل، ونوليه أهمية أكبر.

٢ـ١. بيان هذا الرأي:

على وفق هذا المنهج لابد من تعيين حدود القرآن الكريم بمعرفة التوقعات منه، وهذا الأمر متوقف على معرفة مجموعة الحاجات الأصيلة للإنسان، التي لا يمكن أن يستجيب لها مصدر آخر سوى القرآن، وهذا القسم من حاجات الإنسان يكون خارجًا عن دائرة معرفة القرآن نفسه[١]؛ لأنَّ القرآن نزل من أجل الإنسان، والإنسان له تصور عن حاجاته من القرآن في بداية الأمر، ومن ثمَّ يختار القرآن وسيلة استجابة لحاجاته هذه[٢].

على هذا الأساس يمكن معرفة حدود القرآن عن طريق الإجابة عن السؤالين الآتيين: ١ـ ما هي حاجات الإنسان؟ ٢ـ ما هي الحاجات التي يتمكَّن الإنسان

---

(١) عبدالكريم سروش، گفت وگوى زبان قرآن (الحوار في لغة القرآن)، مجلة فراره، العدد ١، السُنّة الأولى، شتاء ١٩٩٨م، ص١٢؛ عبدالكريم سروش، مديريت و مدارا (الإدارة والمدارة)، ص١٢٨؛ انتظار ما از دين (توقعنا من الدين)، كراسة غير مطبوعة، ص٢٢.

(٢) عبدالكريم سروش، قبض و بسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٥٦٢.

توفيرها من خلال الاستعانة بعلمه العادي؟ إنَّ العثور على الإجابة الصحيحة للسؤال الأول يتم بوساطة الاستعانة بالمعرفة العلميّة للنفس، وللإجابة عن السؤال الثاني نحن بحاجة إلى دراسة قدرة العلوم الإنسانية على الاستجابة لحاجات الإنسان.

النتيجة: يمكن تعيين حدود القرآن بمعرفة الحاجات الأصيلة للإنسان عن طريق معرفة النفس، وقدرة العلوم الإنسانية على الاستجابة إلى بعض الحاجات أيضًا؛ إذاً فالقرآن يجب أن يتعرَّض لأمور لا يتمكن الإنسان من التوصل إلى معرفتها، وبهذا الصدد قالوا:

إنَّ شأن اللَّه الخالق هو أنَّ تكون تعليماته وهدايته في أمور يعجز الإنسان عن إدراكها ذاتًا وفطرةً، ولا يمتلك طريقًا إليها سوى طريق الوحي والهداية الإلهيّة، أما منهج الحياة وحل المسائل الفرديّة والاجتماعيّة، وبعبارة أخرى السياسة فهي تكون في حدود قدرة العلم.

بالرغم من أنَّ تحقيق جميع الحاجات الإنسانيّة، وكذلك قدرة العلم الإنساني على الاستجابة للحاجات الإنسانية بحاجة إلى بحث دقيق وواسع، إلا أنَّه يمكن القول بأنَّ حدود القرآن شاملة لمجموعة الأمور التي لا يتمكن الإنسان من الوصول إليها بنفسه؛ وعليه تكون مسائل العلوم التجريبيّة والإنسانية والمسائل الاجتماعيّة كالحكومة مثلاً خارجة عن حدود القرآن الكريم تبعًا لهذا الدليل؛ ذلك لأنَّ الإنسان ـ كما تشير إليه التجربة ـ قادر بنفسه من العثور على الإجابة الصحيحة المتعلقة بهذه المسائل.

٢ـ٢. نقد وتحليل:

إنَّ هذا الدليل يتكون من المقدمتين الآتيتين اللتين سوف نقوم بنقدهما وتحليلهما.

المقدمة الأولى: إنَّ الوحي يستجيب لقسم من حاجات الإنسان التي لا يستجيب لها مصدر آخر.

المقدمة الأخرى: المعرفة العلميّة للإنسان تُعيِّن الحاجات الأصيلة والمقتصرة على الإنسان.

٢ـ٢ـ١. نقد المقدمة الأولى: الحدود المشتركة بين القرآن والعلم الإنساني.

إنَّ القرآن الكريم لم ينزل من أجل الاستجابة للحاجات والمسائل الإنسانية الخارجة عن حدود العقل البشري فقط، وهي التي لا يستجيب لها مصدر آخر، فلم نجد أحدًا قد أتى بدليل على هذا المدعى وقال بأنَّ القرآن الكريم يستجيب للحاجات المحصورة والخارجة عن حدود العقل والعلم الإنساني، بل لا يمكن الاستدلال أبدًا على أنَّ القرآن يمتنع عقلاً عن التدخل في الأمور المتعلقة بحدود العلم الإنساني، ولعل دليلهم الوحيد على ذلك هو لغوية بيان القرآن للأمور التي يتمكن الإنسان من الوصول إليها عن طريق العلوم البشرية.

ولإبطال هذا القول يكفي أن نثبت أنَّ بيان القرآن لهذه الأمور لا يلزم منه اللغوية، ونحن نعتقد بأنَّ القرآن الكريم إذا تحدَّث في الأمور المتعلقة بالعلوم البشرية، فإنَّ ذلك لا يلزم منه اللغوية وحسب، بل هو ضروري أحيانًا، وهذا على غرار ما يقول بعض المدافعين عن المنهج المذكور أيضًا، إنَّ النسبة بين حدود الوحي والعلم الإنساني من الناحية المنطقيّة هي نسبة العموم والخصوص من وجه، وليس نسبة التباين؛ بعبارة أخرى أنَّ الوحي والعلم الإنساني كلاهما يتمكنان من التعرُّض لمسألة واحدة[١].

---

(١) أبو القاسم الفنايي، معرفت شناسي ديني (المعرفة الدينية)، ص٣٠٠.

توضيح المسألة: إنَّ الأمور التي يمكن التوصل إليها بالعلم الإنساني، لا تخرج عن أحد الحالات الأربع الآتية:

١ـ الأمور التي وصل جميع الناس حولها إلى النتيجة، ولا يوجد اختلاف بينهم أبدًا.

٢ـ الأمور التي وصل المفكرون فقط حولها إلى النتيجة، ولا يوجد اختلاف بينهم.

٣ـ الأمور التي وصل المفكرون فقط حولها إلى النتائج، إلا أنَّه يوجد اختلاف بينهم.

٤ـ الأمور التي وصل جميع الناس حولها إلى النتائج، إلا أنَّه يوجد اختلاف بينهم[١].

في الحالة الأولى لا إشكال فيما إذا لم يتحدَّث الوحي، وفي الحالة الثانية قد لا توجد هناك ضرورة لبيان الوحي أيضًا بسبب اعتماد الناس على العلماء، وفي الحالة الثالثة يلزم بيان الوحي؛ لعدم إمكانية اعتماد كل فرد من الأفراد على عالم من العلماء؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى حدوث الهرج والمرج، وفي الحالة الرابعة يكون بيان الوحي ضرورياً أيضًا؛ ذلك لأنَّ الناس مختلفون.

الظاهر أنَّ أكثر المسائل التي تتعرَّض لها العلوم البشرية هي من الحالة الثالثة والرابعة، إذ أنَّ بيان الوحي في تلك الأمور لا يكون ليس لغويًّا وحسب، بل ضروري أيضًا.

إنَّ وجود المذاهب الفكريّة والعقائديّة المختلفة في المجتمعات البشرية التي

(١) حسن علي اكبريان، در آمدى بر قلمرو قرآن (مدخل على حدود القرآن)، ص٢٣٧ و٢٣٨.

يُخَطِّئ كل منها الآخر[١]، دليل على هذا المدعى، فقد أدَّى هذا الأمر إلى عدم إمكانية الاعتماد على أحدها، وليس ذلك إلاّ بسبب محدودية العلوم البشرية وعدم يقينيّة أغلبها.

في الحالة الأولى التي فيها جميع الناس قادرون على الوصول إلى ذلك ولا يوجد اختلاف بينهم، لا يكون بيان القرآن ضرورياً، وفي الحالة الثانية قد لا تكون هناك حاجة للقرآن أيضًا؛ بسبب اعتماد الناس على العلماء، إلا أنَّ بيان القرآن لا يكون في مثل هذه الحالة لغواً؛ لأنَّه يمكن أن يكون هذا البيان إرشادًا لحكم العقل وتأييداً له؛ لأنَّ القرآن يكون مؤيّدًا للعقل أحيانًا[٢]، ونظراً إلى التغيير والتحوُّل في استنتاجات البشر وعدم الاطمئنان الكامل بها، مع الاطمئنان الكامل بالوحي وما يتلقاه الأنبياء عليهم السلام في مقابل ذلك؛ فعليه نُسلِّم بوجود تأثير أكثر للقرآن والروايات، فالإمام علي عليه السلام يعدُّ تفتح عقول الناس من جملة فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام، حيث يقول: (فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ)[٣].

بل حتى فيما يتعلق بالأحكام، عندما يكون هناك مجال لحكم العقل يتمكن الشارع أن يحكم بالحكم المولوي أيضًا، وذلك عندما لا يكون حكم العقل واضحًا للجميع، أو لا يكون كافيًا لتحريك الناس نحو السعي للوصول إلى

---

(١) يعتقد بازرگان كما في كتاب بعثت و ايدئولوژى (البعثة والإيديولوجية) أنَّ العلم البشري قد أنتج طرقًا مختلفة للبشر، والشريعة وحدها هي القادرة على إخراجه من حيرة الضلالة.

(٢) بخصوص العقل الإرشادي، انظر: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج١و٢، ص٢٢٧ و ج٣و٤، ص١٣٤، وحتى الخواجة نصير الدين الطوسيّ رحمه الله اعتبر تأييد العقل لما يُكتَشَف من جملة أهداف الوحي (انظر: العلامة الحليّ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تعليقة الأستاذ حسن حسن زاده آملي، ص٣٤٧).

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١.

المصالح الواقعية، فالشارع في مثل هذه الحالة يحكم بالحكم المولوي؛ ليقوّي الباعث على حكم العقل لدى الجميع ويجبرهم على تحصيله[١].

٢ـ٢ـ١ـ١. نتائج رفض هذه المقدمة:

إنَّ اقتصار حدود كلمات القرآن الكريم على أمور خارجة عن دائرة حدود العلوم البشريّة له نتائج سلبيّة وخاطئة يُستبعد أن يقبلها أصحاب هذا الرأي، فضلاً عن وجود الإشكالات السابقة، وهذه النتائج السلبية هي:

٢ـ٢ـ١ـ١ـ١. نسبية حدود القرآن:

إنَّ إحدى لوازم تقييد حدود القرآن بأمور خارجة عن دائرة حدود العلوم البشريّة هي أن تكون سعة وضيق حدود القرآن تابعة لضيق وسعة حدود اكتشافات العلوم البشريّة، فعندها إذا تمكن العلم أن يلبي حاجة من حاجات موضوع معيَّن، تكون نتيجة ذلك خروج هذا الموضوع من دائرة حدود القرآن الكريم، أو على العكس من ذلك فيما إذا تمَّ الكشف عن حاجة من حاجات الإنسان تعجز العلوم البشرية عن تلبيتها، فإنَّ ذلك سيؤدي إلى زيادة موضوع من مواضيع القرآن؛ وذلك لأنَّ توقع البشر من القرآن سوف يتغيَّر.

٢ـ٢ـ١ـ١ـ٢. اختصاص القرآن بالعلماء:

من اللوازم الأخرى للمقدمة الأولى أنَّ تكون كلمات القرآن الكريم خاصة بالعلماء؛ ذلك لأنَّهم وحدهم من يستخدم عقله وعلمه، ويتمكن من الوصول إلى أمور خارجة عن حدود القرآن الكريم، ولا يتمكن الآخرون من الوصول إلى الحاجات الخارجة عن حدوده، مع أنَّنا على يقين من أنَّ القرآن الكريم نزل

(١) انظر: محمد الهاشميّ، دروس في أصول الفقه، ج٤، ص٣١ـ٣٣.

من أجل جميع الناس وليس من أجل العلماء والخواص فقط؛ ولذلك وصف القرآن نفسه بأنَّه هداية للناس كافة في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[١].

ومن الطبيعي أنَّ القرآن لم يغفل عن العلماء[٢]. حيث يُفهم من بعض الروايات أنَّ قسمًا من آيات القرآن مختصّة بالمتعمّقين، كما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّه أشار إلى نزول سورة التوحيد المباركة، والآية الثالثة حتى الآية السادسة من سورة الحديد المباركة، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وقال: «إنَّ اللَّه عزّ وجلّ علم أنَّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فانزل اللَّه تعالى: قل هو اللَّه أحد والآيات من سورة الحديد إلى قوله «عليم بذات الصدور» فمن رام وراء ذلك فقد هلك»[٣].

٢ـ٢ـ٢. نقد المقدمة الثانية: ضعف العلم الإنساني غير الوحياني.

إنَّ المقدمة الثانية لهذا المنهج تركّز على أنَّه يمكن أن يُعلم بجميع حاجات الإنسان وكذلك بقدرته على الإجابة عن بعضها عن طريق التوسل بالعلم الإنساني[٤] التجريبي والفلسفي، من دون مراجعة النصوص الوحيانيّة، وفي

---

(١) البقرة/ ١٨٥.

(٢) بهذا الصدد قال ابن رشد: «كان الشرع مقصوده الأول العناية بالأكثر من غير إغفال تنبيه الخواص». (محمد بن محمد الأندلسيّ المالكي، ابن رشد، فصل المقال، ص١١٧).

(٣) علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٧٠٦، ح٤٦.

(٤) إنَّ المراد من العلم الإنسانيّ كل منظومة معرفية تقوم بدراسة بُعد أو أبعاد من وجود الإنسان أو طبقة خاصة من الناس، وينقسم العلم الإنساني على أنواع مختلفة تتميز عن بعضها من ناحية المنهج أو طبيعة الرؤية، بحيث يمكن تقسيم العلم الإنساني على أساس المنهج على علم الإنسان التجريبيّ، والفلسفيّ، والدينيّ، والمنهج التجريبيّ يُستخدم في علم الإنسان التجريبي الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية المصطلحة، وفي علم الإنسان العرفانيّ تحصل نوع من المعرفة عن الإنسان من خلال السير والسلوك العرفانيّ والتجليات الشهوديّة، وتُدرس في علم الإنسان الفلسفيّ زوايا وجود الإنسان عن طريق التعقل، وتتحقق في علم الإنسان الدينيّ معرفة الأبعاد الوجوديّة للإنسان عن طريق الاستعانة بالكتاب والسُنّة (انظر: محمود رجبي، انسان شناسى (علم الإنسان)، ص١٦و١٧؛ واعظي، انسان شناسي از ديدگاه اسلام (علم الإنسان من وجهة نظر الإسلام، ص١١و١٢).

مثل هذه الحالة يمكن أن تتعيّن الحاجات الخارجة عن حدود العلم الإنساني، ومن ثمَّ تتعيَّن حدود القرآن تبعًا لذلك أيضًا.

إلا أنَّه بحسب الظاهر أنَّ علم الإنسان غير الوحياني لا يتمكن لوحده من تلبية جميع حاجات الإنسان بنحو دقيق؛ بسبب خصائص الإنسان وللتعقيدات المودعة في وجوده[١]، فلا مناص من التوسل بالوحي ومراجعة القرآن والروايات، ومن جملة هذه الخصائص الإنسانية:

١ ـ يتكون الإنسان من بدن مادي ومعنوي، ويمكن لروحه أن تعيش خارج البدن بنحو مستقل، وتوجد شواهد عقليّة[٢] وتجريبيّة ونقليّة[٣] كثيرة على إثبات هذه الخصوصيّة، إلا أنَّ البحث حولها يحتاج إلى مجال أوسع؛ لذلك سنذكر هنا آية من آيات القرآن الكريم فقط وصفت الإنسان بأنَّه يمتلك أبعادًا متعدّدة، قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ﴾[٤].

إنَّ هوية الإنسان الواقعيّة بروحه التي ينفخها اللَّه تعالى فيه آخر مرحلة من مراحل خلقه[٥]، وهذا هو البعد ذاته الذي يبقى من الإنسان بعد موته وتلاشي

---

(١) محمد تقي جعفريّ، تفسير ونقد وتحليل ديوان مثنوي لمولوي، ج٢، ص٤٧.

(٢) انظر: ابن سينا، الشفاء (الطبيعيات)، الفن السادس، الفصل ١؛ محمد صدر الدين الشيرازيّ، الحكمة المتعالية، ج٨، ص٦ و١١، السفر الرابع، الباب ١، الفصل ١؛ محمد حسن احدي وشكوه السادات بني جهاني، علم النفس از ديدگاه دانشمندان اسلامى (علم النفس من وجهة نظر علماء المسلمين)، ص١٨ـ ٢١.

(٣) انظر: جوادي آملي، انسان در اسلام (الإنسان في الإسلام)، ص٣٠؛ عايشة بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الإنسان، ص١٧٩ ـ ٢٠٤؛ عبدالله نصري، مبانى انسان شناسي در قرآن (مباني علم الإنسان في القرآن)، ص١١٣ ـ ١١٨؛ محمود رجبي، انسان شناسي (علم الإنسان)، ص٤٠ ـ ٥٠.

(٤) السجدة/ ٧ و٨، وانظر: المؤمنون/ ١٢ ـ ١٤.

(٥) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ص/ ٧١ و٧٢.

بدنه[١]، وأنَّ معرفة هذا البعد هي معرفة اللَّه وأفضل العلوم وغاية المعارف الإنسانيّة، ورسول اللَّه ﷺ يصف ذلك بقوله: «من عرفه نفسه فقد عرف ربَّه»[٢].

وهذا هو البعد الإنساني الذي لا تتمكن العلوم الإنسانية بتمامها وكمالها من معرفته، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣].

٢ـ ذكر مراتب وجودية كثيرة للإنسان[٤]، قال اللَّه تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ﴾[٥].

ولكل من هذه المراتب متطلباته الخاصة، فالإنسان جُعل بين بُعدين متقاربتين بنحوٍ متناهٍ، ومراتب وجوده متأرجحة بين حضيض الذلّة وعرش العزَّة، فهو من جهة له القابليّة على أن يتسامى إلى أعلى مراتب القرب الإلهيّ، ومن جهة أخرى له القابليّة على الانحطاط إلى أسفل سافلين، وأن يصبح أضل من الأنعام[٦].

قال مولوي:

الإنسان الذي لا ينطوي فيه العالم يصبح أسير الذل ويبقى في مكانه[٧]

٣ـ إنَّ الإنسان فضلاً عن حياته الدنيويّة، له حياة أخروية أيضًا، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨].

---

(١) انظر: الخواجة نصير الدين الطوسّي، بقاء الروح، في كتاب بقاى روح يا جسم (بقاء الروح أم الجسم) بقلم پرويز تاجدار.

(٢) محمد باقر المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢، ح٢٢، الباب ٩.

(٣) الإسراء/ ٨٥؛ ذهب بعضهم إلى أنَّ الروح الإنسانية هو المراد من الآية المباركة.

(٤) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٦٦.

(٥) الأنعام/ ١٣٢؛ الأحقاف/ ١٩.

(٦) التين/ ٥ و٦؛ الأعراف/ ١٧٩.

(٧) جلال الدين محمد مولوي، مثنوي معنوي، القسم الأول.

(٨) البقرة/ ٢٨؛ ثمّ إنّ الآية ١١ من سورة المؤمن تشير إلى هذا الأمر أيضًا.

إنَّ هذه الآية تشير إلى نشأة الإنسان الأولى، و إحيائه في عالم البرزخ، وكذلك الإحياء في الآخرة يوم البعث[١].

٤ ـ يوجد ارتباط وثيق بين حياة الإنسان الدنيويّة وحياته الأخرويّة، إذ إنَّ الإنسان يرى في الآخرة ثمرة أعماله الدنيويّة أو يراها بحقيقتها، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢].

إنَّ وجود خصوصيات متميزة في الإنسان وهي التي أشرنا إلى بعضها، جعلته موجودًا خفيًّا ومبهمًا، ومن الصعب معرفة جميع حاجاته الجسمية والروحيّة والماديّة والمعنويّة والدنيويّة والأخروية.

قال الشاعر مولوي:

إذا كان الجنُّ مخفياً بحسب الظـاهر فإنَّ الإنسـان أخفـى من الجـنِّ

وإذا كـان الجـنُّ عند العقلاء مخفياً فالإنسان أخفى منه بمئات المرات[٣]

إنَّ تطور العلوم الإنسانية المتواصل في ميادين كشف العلاقة بين الظواهر الطبيعية والنجاحات التي حازتها هذه العلوم في المجالات المتعلقة بالإنسان لهي جديرة بالثناء، لكن ـ كما يعترف كبار العلماء ـ أنَّ الحقيقة هي أنَّ البشر لم يتمكن من استخدام علمه في التوصل إلى المعرفة الدقيقة والكاملة عن العالم والترابط بين أجزئه المختلفة، لاسيّما معرفة الإنسان لجميع احتياجاته؛ ذلك لأنَّ نطاق معرفة الإنسان العاديّ محدود، ومعلوماته قليلة جدًا بالمقارنة مع

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١، ص١١٢ و١١٣.

(٢) الزلزلة/ ٧ و٨.

(٣) جلال الدين محمد مولوي، المثنوي، القسم الثاني، الأبيات ٤٢٥٥ و٤٢٥٦.

مجهولاته، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

ومن جهة أخرى: أنَّ الاختلاف الشديد بين العلماء يدل على ظنيّة الخطأ وإمكانيّتة في أغلب النتائج الإنسانيّة، مما أدّى إلى سلب الثقة عن ذلك، إلى درجة وصل فيها الأمر أنَّ أحد علماء الغرب المشهورين رفض أن تكون المشاهدة والعقل مصدرين من مصادر المعرفة واعتبر أغلب التقارير الناجمة عن ذلك خاطئة[٢]، وكذلك قال أحد المدافعين عن هذا المنهج: «إلى الآن لم يخضع للتجربة قانون علميّ دقيق بالكامل وغير تقريبيّ»[٣].

إنَّ صحّة هذا الكلام من خطئه أمر آخر، والبحث يدور حول عدم إمكانية الادعاء من خلال هذه النظرة إلى النتائج التجريبيّة بوجود القدرة على معرفة الحاجات الحقيقيّة للإنسان عن طريق علم الإنسان غير الوحياني، والتوصل إلى معرفة حدود القرآن عن هذا الطريق.

إنَّ محدوديّة العلوم الإنسانية وظنيّة أغلبها من جهة، وتعقيدات وجود الإنسان من جهة أخرى، أدَّى إلى أن يقع علم الإنسان غير الوحيانيّ بأزمة بالرغم من وجود الجهود الحثيثة الرامية إلى معرفة الأبعاد المختلفة للإنسان[٤]، فلم يستطع علم الإنسان غير الوحياني تحديد الأبعاد الوجودية للإنسان وجميع حاجاته الحقيقيّة

---

(١) الإسراء/ ٨٥.

(٢) كارل بوبر، حدسها و ابطالها (الظنون وبطلانها)، ترجمة أحمد آرام، ص٣٠ و٣٥.

(٣) عبدالكريم سروش، صراطهاى مستقيم (الصرُط المستقيمة)، ص٣٧؛ عبدالكريم سروش، قبض وبسط تئوريك شريعت (القبض والبسط النظري للشريعة)، ص٥٩٦.

(٤) إنَّ أزمة علم الإنسان غير الديني تمَّ بيانها بأربعة محاور، وهي: ١ـ انتفاء التوافق بين النظريات وانتفاء وجود الانسجام الباطني، ٢ـ انتفاء وجود الحكم الفاعل والمقبول،٣ـ انتفاء الأخذ بنظر الاعتبار ماضي الإنسان ومستقبلة، ٤ـ العجز عن تبيين أهم الظواهر الإنسانية.

تحديداً دقيقاً[١]، إنَّ علم الإنسان هذا مخفيّ في ذات الإنسان خلف أستار الحجب أكثر مما هو ظاهر[٢]؛ إذاً لابد من مدِّ يد العوز والحاجة إلى خالق الإنسان، وطلب المعونة منه؛ لأنَّه عالم بكل خصوصيات الإنسان واحتياجاته، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

إنَّ اللَّه الكريم بيَّن من خلال إنزال الوحي العلم اللازم لمعرفة الإنسان والأمور المؤثرة في سعادته، ثمّ إنّ قول رسول اللَّه ﷺ وفعله وتقريره حول التعريف بالأبعاد الوجودية للإنسان وحاجاته الحقيقيّة وطرق الإجابة عنها يقوم بحل الكثير من المشاكل، فضلاً عن القرآن الكريم، بالإضافة إلى أنَّ قول أهل البيت عليهم السلام وفعلهم وتقريرهم هو في المنزلة نفسها مع قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره؛ لأنَّهم يُلهمون من قبل اللَّه تعالى، وقد طووا مدارج الكمال الرفيعة كما طواها رسول اللَّه ﷺ.

إنَّ خصائص القرآن والسُنّة هذه هي ذاتها التي أدَّت إلى أن يمتلك علم الإنسان الوحياني الذي تبلور على أساس التعاليم الوحيانيّة امتيازات مقابل العلوم الإنسانية الأخرى، ومن جملتها هذه الامتيازات: الإتقان «امتناع الوقوع بالخطأ»، والجامعيّة، والاهتمام بالمبدأ والمعاد والأبعاد المختلفة لوجود الإنسان؛ وعليه لا يتمكن الإنسان من معرفة حاجاته الواقعية من دون الاستعانة بالوحي.

بناء على ذلك، لا يستطيع منهج توقع البشر من القرآن تعيين حدود القرآن الكريم، ومن ثمَّ لا يرد الرأي الذي يعدُّ حدود القرآن مقتصرة على الأمور

---

(١) محمد تقي جعفريّ، ترجمة وتفسير نهج البلاغة، ج٤، ص٢٥٨.

(٢) انظر: ارنست كاسير، رسالهاى در باب انسان (رسالة في باب الإنسان)، ترجمة بزرگزاده، ص٤٦.

(٣) البقرة/ ٢١٦ و٢٣٢؛ آل عمران/ ٦٦؛ النور/ ١٩.

الخارجة عن إطار العقل والعلم، بل لا ينسجم هذا الرأي مع روح التعاليم الإسلاميّة أيضًا، فضلاً عن عدم وروده.

إنَّ التعاليم الإلهيّة تعتبر الدنيا مقدمة للآخرة، والدنيا مزرعة الآخرة، وتؤيد صحة برنامج الدنيا إذا كان يمهد الأرضيّة للوصول إلى الأخلاق المعنويّة والسعادة الأخرويّة، ومن هنا توجد أكثر من سبع مئة آية من آيات الذكر الحكيم تشير إلى الظواهر الطبيعيّة، إلى جانب الآيات المتعلقة بالتوحيد والمعاد والأمور الأخلاقيّة[1]، كما توجد الكثير من الآيات التي تتحدث عن المسائل الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصادية والحربية والحقوق الفرديّة والاجتماعيّة، وسنتطرَّق في الفصل اللاحق إلى هذا الأمر بشيء من التفصيل.

٣ـ النتيجة:

من نقد الآراء الأخرى وتحليلها المتعلقة بالحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، تحصَّل بأنَّ اقتصار الحدود الموضوعيّة للقرآن على الأمور المعنويّة وأمور الهداية المحضة، واعتبار أمور أخرى، مثل الأمور الاجتماعيّة والسياسيّة والعلميّة وأمثال ذلك خارجة عن حدود هذا الكتاب السماويّ؛ أمر خاطئ وهو على خلاف مفاد الآيات والروايات.

---

(١) انظر: مهدي گلشني، قرآن و علوم طبيعت (القرآن والعلوم الطبيعية)، ص١٠٤.

الفصل الحادي عشر
الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن

الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن

١ ـ مقدمة:

لقد اتضح من الفصول السابقة أنَّ نطاق الحدود الموضوعيّة التي تقوم آيات الجامعيّة للقرآن ببيانها ليست مقتصرة على الأمور الأخروية وأمور الهداية، بل هي أوسع من ذلك بكثير، وإنَّ هذه الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم مرتبطة بشؤون الباب الذي يُعدّ وسيلة للاهتداء بوساطة النبيّ الأعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام، وهو ما يُستفاد من مجموع ظاهر القرآن وباطنه، وأنَّ فهم هذا النطاق الموضوعيّ للقرآن كان خاصًّا بهؤلاء العظام ولا يتمكن أحد غيرهم من بلوغه.

إنَّ القرآن الكريم هو وسيلة هداية للناس، فضلاً عن كونه وسيلة هداية لرسول اللَّه ﷺ والأئمة عليهم السلام أيضًا، فينبغي للناس غير المعصومين أن يستخرجوا رأي القرآن في المواضيع اللازمة من كسب الشروط اللازمة للتفسير والرجوع إلى ظاهر القرآن الكريم، والاهتداء بهداه؛ ذلك لأنَّ

القرآن الكريم قد افتخر في آيات عديدة بوصف «الهُدى» الذي اتصف به[١]، وعدَّ نفسه وسيلة لهداية الناس وإرشادهم[٢]، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ﴾[٣]. هذا أولاً.

وثانيًا: إنَّ الشواهد القرآنيّة والروائيّة تدل على حجّيّة ظواهر القرآن الكريم وإمكانية فهمه لغير المعصوم، فالقرآن الكريم يذكر بأنَّ لسانه لسان عربي مبين[٤]، وهو يخاطب الناس على أساس أصول الحوار العقلائيّ من دون أن يلجأ إلى أسلوب آخر، وإذا كان للّه تعالى أسلوب آخر لبيَّنه للناس.

فضلاً عن ذلك أنَّ القرآن يصف نفسه بألفاظ مثل: بيان[٥]، ومبين[٦]، وبيّنة[٧]، وتبيان[٨]، ونور[٩]. وهذه الأوصاف تعني الوضوح والإيضاح، وفصاحة المقصود وبلاغته[١٠]، وإمكانيّة فهم هذا الكتاب الإلهيّ، وهي تقوم ببيان معانيه ومقاصده بنحو تلقائيّ، وإنَّ الآيات التي تدعو إلى التدبّر في القرآن[١١]، والآيات التي تدعو المخالفين وتتحداهم في الإتيان بمثله[١٢]، تدل جميعها

---

(١) مثل: البقرة/ ٢و١٣٨و١٥٧و١٥٩؛ الأعراف/ ٥٢ و٢٠٣؛ يونس/ ٥٧؛ يوسف/ ١١١؛ النحل/ ٦٤و٨٩ و١٠٢.

(٢) انظر: آل عمران/ ٤.

(٣) البقرة/ ١٨٥.

(٤) قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل/ ١٠٣؛ وانظر: الشعراء/ ١٩٥.

(٥) قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ آل عمران/ ١٣٨.

(٦) قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الشعراء/ ٢؛ وانظر: النور/ ٣٤.

(٧) قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ﴾ الأنعام/ ١٥٧.

(٨) قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل/ ٨١.

(٩) قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ﴾ التغابن/ ٨.

(١٠) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة بان.

(١١) قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص/ ٢٩.

(١٢) مثل: البقرة/ ٢٣ و٢٤؛ يونس/ ٣٨؛ هود/ ١٣؛ انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، قرآن شناسى (معرفة القرآن)، تحقيق وتدوين محمود رجبي، ج١، ص١٩٠.

على قابلية فهم القرآن الكريم بالنسبة لغير المعصوم، وعلى خلاف ذلك لا يكون للدعوة إلى التدبّر والإتيان بمثله معنى، هذا فضلاً عن الروايات المتعدّدة الأخرى التي تدل على هذا الأمر أيضًا، من جملتها الروايات التي تصف القرآن بأنَّه معيار للروايات[١]، بل إنَّ بعض الروايات تتعرَّض إلى بيان كيفيّة فهم القرآن، فضلاً عن اللوم على إهمال السعي من أجل فهمه، فمثلاً روي أنَّ الإمام الصادق عليه السلام في معرض جوابه لمن سأله حول كيفية استنساخ أعمال الإنسان، قال: «أو لستم عربًا؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب؟ أوليس إنَّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل؟ وهو قوله: ﴿كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]».[٣]

من مجموع هذه الأدلّة والشواهد نستنتج بأنَّ الإنسان العادي قادر على فهم القرآن، بل من الواجب عليه أن يفهمه ويهتدي به.

بناء على ذلك يكون القرآن الكريم وسيلة هداية للناس، ويجب عليهم أن يمدُّوا يد العوز والحاجة للَّه تعالى؛ من أجل تلبية حاجاتهم، والحصول على أجوبة القرآن وهدايته، فضلاً عن كونه وسيلة للَّهداية بوساطة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وهنا قد يتبادر السؤال الآتي: ما هو مقدار استجابة القرآن الكريم لحاجاتنا؟، بناء على ذلك سنقوم في هذا الفصل بالبحث حول نطاق الحدود الظاهريّة للقرآن الكريم، ونجيب على السؤال الآتي: ما هو مقدار الحدود الموضوعيّة الظاهريّة للقرآن الكريم؟، وما هو نوع الأجوبة المتعلقة بالحاجات التي يستطيع المفسرون وغير المعصومين عليهم السلام أن يفهموها من ظاهر القرآن؟.

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «كل شيء مردود إلى كتاب الله والسُنّة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف». (محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج٢، ص٢٤٢).

(٢) الجاثية/ ٢٩.

(٣) علي جمعة العروسي الحويزي، نور الثقلين، ج٥، ص٢٢٦.

٢ـ أدلّة الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن الكريم:

لقد مرَّ في البحث حول منهج كشف الحدود الموضوعيّة للقرآن أنَّ كشف جامعيّة القرآن الكريم يمكن تصورها من ثلاثة مناهج، وهي: المنهج غير الديني، والديني، والتركيبي.

إنَّ المنهج غير الديني لا يكفي لوحده في هذا الأمر، ولا محيص من التوسل بالمنهج الديني والاستعانة بالآيات والروايات، فضلاً عن الاستفادة من هذا المنهج والاستعانة بالأدلّة العقليّة، فإنَّ هذه المناهج كما كانت فاعلة ومثمرة في مجال الحصول على معرفة جميع الحدود الظاهريّة والباطنية للقرآن، تُستخدم في كشف الحدود الموضوعيّة الظاهريّة للقرآن الكريم أيضًا.

إنَّ الأدلّة والشواهد تدل على أنَّ الحدود الموضوعيّة الظاهريّة للقرآن الكريم تتمتع بنوع من السعة أيضًا؛ لأنَّ القرآن الكريم يتعرَّض في كلامه إلى الأحكام والأخلاق، والعلوم والمسائل الدنيويّة والأخروية، وعلاقة الإنسان بنفسه وبخالقه، وبالإنسان الآخر والموجودات التي تحيط به.

٢ـ١. الأدلّة العقليّة:

ذكرنا في الفصل الثالث بالتفصيل أنَّ العلماء استدلوا بالدليل العقليّ على ضرورة الوحي والقرآن، والوجه المشترك لأدلّة إثبات ضرورة الوحي هو أنَّ الإنسان لا يتمكن من حل جميع المشاكل وإعطاء الإجابة الصحيحة لكل ما يحتاج إليه دون الاستعانة بالوحي والقرآن؛ بناء على ذلك، يكون القسم الذي لا يستطيع الإنسان أن يجيب عنه بنفسه جزءًا من حدود القرآن بالتأكيد.

إنَّ الحكماء يركِّزون من خلال إثبات ضرورة الوحي والقرآن على اجتماعية الحياة الإنسانية وعدم قدرة البشر على وضع القوانين الرافعة للاختلافات

الاجتماعيّة بأنفسهم وتطبيقها، ومن مجموع ما قاله الحكماء في موضوع النبوة يُفهم بأنَّهم ضمن استدلالهم على ضرورة الوحي يركِّزون على ضرورة تأمين الحياة الحقيقيّة للمجتمع الإنساني الذي تنمو فيه المعنويّة، وليس أي نوع من الحياة الاجتماعيّة.[1] وفي ضوء نتيجة هذا التقرير حول ضرورة الوحي والقرآن تصبح الأمور الضروريّة للحياة الحقيقيّة كافة جزءًا من حدود القرآن الكريم.

لقد اهتم العرفاء ضمن إثباتهم لضرورة الوحي بمعرفة اللَّه والسير والسلوك نحوه، فهم يعتقدون أنَّ من الواجب وجود شخص أو أشخاص من بين الناس يصلون إلى مقام تلقي الوحي الإلهيّ، ويتحملون مسؤولية قيادة قافلة هذا السلوك نحو اللَّه؛ لذلك تعتبر الأسماء والصفات الإلهيّة وطرق الهداية نحو اللَّه من حدود القرآن الكريم.

أمَّا المتكلمون فمن أجل إثبات ضرورة الوحي والقرآن طرحوا مسألة حسن التكليف، والحاجة إلى الوحي والقرآن للوصول إلى هذا التكليف.

على أساس هذا الدليل تصبح التكاليف الفرديّة والجماعية جزءًا من الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، إلا أنَّ تركيز المتكلمين على التكليف لا يعني غض النظر عن البعد الاجتماعي للحياة الإنسانية؛ ذلك لأنَّ القسم الأكبر من التكاليف الدينيّة تمتلك بعدًا اجتماعيًّا أيضًا، وفي ضوء هذا البرهان تكون جميع تكاليف العباد ـ أو عمومياتها في أقل تقدير ـ قد جاءت في القرآن الكريم.

إنَّ أكمل برهان عقلي على حدود القرآن الكريم هو برهان الكمال، وقد ورد التركيز في هذا البرهان على ضرورة معرفة الكمال الإنساني وطريق الوصول إليه وعدم قدرة الأدوات العامة للمعرفة الإنسانية من الوصول إلى هذا النوع

(١) انظر: عبدالله جوادي آملي، ده مقاله پيرامون مبدأ و معاد (عشر مقالات حول المبدأ والمعاد)، ص٢٦٣ و٢٦٤.

من المعرفة، وبمقتضى الحكمة الإلهيّة يجب أن يكون هناك طريق آخر للمعرفة الإنسانية غير العقل والحسّ؛ لكي يصل الإنسان إلى الكمال المطلوب، وهذا الطريق هو الوحي والقرآن.

بناء على ذلك، تكون حدود القرآن بصدد تحقيق الهدف من خلقة الإنسان؛ أي تمهيد الأرضيّة لوصول الإنسان للكمال والسعادة المطلوبة؛ إذاً، يجب أن يمتلك القرآن المعارف والأحكام والقوانين اللازمة لوصول الإنسان إلى الكمال. إنَّ هذا البرهان يكشف عن أنَّ الأمور المتعلقة بتكامل الإنسان ـ أو عمومياتها في أقل تقدير ـ جزء من الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم.

إنَّ الناس ـ كما يشهد التاريخ ـ قد حُرموا من وجود النبيّ محمد ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، ومن الانتفاع بفهمهم وتفسيرهم لباطن القرآن الكريم لأسباب عدَّة؛ بناء على ذلك، ينبغي أن تُفهم احتياجات الناس الأساسية للقرآن من ظاهره بمساعدة المفسرين غير المعصومين، ومن ثمَّ يكون كل ما يعدُّ جزءًا من احتياجات الإنسان بحسب الأدلّة العقليّة، جزءاً من احتياجات الإنسان للقرآن الكريم، وجزءاً من الحدود الموضوعيّة لظاهره، وهذه الاحتياجات هي: المعرفة بالصفات الإلهيّة، وطريق السير إلى اللّه، والأمور المتعلقة بالحياة الاجتماعيّة الإلهيّة السليمة، والتكاليف الفرديّة والاجتماعيّة، والأمور المتعلقة بكمال الإنسان وسعادته.

٢ـ٢. الأدلّة النقلية:

لابد من الرجوع إلى القرآن والروايات لتعيين تفاصيل حدوده، والبحث في رأي كل منهما حول سعة الحدود الموضوعيّة للقرآن؛ ذلك لأنَّ الأدلّة العقليّة تقوم بتعيين حدود القرآن تعييناً كلّيّاً فقط، والبحث حول رأي القرآن والروايات

يمكن القيام به من خلال مناهج عدَّة، وهي:

١ ـ دراسة الآيات والروايات المتعلقة بالحدود الموضوعيّة للقرآن.

٢ ـ دراسة الآيات والروايات التي تقوم ببيان أهداف القرآن الذاتيّة.

٣ـ دراسة استقرائية لجميع آيات القرآن الكريم وتصانيفها.

لقد ذكرنا في الفصول السابقة أنَّ آيات وروايات حدود القرآن الكريم، وبالخصوص الآيات والروايات التي تعتبر جميع الأمور جزءًا من الحدود الموضوعيّة للقرآن، هي متعلقة بمجموع ظاهر القرآن الكريم وباطنه؛ بناء على ذلك لا نستعين هنا بذلك المنهج في الكشف عن الحدود الظاهريّة للقرآن الكريم.

ففي المنهج الاستقرائي لابد من استقراء جميع آيات القرآن وتصنيفها على أساس الدلالة الظاهريّة، ومع أنَّ هذا المنهج مؤثر ومفيد جدًا، إلا أنَّه يحتاج إلى عمل متواصل وجهد كبير، ونشاط جماعي وتخصّصي في فروع العلوم المختلفة، وهو خارج عن وسعنا ومجال بحثنا هذا؛ وعليه سنقوم في الفصل اللاحق ببيان نماذج من الآيات المتعلقة بالمواضيع المختلفة فقط من خلال البحث في القرآن الكريم، ومن ثمَّ نستعين فقط بالآيات والروايات المتعلقة بأهداف القرآن الكريم.

وكما ذكرنا سابقًا أنَّ من جملة الأمور التي يمكن أن تساعدنا على كشف حدود القرآن الكريم، كشف أهداف هذا الكتاب الإلهيّ وأهداف رسول اللَّه محمد ﷺ، وقد أحصينا في ذلك الفصل هذه الأهداف من خلال الاستعانة بالآيات والروايات، وأشرنا إلى أنَّ هذه الأهداف تكشف عن مجموع الحدود الظاهريّة والباطنية للقرآن الكريم؛ لأنَّ ظاهر القرآن وباطنه من أبرز مصادر علم

النبيّ الأعظم ﷺ، وقد حقق ﷺ أهداف رسالته الإلهيّة بالاستعانة بظاهر القرآن وباطنه.

بناء على ذلك تكون أهداف القرآن مقتصرة على الحدود الظاهريّة له؛ بعبارة أخرى أنَّ الأهداف التي بيَّنها القرآن الكريم لنفسه لابد أن تتحقّق بهذا الكتاب الإلهيّ نفسه؛ وعلى هذا الأساس من الخطأ القول: بأنَّ أهداف القرآن الكريم تتحقق من القرآن والروايات معًا؛ إذاً يمكن أن تكون أهداف القرآن كاشفة عن الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، وبالنتيجة فإنَّ كشف الأهداف المباشرة للقرآن يساعدنا على فهم الحدود الموضوعيّة له و يدل على أنَّ ما لم يكن جزءًا من أهداف القرآن المباشرة لا يكون جزءًا من حدوده بالتأكيد.

إنَّ القرآن الكريم من أجل أن يوصل الإنسان إلى الكمال والسعادة، يقوم في البداية بإشباع رغبة الإنسان من المعرفة والفكر، ومن ثمَّ يوجِّه دوافعه القلبية والروحيّة نحوها؛ لكي ينهض الإنسان للعمل ويعزم على سلوك طريق اللَّه تعالى، وعندها يصل إلى أهدافه النهائيّة؛ وعلى هذا الأساس يمكن أن نقسم أهداف القرآن الكريم على أربعة أقسام وهي: البعد الفكري، والبعد الفطري، والبعد الغائي، والبعد السلوكي للإنسان.

٢ـ٢ـ١. الأهداف الفكريّة:

٢ـ٢ـ١ـ١. التذكير بالأمور المنسية:

إنَّ اللَّه تعالى جعل مجموعة من الحقائق في دائرة اختيارات الإنسان عن طريق الفطرة والعقل، فالإنسان بعقله وفطرته يتمكن من إدراك بعض الأمور بالكامل ، أو يتوصل إلى معرفتها بقدر محدود، لكنَّه أحيانًا ينساها على أثر الاستئناس بالأمور الدنيويّة والأهواء النفسيّة والوساوس الشيطانيّة أو قضايا

أخرى، ومن الممكن أن تغفل بعض المجتمعات عن المسائل الدينيّة بالكامل وتصبح هذه الغفلة عامة، بحيث أنَّ الناس أنفسهم لا يتمكنون أن يفعلوا شيئًا، وفي مثل هذه الصورة يصبحون بحاجة إلى تذكير؛ من أجل أن تستعيد هذه المعلومات فاعليتها لديهم.

ومن الممكن أحيانًا أن لا يكون هناك نسيان، ولكن تكون هناك حاجة للتأكيد والتذكير؛ من أجل الالتفات أكثر، ومن هنا فإنَّ لفظة «ذكر» ومشتقاتها مثل: «ذكرى» و«تذكرة» و«مذكر» و«مدَّكر» التي هي تعني التذكير لا عن نسيان وإعادة الذكر لأمر منسيّ[١]، استخدمت مكرّرة في القرآن الكريم[٢] لخصوص الكتب السماويّة[٣]، ولخصوص أنبياء اللَّه ﷺ؛ فالقرآن الكريم يُعرِّف نفسه ويقول[٤]: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[٥].

إنَّ الأمور التي نسيها الناس من وجهة نظر القرآن الكريم هي: اللَّه تعالى[٦]، والمعاد ويوم الحساب[٧]، والنعم الإلهيّة[٨]، والآيات الإلهيّة[٩]، وعهد اللَّه وميثاقه،[١٠] والمعارف والأحكام التي جعلها اللَّه تعالى في دائرة اختيار الناس[١١].

---

(١) انظر: الراغب الأصفهانيّ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٨١، مادة ذكر.

(٢) لتعرُّف استعمالات لفظ «ذكر» واشتقاقاتها حول القرآن، انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، قرآن شناسى (معرفة القرآن)، تحقيق وتدوين محمود رجبي، ص٤٧-٥٠.

(٣) إنَّ القرآن الكريم أطلق على ما أنزله على النبي هود ﷺ «ذكر» أيضًا، قال تعالى: ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ الأعراف/ ٦٩.

(٤) وكذلك في سورة القمر/ ١٧و٢٢و٣٣و٤٠.

(٥) التكوير/ ٢٧.

(٦) انظر: البقرة/ ١٢٥.

(٧) انظر: الأعراف/ ٥١.

(٨) انظر: فاطر/ ٣.

(٩) انظر: طه/ ١٢٦.

(١٠) انظر: المائدة/ ١٤.

(١١) انظر: الأعراف/ ١٦٥.

٢ـ٢ـ١ـ٢. إزالة الغفلة:

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ نجاة الناس من الغفلة هدفًا من أهدافه، وأنَّ هذا الهدف يتحقق من خلال إنذار الناس وتوعيتهم، قال تعالى: ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[١].

٢ـ٢ـ١ـ٣. بيان الدليل الواضح على الأفكار الصحيحة والضروريّة:

إنَّ القرآن الكريم يضمن ثبات الحق وطريق التكامل الحقيقيّ بأدلّة واضحة ويقينيّة، فضلاً عن بيانه لذلك، وقد أشار إلى هذه الحقيقة في جملة من الآيات، كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾[٢].

البيّنات جمع بيِّنة بمعنى الدلالات الواضحات[٣]. إنَّ هذه الآية الكريمة تصف القرآن الكريم بأنَّه يشتمل على دلالات واضحات للَّهداية إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤].

لقد أطلق اللَّه تعالى على القرآن في هذه الآية الكريمة برهانًا[٥]، وما دام البرهان يعني الدليل والحجّة[٦]؛ لهذا يكون القرآن الكريم وسيلة لمعرفة الطريق

---

(١) يس/ ٥ و ٦.

(٢) البقرة/ ١٨٥.

(٣) انظر: مجمع البيان، ج٣، ص٤٤٣.

(٤) النساء/ ١٧٤.

(٥) انظر: مجمع البيان، ج٢، ص١٤٧؛ الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٦٠، لقد اعتبر أصحاب هذين المصدرين ومصادر أخرى أنَّ النبي محمد ﷺ بذاته، وولاية الإمام علي ﷺ، ودين الحق من مصاديق البرهان في هذه الآية أيضًا (انظر: تفسير البرهان، ج٢، ص٣٠٤؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، جوامع الجامع، ج١، ص٣٠٦).

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهريّ، الصحاح، ج٥، ص٢٠٧٨.

الصحيح المؤدي للسعادة.

٢ـ٢ـ١ـ٤. تمييز الحق عن الباطل وبيان الدليل على المعرفة:

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ تمييز الحق عن الباطل من جملة أهدافه.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ﴾[١].

٢ـ٢ـ١ـ٥. رفع الاختلاف:

لقد وجدت بين الناس اختلافات وسوف توجد أيضًا، وهم ليسوا قادرين على رفعها ويحتاجون إلى مرشد إلهيّ لذلك؛ وعليه فإنَّ القرآن الكريم عدَّ رفع الاختلاف أحد دواعي نزول الكتب السماويّة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ﴾[٢].

ثمّ إنّ القرآن الكريم يشير أيضًا إلى هدفه هذا في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ﴾[٣]. فضلًا عن الآية السابقة التي تشمل الكتب كافة ومن بينها القرآن الكريم.

بناء على ذلك يكون رفع الاختلافات الدينيّة عن طريق بيان القوانين الإلهيّة وإزالة البدع عن الدين، من جملة أهداف القرآن الكريم.

---

(١) البقرة/ ١٨٥.

(٢) البقرة/ ٢١٣.

(٣) النحل/ ٦٤.

٢ـ٢ـ١ـ٦. إيجاد الأرضيّة للتفكُّر:

إنَّ من جملة أهداف القرآن الكريم إيجاد الأرضيّة للتفكُّر حيث أشارت آياته إلى ذلك بعبارات مختلفة، من قبيل بعض الآيات التي تطرَّقت إلى مسألة استخدام العقل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

وفي بعض الآيات دعا القرآن الكريم للتدبر، ومن جملة ذلك الدعوة إلى التدبر في آياته؛ لغرض توفير أرضيّة إدراك حقانيته من قبل الإنسان[٢]، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٣].

وهناك آيات في القرآن أيضًا تعتبر التفكر هدفاً من أهداف نزول القرآن من خلال استخدام لفظة «تفكُّر» واشتقاقاتها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

إنَّ القرآن في مقام العمل يحاول أن يدعو الإنسان إلى التفكر في الدنيا والآخرة أيضًا بوساطة التذكير أو بيان الآيات وتوضيحها[٥] بالأمثلة أو الأوصاف المختلفة[٦]، وسرد القصص بأفضل بيان[٧]، ؛ لكي يُدرك هذا الإنسان زوال الدنيا وخلود الآخرة ويسعى من أجل آخرته.

---

(١) يوسف/ ٢.

(٢) مثل: النساء/ ٨٢؛ محمد/ ٢٤.

(٣) ص/ ٢٩.

(٤) النحل/ ٤٤.

(٥) انظر: البقرة/ ٢٢١.

(٦) انظر: الحشر/ ٢١.

(٧) انظر: الأعراف/ ١٧٦.

٢ـ٢ـ١ـ٧. التعريف بالتوحيد:

إنَّ تعريف الناس بوحدانية اللَّه، والدعوة إلى توحيده والابتعاد عن الشرك من أهم أهداف القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[١].

٢ـ٢ـ١ـ٨. التذكير بالمعاد:

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ الهدف من إتيان النبيّ موسى عليه السلام الكتاب هو إيمان الناس بالآخرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

إنَّ تذكير الناس بالمعاد من أهداف هذا الكتاب السماويّ؛ ذلك لأنَّ القرآن يشتمل على جميع أهداف الكتب السماويّة، ومن جملتها التوراة.

٢ـ٢ـ٢. الأهداف الفطريّة:

٢ـ٢ـ٢ـ١. علاج الأمراض الروحيّة والأخلاقيّة:

لقد أطلقت كلمة شفاء على القرآن الكريم في آيات متعدّدة[٣]، من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾[٤].

---

(١) إبراهيم/ ٥٢.

(٢) الأنعام/ ١٥٤.

(٣) للاطلاع أكثر على آثار القرآن الكريم العلاجيّة، انظر: مهدي احمدي، دار الشفاء قرآن (دار الشفاء في القرآن)، ص٥٥ـ٢٥٤.

(٤) يونس/ ٥٧.

٢ـ٢ـ ٢ـ٢. تهيئة الأرضيّة للتقوى:

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ تهيئة الأرضيّة للتقوى من جملة أهدافه، قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

٢ـ٢ـ٣. الأهداف الغائيّة:

٢ـ٢ـ٣ـ١. الوعظ

نظراً إلى أثر القرآن الكريم المتميز في الوعظ الذي يتحقق بالأساليب الصحيحة والسليمة، سمَّى اللَّه تعالى كتابه موعظة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

٢ـ٢ـ٣ـ٢. الإنذار والتبشير:

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ الإنذار والتبشير هدفاً من أهدافه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

٢ـ٢ـ٤. الأهداف السلوكيّة:

إنَّ أهداف القرآن ليست منحصرة بالأمور الفكريّة والفطريّة والغائيّة، بل إنَّ اللَّه تعالى ببعث الأنبياء ﷺ، وإنزال الوحي ـ ومن جملة ذلك القرآن الكريم

---

(١) الزمر/ ٢٨.

(٢) يونس/ ٥٧.

(٣) آل عمران/ ١٣٨.

(٤) الكهف/ ١و٢.

- يهدي الإنسان في مجال العمل والسلوك، فضلاً عن طرحه للفكر الصحيح وسعيه لتعديل ميول الإنسان؛ بناء على ذلك يكون القرآن الكريم شاملاً للبُعد المتعلق بعمل الإنسان أيضًا.

٢-٢-٤-١. إقرار العدالة الاجتماعيّة:

يعدّ القرآن الكريم تطبيق العدالة في المجتمع الإنساني من أهداف الكتب السماويّة، فضلاً عن كونه هدفًا من أهدافه أيضًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾[1].

إنَّ العدالة التي يتطلع لها القرآن الكريم لا تتحقق إلا في ظل وجود القوانين الإلهيّة وعلى يد أعدل الناس؛ بناء على ذلك، ينبغي للقرآن الكريم أن يبيِّن القوانين اللازمة ويحدد من يقوم بتطبيقها.

٢-٢-٤-٢. الحكم على أساس القوانين الإلهيّة:

لقد اعتبر القرآن في الآية ٢١٣ من سورة البقرة، أنَّ الحكم بالحق بين الناس من جملة أهداف الكتب السماويّة، وقد ذكر اللَّه تعالى أنَّ الحكومة بين الناس ورفع اختلافاتهم هي الغاية من نزول القرآن الكريم على النبيّ محمد ﷺ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[2].

بناءً على ذلك يعدُّ القرآن الكريم أنَّ بيان القوانين اللازمة للحكومة بين الناس من جملة أهدافه، فضلاً عما يتناوله من تعريف بعواقب الظلم والتجاوز على حقوق الآخرين.

---

(١) الحديد/ ٢٥.

(٢) النساء/ ١٠٥؛ كما أشير إلى هذه المسألة أيضًا في الآية ٤٢ من سورة المائدة.

٢ـ٢ـ٤ـ ٣. الإيصال إلى سبل السلام والصراط المستقيم:

إنَّ القرآن الكريم يصف نفسه بأنَّه نور إلهيّ الهدف منه إيصال الناس إلى سبل السلام، ومن ثمَّ يهديهم إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

يُستفاد من هذه الآية أنَّ القرآن الكريم قد بيَّن كل ما يبعث على سعادة الناس وشقائهم، وفي ضوء العمل بذلك يُخرجهم اللَّه من الظلمات إلى النور[2].

نستنتج مما تقدَّم أنَّ هناك جملة من الأمور تعتبر جزءًا من حدود أهداف القرآن الكريم، وهي:

١ـ التذكير بالأمور المنسيّة.

٢ـ إزالة الغفلة.

٣ـ بيان الدليل الواضح على الأفكار الصحيحة والضروريّة.

٤ـ تمييز الحق عن الباطل.

٥ـ رفع الاختلاف.

٦ـ إيجاد أرضيّة للتفكُّر.

٧ـ التعريف بوحدانية اللَّه.

٨ـ التذكير بالمعاد.

---

(١) المائد/ ١٥ و١٦.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص١٣.

٩ ـ علاج الأمراض الروحيّة والأخلاقيّة.

١٠ ـ التزكية.

١١ ـ تحرير الناس من القيود والأغلال المرفوضة.

١٢ ـ الموعظة.

١٣ ـ الإنذار والتبشير.

١٤ ـ إقرار القسط والعدالة الاجتماعيّة.

١٥ ـ الإيصال إلى سبل السلام والصراط المستقيم.

إنَّ هذه الأمور من الأهداف المباشرة والذاتيّة المتعلقة بمقام الهداية القرآنيّة للناس العاديين، فإنَّ القرآن الكريم ينبغي أن يمتلك في ظاهره الأحكام والمعارف اللازمة من أجل تحقيق هذه الأهداف على النحو الذي يمكن بوساطته استخراجها من ظاهر القرآن، وما دام هذه الأهداف ليست مقتصرة على الأمور الفرديّة والأخروية وشاملة لجميع أبعاد وجود الحياة الإنسانية، فلابد أن يمتلك القرآن الكريم المسائل المتعلقة بارتباط الإنسان بنفسه وبخالقه وبالإنسان الآخر والموجودات التي تحيط به، وكذلك المسائل المتعلقة بالأمور الفرديّة والاجتماعيّة والدنيويّة والأخرويّة.

تبعًا لما مرَّ تكون الأحكام والمعارف التي يمكن أن يستنتجها المفسرون من القرآن الكريم واسعة، فالقرآن الكريم فضلاً عن الأحكام والمعارف الأخرويّة أشار إلى معارف أخرى أيضًا، تشمل كليات الأحكام والمعارف والقوانين في أقل تقدير، وأنَّ الكتب التي تمَّ تدوينها في هذا المجال شاهد على هذا المدّعى.

إنَّ بعض علماء الإسلام يعتقدون بأنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول لجميع العلوم الإنسانيّة؛ أي العلوم التي ترتبط بالإنسان بنحو من الأنحاء، وبعبارة أخرى ترتبط بسعادة الناس، ويمكن البحث عن أصول وجذور هذا النوع من العلوم في القرآن، ثمّ إنّ القرآن الكريم يشير إلى بعض المعارف الخارجة عن دائرة العلوم الإنسانية باعتبارها آيات إلهيّة، من قبيل علم الأجنة، وعلم النجوم، وعلم الأرض، وعلم النبات[1].

إنَّ للقرآن الكريم من جهة المعنى مراتب مختلفة في طول بعضها عن بعض، ولغرض التوصل إلى رأي القرآن الكريم حول المسائل المختلفة، ينبغي التوجه إلى طرق مختلفة للفهم والأخذ بنظر الاعتبار أساليب متعدّدة لبيان القرآن، فإنَّ القرآن الكريم أحيانًا يُبيِّن أمرًا على نحو صريح، وأحيانًا بالإشارة والكناية، وفي بعض الأمور يمكننا التوصل إلى رأي القرآن عن طريق اللازم والملزوم، وأحيانًا نستطيع أن نفهم شروط صدق أحد الآراء من الأصول العامة، بل يمكن أن نتوصل إلى بعض الآراء حتى من التشجيع والترغيب ونظائرهما، فمن استخدام هذه الأساليب المختلفة يمكننا أن نتوصل إلى رأي القرآن في المسائل المختلفة.

وبالطبع يجب أن لا نتوقع بأنَّه قد تمَّ إثبات نظرية أو مذهب في القرآن المجيد بالمفهوم الاصطلاحي لذلك أو نفيه ، وفي مثل هذه الحالة يمكن تأمين جامعيّة القرآن للمسائل المختلفة، إذ أنَّ الباحث القرآني العارف بعلم أو نظرية أو مذهب معيَّن يتمكن من جمع كل قضيّة من قضاياه، ومن الممكن أن توجد هذه القضايا في ذلك العلم أو النظريّة أو المذهب، أو يُعثر على مسألة تتعلّق بمقدماتها في القرآن، أو أنَّ القرآن قد اتخذ منها موقفًا معيّنًا إثباتًا أو نفيًا، وبعد أن يقوم هذا الباحث بجمع كل قضية من هذه القضايا يقوم بتنظيمها ومنهجتها، ثمَّ

(١) انظر: جوادي آملي، مجلة كيهان انديشه، العدد ٣٩، ص١٩؛ مكارم الشيرازيّ، مجلة معرفت، العدد ٥، ص٦.

يطرح رأيًا جديدًا بعنوانه رأي القرآن أو بعنوانه تأييد وتكميل وتنقيح للمذاهب الموجودة[١].

إنَّ القرآن الكريم أشار في آيات متعدّدة إلى معارف طبيعية دقيقة جدًا في إطار بيان النعم الإلهيّة على الناس، ومثالاً على ذلك أشرنا في البحث عن مصدريّة القرآن الكريم للدين إلى نموذجين، وهما:

١ـ كلام القرآن حول نشوء الأمواج في البحر كالجبال؛ بسبب اختلاف درجات حرارة القطبين والمحيطات[٢].

٢ـ إشارة القرآن الكريم لبداية الخِلْقة، وكيف أنَّ جميع الأجرام السماويّة والمجرات كانت في البداية مجتمعة في مركز واحد، ثمَّ تلاشت أجزاء العالم على أثر انفجار عظيم وتحوَّلت إلى أجرام، وهذه الأجزاء في حالة تراجع سريع، والسماوات في حالة توسُّع[٣].

٣ـ ذكر القيم وحدها أو مع ذكر الحقائق والأساليب:

كما أشرنا سابقًا، توجد علاقة وثيقة بين الموجودات والحقائق والواجبات والمحرمات والقيم الأخلاقيّة وغير القيم الأخلاقيّة، وأنَّ الحقائق هي المصدر للواجبات والمحرمات؛ وعلى هذا الأساس يمكن فهم الحقائق من القيم المذكورة، علاوة على ذلك أنَّ القرآن الكريم ذكر مجموعة من المسائل إلى جانب ذكره للقيم والحقائق والأساليب؛ لذلك من الخطأ ما يقوله بعضهم من

---

(١) انظر: محمود، رجبي، قرآن شناسى (معرفة القرآن)، ص١١.

(٢) ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الرحمن/ ٢٤.

(٣) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات/ ٤٧.

أنَّ القرآن الكريم لم يذكر إلا القيم الأخلاقيّة ولم يتعرَّض إلى الأساليب[١]، بل إنَّ القرآن يذكر- في بعض الأحيان الحقائق - في ضمن بيانه للأحكام أيضًا، فمثلاً ضمن ذكره لحرمة شرب الخمر أشار إلى نجاسته وكونه سببًا للمرض كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[٢].

وفيما يتعلق بالقصاص، قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣].

فالآية المباركة تذكر في البداية أنَّ القصاص حياة للناس على انها حقيقة من الحقائق، ثمَّ تأمر بتنفيذ القصاص.

لو فرضنا أنَّ القرآن الكريم لم يذكر سوى القيم الأخلاقيّة، فحينئذ يتعذر الوصول إلى معرفة القيم المرادة للقرآن بأي منهج من المناهج، وعلى سبيل المثال إنَّ تطبيق العدالة هي إحدى أصول القيم، ولكن قد ينتخب الناس شخصًا لا يعير أهمية للعدالة ضمن المنهج الديمقراطي الذي يحق لهم فيه انتخاب أي شخص إلى رئاسة الحكومة، والمثال الثاني على ذلك أنَّ الناس يحق لهم في ظل الديمقراطية أن يعيشوا كيف ما شاءوا، ويفترض على الحكومة أن تحقّق رغبات الأغلبية، مع أنَّ من واجب الحكومة أن تحافظ على الحدود الإلهيّة أيضًا.

ومن هنا علينا الإيمان بثلاثة أمور، وهي:

١ ـ الهدف.

---

(١) محمد مجتهد شبستري، هرمنوتيک كتاب وسنت (هرمونيطقيا الكتاب والسُنّة)، ص ٦٤ و٦٥؛ انظر: عبدالكريم سروش، «أوسع من الإيديولوجية»، ص٦.

(٢) المائدة/ ٩٠.

(٣) البقرة/ ١٧٩.

٢ـ طريق الوصول إلى الهدف.

٣ـ كيفية الوصول إلى الهدف.

إنَّ كيفية الوصول إلى الهدف يرتبط بالأساليب الآلية وهي خارجة عن بيان القرآن، أما بالنسبة لطريق الوصول إلى الهدف فإنَّ القرآن هو الذي يجب أن يُشخِّص ذلك، فمثلاً إنَّ تشكيل الحكومة على أساس القوانين الإلهيّة هو طريق الوصول إلى العدالة والتقوى الاجتماعيّة[١].

إنَّ القرآن الكريم في آية الولاية من خلال ذكر الخصوصيات المقتصرة على شخصية الإمام علي ﷺ، جعله خليفة لرسول اللّه ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢].

إنَّ شأن أولي الأمر ليس هو إلا التدخل في الحكومة، ومن مجيء كلمة الرسول في الآية المباركة إلى جانب أولي الأمر، واستخدام خطاب واحد وهو «أطيعوا» لكل منهما؛ نفهم بأنَّ المقصود من إطاعة الرسول ﷺ، الإطاعة في الأمور التي يُرجع فيها عادة إلى أولي الأمر؛ أي الأمور المتعلقة بالحكومة، ثمَّ استطردت الآية الكريمة لتقول: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، وهو شاهد أيضًا على صحة هذا الفهم.

بناء على ذلك، يصبح المراد من الإطاعة في هذه الآية الكريمة إطاعة رسول اللّه ﷺ في الأوامر والأحكام الحكومية، وعلى أساس ذلك يكون شأن الرسول ﷺ وأولي الأمر شأنًا واحدًا[٣].

---

(١) انظر: جوادي آملي، شريعت در آيينه معرفت (الشريعة في مرآة المعرفة)، ص٢٢٧ـ ٢٣٨؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، رابطه قرآن با علوم بشر (علاقة القرآن مع العلوم الإنسانية)، مجلة كيان انديشه، ص٢٠٣.

(٢) النساء/ ٥٩.

(٣) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، راه و رهنما شناسى، «معرفة الطريق والدليل المرشد»، ص٢٠٣.

وكذلك يتعيَّن خليفة رسول اللَّه ﷺ والحاكم الإسلاميّ في آية الولاية، من خلال ذكر الأوصاف المقتصرة على شخصية الإمام علي عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

٤ ـ ذكر الكليّات وحدها أو مع ذكر الجزئيات:

المسألة الأخرى حول الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم تكمن في السؤال الآتية: هل المسائل الموجودة في القرآن طرحت على مستوى الأصول والكليّات أم ذكرت الجزئيات والتفاصيل أيضًا؟ إنَّ إجمال ذكر المسائل وتفصيلها في ظاهر القرآن ليس سواء، بل يوجد فرق بينهما نظراً إلى أهمية موضوعهما ونوعه، فالقرآن الكريم ذكر بعض الأمور بالتفصيل، واكتفى بذكر الكليّات في بعض الأمور أما جزئياتها فقد وردت في الروايات.

١ ـ ٤. إنَّ هناك مواضيع ذُكرت في القرآن الكريم على مستوى الأصول والكليّات، مثل: المعارف المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأحكام، وكليات التعاليم الإسلاميّة، وكليات المعارف والمسائل المرتبطة بهداية البشر، وكليات القصص، وأصول جميع الأحكام الإلهيّة.

أما تفاصيل هذه المسائل وجزئياتها، فهي إما وردت في روايات رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، أو يمكن الحصول عليها عن طريق آخر، فعن أبي بصير قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الناس يقولون: فما له لم يسم عليًّا وأهل بيته عليهم السلام في كتاب اللَّه عز وجل؟ قال: فقال: قولوا لهم: إنَّ رسول اللَّه ﷺ نزلت عليه الصلاة ولم يسم اللَّه لهم ثلاثًا ولا أربعًا، حتى كان رسول اللَّه ﷺ هو الذي

(١) المائدة/ ٥٥.

فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهمًا درهم، حتى كان رسول اللَّه ﷺ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعًا حتى كان رسول اللَّه ﷺ هو الذي فسر ذلك لهم »[١].

٢ ـ ٤. إنَّ بعض الأمور وردت في القرآن بالتفصيل وأنَّ القرآن الكريم ذكر الجزئيات أيضًا، مثل بعض الفضائل الأخلاقيّة[٢]. وعلى سبيل المثال أنَّ القرآن الكريم يتحدث عن ضرورة كتابة الدَيْن بالتفصيل في آية الدَيْن[٣]، بل إنَّ القرآن في بعض الأمور ذكر حتى بعض المناهج الذي توصلت إليه الإنسانية في الوقت الحاضر نتيجة للتطور في مجالات العلوم المختلفة، من قبيل ذكره لمدَّة رضاع الولد، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ﴾[٤].

وكما مرَّ في الفصل السابق، أنَّ العلامة الطباطبائيّ قد فهم من قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[٥] مسألة دقيقة جدًا تتعلق بزراعة النباتات، فهو يعدُّ الدور الذي يلعبه وزن البذرة في نمو النبات شاهداً على إعجاز القرآن الكريم[٦].

---

(١) أصول الكافي، للكليني: ج١، ص٢٨٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص١٠٥.

(٣) انظر: البقرة/ ٢٨٢.

(٤) البقرة/ ٢٣٣.

(٥) الحجر/ ١٩.

(٦) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص١٤٨.

٥. النتيجة:

إنَّ ظاهر القرآن الكريم يتمتع بالسعة الموضوعيّة أيضًا، والقرآن قد تعرَّض إلى المسائل الدنيويّة والاجتماعيّة، فضلاً عن المسائل المعنويّة والأخروية، ووردت فيه المسائل المتعلقة بالقيم الأخلاقيّة والمنهجية، فالقرآن يكتفي أحيانًا بذكر الكليّات، وأحيانًا يذكر الجزئيات أيضًا، وقد تحدث القرآن الكريم عن الأحكام والأخلاق والعلوم والمسائل الأخروية والدنيويّة، وعلاقة الإنسان بنفسه وخالقه والناس الآخرين والموجودات التي تحيط به، وبناء على ما صرَّح به الأستاذ مطهري أنَّ الأمور المذكورة في ظاهر القرآن ليست مقتصرة على الأمور الفرديّة والأخروية، بل شاملة للحياة الاجتماعيّة والدنيويّة أيضًا[١].

(١) مرتضى مطهريّ، النبوة، ص١٧.

الفصل الثاني عشر
أسلوب كشف مسائل القرآن وتصنيفها

أسلوب كشف مسائل القرآن وتصنيفها

لقد ذكرنا في الفصل السابق أنَّ الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم تتمتع بنوع من السعة الموضوعيّة، وذلك تبعًا للأدلّة والشواهد، وأنَّ القرآن الكريم يتحدَّث عن الأحكام والأخلاق والعلوم والمسائل الأخروية والدنيويّة، وعلاقة الإنسان بنفسه وخالقه والناس الآخرين والموجودات التي تحيط به، وفي بعض المواضيع يذكر المناهج فضلاً عن القيم الأخلاقيّة، ويتعرَّض للجزئيات في بعض الأمور أيضًا، ومن هنا قد يتبادر السؤال الآتي: كيف يمكن استخراج هذه المسائل المطروحة في ظاهر القرآن الكريم وتصنيفها؟ هذا ما سنجيب عنه بهذا الفصل.

١ ـ الاستعانة بجميع المداليل في استخراج مسائل القرآن:

من الخطأ الاستعانة ببعض المداليل في استخراج أحكام القرآن الكريم ومعارفه، مع أننا نتمكّن من الوصول إلى جميع المسائل المذكورة في القرآن، بالاستعانة بالمداليل كافة، والجدير بالذكر أنَّ مدلول الكلام ينقسم من جهة على المنطوق[1] والمفهوم.

---

(١) المنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق (انظر: محمد حسين الأصفهانيّ، الفصول الغروية، ص١٤٦).

١ ـ ١ .الاستعانة بالدلالات المنطقيّة:

إنَّ المنطوق يشتمل على المدلول المطابقيّ، والتضمنيّ، والالتزاميّ، والاقتضاء، والتنبيه، والإشارة، ولا يكون كل من مدلول الاقتضاء ومدلول التنبيه ومدلول الإشارة صريحًا بمقدار المدلول المطابقيّ، والتضمنيّ، والالتزاميّ[١]، ومن الممكن أن يُغفل عن كل واحد من هذه المداليل.

ومدلول الاقتضاء هو المعنى الذي لم يذكر له المتكلم لفظًا، لكن يتوقف عليه صدق كلامه أو صحته عقلاً أو شرعًا، ويكون معناه مقصودًا للمتكلم بحسب العرف[٢]، ومثالًا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[٣].

إنَّ صحة تحرير العبد المؤمن شرعًا تقتضي أن يكون مملوكاً لمن قام بتحريره؛ بناء على ذلك يكون قيد «مملوكة» مرادًا للمتكلم، وإن لم يذكره[٤].

ومدلول التنبيه: هو المعنى اللازم للكلام بحيث يدل السياق بأنَّ المتكلم أراد ذلك اللازم أو يستبعد عدم إرادته له، ومثالاً على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾[٥].

يُستنتج من هذه الآية المباركة مقدار إرث الأب؛ لأنَّه يلزم من إشارة الآية وصول الباقي من المال ـ أي ثلثيه ـ إلى الأب[٦].

---

(١) انظر: يوسف البحرانّي، الحدائق، ج١، ص٥٥ و٥٦.

(٢) يوسف البحرانّي، الحدائق، ص٥٥؛ فيروزآباديّ، القاموس المحيط، ج٢، ص١٦٣؛ محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج١، ص١٣١ و ١٣٢.

(٣) النساء/ ٩٢.

(٤) علي أكبر بابايي، روششناسى تفسير قرآن (منهجية تفسير القرآن)، تحقيق محمود رجبي، ص٢٢٦.

(٥) النساء/ ١١.

(٦) حسين بن علي أبو الفتوح الرازيّ، روض الجنان وروح الجنان، ج٥، ص٢٧٤.

ومدلول الإشارة: هو المعنى اللازم للكلام، من قبيل اللزوم البيِّن بالمعنى الأعم، أو اللزوم غير البيِّن[١].

ففي الآية الكريمة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

يُفهم من عبارة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنَّ اللَّه خالق العالمين؛ لأنَّه يلزم من كون اللَّه تعالى رب العالمين، كونه خالق العالمين أيضًا.

ويمكن - بل يجب - فهم الوجودات المرادة للقرآن الكريم من خلال القيم المذكورة في آياته، وكذلك الوصول إلى القيم المرادة للقرآن من خلال الوجودات؛ لأنَّ هناك رابطة وثيقة بين القيم والواجبات والمحرمات وبين الوجودات، ولا يمكن التفكيك بينها، فمثلاً فيما يتعلق بعلم الاقتصاد بالرغم من أنَّ الآيات لم تذكر هذا العلم على نحوٍ صريح، إلا أنَّه يمكن تعرُّف مسائله إلى حد ما، من خلال القيم المذكورة في القرآن الكريم.

١-٢. الاستعانة بالدلالات المفهومية:

المفهوم هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق[٣]، والمفهوم ينقسم على المفهوم الموافق، والمفهوم المخالف، والمراد بالأول هو ما إذا توافق المفهوم والمنطوق في الإيجاب أو السلب، ثم إنَّ المفهوم الموافق يكون على نحو الأولويّة تارة وعلى نحو المساواة أخرى، من قبيل فهم أولويّة حرمة شتم الوالدين وضربهما من قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[٤].

---

(١) انظر: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج١، ص١٣٤.

(٢) الفاتحة/ ٢.

(٣) محمد كاظم الخراسانّي، الكفاية، ص١٩٤؛ جعفر السبحانّي، تهذيب الأصول (تقريرات أبحاث آية الله العظمى الإمام الخمينيّ)، ج١، ص٥١٢.

(٤) الاسراء/ ٢٣.

لأنَّه إذا كان قول (أُفٍّ) للوالدين حراماً، فمن باب أولى تكون أهانتهما وأذيتهما حرامًا، والمثال الآخر أنَّ العلامة ﷺ قد فهم من قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[١] أنَّ وزن بذرة النبات تمارس فعلًا في نموها[٢].

ثمّ إنّ المراد من المفهوم المخالف هو المعنى المستفاد من الجملة فيما إذا تخالف المفهوم والمنطوق في الإيجاب والسلب[٣]. وأنَّ من أهم المفاهيم المخالفة هي: مفهوم الوصف، ومفهوم الشرط، ومفهوم الغاية، ومفهوم الحصر، ومفهوم العدد، ومفهوم اللقب، وكذلك من بينها مفهوم الشرط ومفهوم اللقب ومفهوم الغاية ومفهوم الحصر حجة.

والجملة الشرطية التي يحكم فيها بوجود نسبة بين قضية وأخرى، أو عدم وجودها[٤]، لها مفهوم يدل على انتفاء سنخ حكم الجزاء عند انتفاء الشرط[٥]، ومثالاً على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٦].

فإنَّ منطوق الآية المباركة هو أنَّ الناس إذا أطاعوا رسول اللّه ﷺ يهتدوا، ومفهوم الآية هو أنَّ الناس إذا لم يطيعوا الرسول ﷺ يضلوا؛ بناء على ذلك يكون الطريق الوحيد لهداية الناس هو اتباع الرسول ﷺ.

---

(١) الحجر/ ١٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص١٤٨.

(٣) انظر: محمد كاظم الخراسانّي، الكفاية، ص١٩٤.

(٤) انظر: محمد رضا المظفر، المنطق، ص١٥٤١٥٦.

(٥) جعفر بن الحسن الحلّي، المختصر النافع، ص٦٨؛ حسن بن زين الدين، المعالم، ص٧٧؛ نهاية الأفكار، تقرير محمد تقي البروجرديّ، ج٢و٢، ص٤٧٨- ٤٨٢؛ محمد إسحاق الفياض، محاضرات في علم الأصول، ج٥، ص٧١ - ٨٣؛ حسين علي منتظريّ، تقريرات درس البروجرديّ ﷺ، ص٣٠٠؛ محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج١، ص١١٥؛ محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، ج٢، ص١٣١.

(٦) النور/ ٥٤.

ثمّ إنّ الغاية لها مفهوم أيضًا يدل على ارتفاع الحكم فيما بعد الغاية[١]. ومثالًا على ذلك قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٢].

يُستفاد من هذه الآية الكريمة أنَّ أهل الكتاب إذا أعطوا الجزية وهم صاغرون للمجتمع الإسلاميّ، يمكنهم أن يعيشوا بسلام.

والمثال على مفهوم الحصر في القرآن الكريم، آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣].

إنَّ منطوق الآية هو أنَّ الولي الوحيد للناس هو اللَّه ورسوله والمؤمنون بصفاتهم التي ذكرتها الآية، وإنَّ مفهوم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ يعني عدم وجود وليٍّ للمؤمنين سوى اللَّه والرسول والمؤمنين بصفاتهم المذكورة.

٢ـ كشف رأي القرآن حول المسائل المختلفة بمنهج التفسير الموضوعي:

إنَّ استخراج رأي القرآن الكريم حول المسائل المختلفة هو المنهج الصحيح للتفسير الموضوعيّ، وفي هذه المنهج تُبذل الجهود لفهم رأي القرآن في المسألة عن طريق جمع الآيات ذات العلاقة وتصنيفها تصنيفاً منهجيّاً،[٤] وقد تكون هذه

---

(١) حسن بن زين الدين، معالم الدين، ص٨١؛ مرتضى الأنصاريّ، مطارح الأنظار، ص١٨٦.

(٢) التوبة/ ٢٩.

(٣) المائدة/ ٥٥.

(٤) فيما يتعلق بالتفسير الموضوعيّ، انظر: هدايت جليلي، روش شناسى تفاسير موضوعى (أسلوب التفاسير الموضوعيّة)، الفصل ٢ و٣؛ بهروز يدالله پور، مبانى و سير تاريخى تفسير موضوعى قرآن (مباني التفسير الموضوعيّ للقرآن وسيره التاريخي).

المسائل فكرية أو ذات قيمة أخلاقيّة من خارج القرآن الكريم ومرتبطة بالحياة والنتائج الإنسانيّة، أو ناجمة عن الرجوع إلى القرآن رجوعاً مباشراً.

إنَّ التفسير الموضوعي هو عملية كشف دقيقة لرأي القرآن الكريم حول المسائل المختلفة، ويتكون من ركنين أساسيين، وهما: ١ـ الركن الداخلي، ٢ـ الركن الخارجي، الركن الداخلي للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم نفسه والروايات التفسيرية؛ لأنَّ الهدف الأساسي منه هو كشف رأي القرآن الكريم، والركن الخارجي هي نتائج العلم البشري، وفي الحقيقة أنَّ التجربة البشرية ترفد الباحث القرآني بعناصر قيِّمة؛ لكي يستطيع أن يحصل على أجوبته من القرآن الكريم[١]، وكلَّما كانت هذه التجارب أكثر، تكون المسائل التي يستوعبها من القرآن الكريم أكثر، وكلَّما كان للباحث القرآني الذي يستعين بالعلم الحديث لفهم هذا الكتاب الإلهيّ نصيب أكبر من النظريّات المطروحة حول المسألة، فإنَّه سينال عطاءً أكبر من الوحي الإلهيّ[٢].

توجد أمثلة كثيرة في الأحاديث الواردة عن رسول اللَّه ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام تدل على ضرورة السعي من أجل كشف رأي القرآن الكريم حول المسائل، وقد ذكرت هذه الروايات نماذج من التفسير الموضوعي فُهم من خلالها رأي القرآن حول كل مسألة بالاستناد إلى آيات متعدّدة، وما دام أهل البيت عليهم السلام معصومين لذلك كان كلامهم ومنهجهم حجة أيضًا[٣].

---

(١) انظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة: ص٣٣.

(٢) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة: ص٢٩.

(٣) انظر: محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج١٦، ص٢٠٦؛ ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٩٢؛ محمد باقر المجلسيّ، البحار، ج١٦، ص٣٩٧؛ جلال الدين السيوطيّ، الدر المنثور، ج١، ص٢٨٨؛ أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٤٤٢؛ هاشم البحرانيّ، البرهان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٢ و٤٣.

إنَّ التفسير الموضوعي له مبانٍ ومبادئ تصوّرية وتصديقيّة مذكورة في مسائل القرآن الأساسيّة، وهي مؤثرة في أصل الوجود «مثل إمكانية تفسير القرآن» وطبيعة هذا الوجود «مثل عدم إمكانية تحريف القرآن الكريم».

إنَّ المباني لكل بحث تتمثل بالمسائل الأساسية جدًا التي تبتني عليها الأبحاث الأساسية الأخرى، وفضلاً عن وجود المباني المشتركة توجد مبانٍ خاصة بالتفسير الموضوعي، من أهمها:

١ ـ الانسجام الداخلي للقرآن، إذ أنَّ إعجاز القرآن[١] وتحديه من خلال نفيه لوجود الاختلاف فيه يعدُّ شاهدًا على ذلك[٢].

٢ ـ الاستقلال المفهومي للمقاطع القرآنيّة[٣]؛ ذلك لأنَّه في التفسير الموضوعي لابد من دراسة مقاطع من الآية دراسة مستقلة أحيانًا[٤]، مع الأخذ بنظر الاعتبار مجموع الآية أيضًا.

٣ ـ دلالة الآيات بعضها على بعضها الآخر؛ لأنَّه في التفسير الموضوعي تُجمع جميع الآيات المتعلق بكل موضوع، ويتم فهمها مع بعضها، ومن مجموع ذلك يُستخرج رأي القرآن الكريم.

٤ ـ إنَّ جامعيّة القرآن تظهر بطرح النظريّة واعتبارها، بحيث يمكن من طرحها

---

(١) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٦٣ـ ٦٥ و ج٥، ص١٩ـ ٢١.

(٢) انظر: النساء/ ٨٢.

(٣) انظر محمد اسعدي، سايه ها و لاييه هاى معنايى: درآمدى بر نظريه معناشناسى مستقل فرازهاى قرآن در پرتوى روايات تفسيرى (ظواهر وبواطن المعنى: مدخل على نظرية معرفة المعنى المستقل لمقاطع القرآن في ضوء الروايات التفسيرية)؛ محمد علي ايازي، فقهپژوهشى قرآنى (البحث الفقهي القرآني)؛ محمد باقريان، استقلال معنايى فرازهاى قرآنى (الإستقلال المفهومي للمقاطع المفهومية)، مجلة معرفت، العدد ١٠٧.

(٤) انظر: ﴿اللَّه نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ...﴾ الزمر/ ٢٣.

استخراج قضايا متعدّدة ومتماثلة حول المسائل المتنوعة، لغرض تبيين الظواهر المختلفة.

إنَّ الكشف عن رأي القرآن الكريم حول المسائل المتنوعة له أسلوبه وقواعده[١] التي يجب أن تُراعى بدقة؛ من أجل التمكن من الوصول إلى رأي القرآن الكريم حول كل مسألة على نحوٍ دقيق، ومن اللازم أن تُعرض كل مسألة بعد المطالعة الكافية بصورة أسئلة تفصيليّة وواضحة، وبعد عرض الأسئلة على القرآن الكريم يلزم أن تُجمع الآيات المتعلقة كافة بتلك المسألة نفيًا وإثباتًا، وإن كان ذلك على نحو الاحتمال[٢]؛ وذلك لغرض الحصول على الإجابة الصحيحة، وللقيام بهذا العمل يقوم بعضهم في بداية الأمر بجمع الآيات كافة التي تضم اللفظ الأصليّ للمسألة أو اشتقاقاتها أو الألفاظ المماثلة لها في المعنى، ومن الممكن أن تتحقق هذه المرحلة بالبحث حول الآيات في المعاجم والقواميس الخاصة بألفاظ القرآن الكريم، وفضلاً عن هذه الآيات لابد من جمع الآيات التي يرتبط معناها مع معنى المسألة مورد البحث أيضًا، فلا ينبغي الاكتفاء بالظواهر والألفاظ المماثلة؛ لأنَّ الآيات أحيانًا في ذات الوقت الذي يكون لها ارتباط مفهوميّ قد لا يوجد لها لفظ مشترك.

ينبغي في عملية جمع الآيات أن تُجمع الآيات كافة الدالة على بعضها في كل مورد من الموارد، مثل: المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمفهوم والمصداق، والمجمل والمفصل، والمبهم والمبين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيَّد، والحقيقة والمجاز.

---

(١) فيما يتعلق بمراحل التفسير الموضوعيّ، انظر: علي فتحي (مراحل التفسير الموضوعيّ)، مجلة معرفت، العدد ١٠٧.

(٢) عبدالله جوادي آملي، زن در آينه جلال و جمال (المرأة في مرآة الجلال والجمال)، ص٥١؛ خليل محمد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، ص٣٥.

ثمّ إنّ الآيات التي يتم جمعها يجب أن تُصنَّف على أساس جزئيّات المسائل التابعة للمسألة الأصليّة، وتوضع الآيات المتعلقة بكل مسألة جزئيّة في محلها، كما يجب ترتيب الآيات المتفرعة عن كل مسألة جزئيّة أيضًا، وأنّ ملاك ترتيب الآيات يكون على أساس أمرين، وهما:

١ ـ الأولوية في دلالة المسألة، فمثلاً الآيات ذات النص الصريح يجب أن تُقدَّم على الآيات الظاهرة.

٢ ـ التقدُّم على أساس زمان النزول مع الإمكان، فإنَّ هذا الأمر يساعد على نيل أجواء واضحة من وجهة نظر القرآن، فضلاً عن تعيين الآيات الناسخة والمنسوخة[١].

توجد عدَّة أمور ضرورية لفهم كل آية وتفسيرها من الآيات التي جُمعت في محلّها الأصليّ على نحوٍ دقيق إلى جانب الآيات والعبارات الموجودة في القرآن الكريم، مع الأخذ بنظر الاعتبار سياقها أيضًا، وهذه الأمور هي:

١ ـ الأخذ بنظر الاعتبار جميع مباني التفسير الترتيبي، فمثلاً الشخص الذي لا يؤمن بسلامة القرآن الكريم من التحريف، لا يمكنه فهم سياق الآيات باعتباره أحد قرائن فهم القرآن الكريم.

٢ ـ رعاية جميع قواعد التفسير الترتيبي، وهذه القواعد هي[٢]:

أولاً: تعرُّف القراءة الواقعية للآيات.

---

(١) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعيّ، ص٣٧؛ زياد خليل محمد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، ص٤٠ـ ٤١.

(٢) انظر: علي أكبر بابايي وآخرون، روششناسى تفسير قرآن (منهجية تفسير القرآن)، تحقيق محمود رجبي، الفصل ٢.

ثانيًا: العثور على معاني الألفاظ في زمان نزول الآيات.

ثالثًا: فهم جميع القرائن.

إنَّ قرائن فهم القرآن الكريم شبيهة بقرائن أي كلام آخر، تكون لفظية أو غير لفظية، ومنها قرائن متصلة وأخرى منفصلة.

القرائن اللفظيّة لفهم القرآن الكريم: إنَّ السياق هو القرينة اللفظيّة المتصلة الوحيدة للقرآن الكريم، والآيات الأخرى وروايات رسول اللَّه ﷺ وأهل البيت عليهم السلام قرائن لفظية منفصلة.

القرائن غير اللفظيّة لفهم القرآن الكريم: وهي أجواء النزول التي تشمل سبب النزول، وثقافة زمان النزول، وخصائص المتكلم، وخصائص المخاطب، وخصائص موضوع الكلام، والمعارف البديهية والقطعية العقليّة، والمعارف القطعية الدينيّة «الإسلام».

إنَّ السياق هو أهم هذه القرائن وفي مقدمتها؛ لأنَّ التمسك به في التفسير يمنع محاولة تقطيع الآيات.

بعد تفسير كل آية من الآيات التي تمَّ جمعها في محلها الأصليّ، وتحديد المراد الإلهيّ منها، سوف يتضح بالدقة أي الآيات متعلقة بمحل البحث، ويتحقق من خلال الآيات التي جُمعت مع بعضها الحصول على رأي القرآن الكريم حول هذه المسألة.

ينبغي أن نلتفت إلى أنَّه ما يُطرح بعنوان رأي القرآن الكريم، يجب أن لا يتعارض مع البديهيات ونتائج العقل اليقينية وسائر المسلمات الدينيّة والقرآنيّة.

٣ـ تصنيف مسائل القرآن الكريم:

لقد قلنا إنَّ من اللازم استقراء جميع آيات القرآن وفهمها وتصنيفها من خلال منهج التفسير الموضوعيّ، والاستعانة بالمداليل المختلفة؛ من أجل الكشف الدقيق عن المسائل المختلفة كافة التي ذكرها القرآن الكريم، وما دام هذا المنهج مثمراً جدًا فهو يحتاج إلى جهود واسعة، وعمل جماعيّ وتخصصي في فروع العلوم المختلفة.

إنَّ هذا الأمر الضروريّ والمهم لم يُنجز لحد الآن وللأسف؛ ومن هنا لا يمكن أن نحصي عدد المسائل المذكورة في القرآن الكريم على نحوٍ دقيق، بالرغم من أنَّ أحد علماء القرآن يعتقد بأنَّ مسائل القرآن الكريم المختلفة بلغت تسع مئة مسألة، إلا أنَّه يعترف في الصفحة الآتية من كتابه بأنَّ الإحصائيّة الدقيقة للمسائل المطروحة في القرآن الكريم تحتاج إلى عمل جماعيّ، فضلاً عن الإحاطة الكاملة بمباني فهم القرآن الكريم ومنهجه[١].

لا شك أنَّ القرآن الكريم يحتوي على مسائل أوفر بكثير مما هو مُعيَّن، وكل يوم يمر تُضاف مسائل أخرى للمسائل المستخرجة من القرآن الكريم، والشاهد على ذلك البحوث المتنوعة والمتزايدة حول المسائل القرآنيّة، بل حتى مقارنة التفاسير الترتيبية الحالية مع الماضية هي شاهد على أنَّ القرآن شبيه بالمحيط اللامتناهي، والمليء بالكنوز التي لا تنفد جواهرها، كما قال الإمام علي عليه السلام: «إنَّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تُفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه»[٢].

---

(١) انظر: محمد هادي معرفة، معارف قرآن و شيوه هاى تفسيرى (معارف القرآن والمناهج التفسيرية)، مجلة انديشه حوزه، العدد ٧، ص٧ و ٨؛ جعفر السبحانيّ، منشور جاويد (الميثاق الخالد)، ج١، ص٢٣ـ ٢٥.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، الخطبة/ ١٨.

إنَّ العلماء والمفسرين الذين بذلوا جهودهم لاستخراج جميع معارف القرآن الكريم، تعرَّضوا إلى التفسير الموضوعيّ الشامل للقرآن الكريم، إلا أنَّ بعض التفاسير الموضوعيّة لم يذكر ملاكًا لتصنيف المسائل القرآنيّة وترتيبها، أو لم يُراعَ ذلك، ويمكن اعتبار التفاسير الموضوعيّة الآتية نماذج لذلك:

١ـ مفاهيم القرآن، تدوين آية اللَّه جعفر السبحاني: بدأ تأليفه باللغة العربية منذ عام ١٣٩٣ق، وقد جاءت المسائل القرآنيّة فيه بحسب الترتيب الآتي: التوحيد، الفطرة، عالم الذر، الحكومة الإسلاميّة وخصائصها، النبوة، الخاتميّة، عالميّة الرسالة الإسلاميّة، أجر الرسالة، المعجزة، الشفاعة، عصمة الأنبياء، صفات اللَّه الجماليّة والجلاليّة، سيرة رسول اللَّه ﷺ، المعاد، البرزخ، تجسم الأعمال، أمثلة قرآنيّة، العدل الإلهيّ.

٢ـ منشور جاويد «ميثاق الخلود»، بقلم آية اللَّه جعفر السبحاني: وهو أول تفسير باللغة الفارسية صدر عام ١٩٨١م، ومواضيعه هي: التوحيد، بر الوالدين، التوحيد وأبعاده، الجهاد والهجرة، النفاق، معرفة الإنسان، عصمة الأنبياء والأئمة ﷺ، سيرة رسول اللَّه ﷺ، التوبة، الشفاعة، الإحباط، التكفير، المعاد وأبعاده، تجسم الأعمال، ضرورة بعثة النبيّ، قصص الأنبياء في القرآن.

٣ـ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: بقلم آية اللَّه عبداللَّه جوادي آملي: ومواضيعه العامة عبارة عن: القرآن في القرآن، التوحيد، الوحي والنبوة في القرآن، المعاد، سيرة الأنبياء ﷺ، سيرة رسول اللَّه ﷺ، مبادئ الأخلاق، مراحل الأخلاق، الفطرة، علم المعرفة، صورة الإنسان وسيرته، الحياة الحقيقيّة للإنسان، الهداية، وغير ذلك.

٤ـ رسالة القرآن، تأليف آية اللَّه ناصر مكارم الشيرازي وآخرين: بدأ تدوينه منذ عام ١٤٠٩ق، والمسائل التي ذُكرت فيه بحسب ترتيب الأجزاء، هي: إمكانية

المعرفة وأدواتها وموانعها، البحث عن اللَّه وبواعثه، طرق معرفة اللَّه وبراهين إثبات واجب الوجود، صفات اللَّه الجماليّة والجلاليّة، المعاد وأدلّة إمكانه، علامات البرزخ والقيامة، النبوة العامّة وعصمة الأنبياء ﷺ، النبوة الخاصة، الإمامة والولاية، الحكومة في الإسلام، الأخلاق.

٥ ـ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، تأليف سميع عاطف الزين: ويشتمل على المواضيع الآتية: تفسير مفردات ألفاظ القرآن، قصص الأنبياء ﷺ، الأعراب، خاتم النبيّين محمد ﷺ، الأمثال في القرآن، علم النفس في الكتاب والسُنّة، علم أصول الفقه الميسر، العبادات، العقود والمطعومات، المعاملات والبينات والعقوبات، وغير ذلك من المواضيع.

وفي مقابل الطائفة الأولى، صنَّف بعض المفسرين والباحثين في مواضيع القرآن ومسائله على أساس ملاكات محددة، وسنقوم بدراسة لأهم هذه التصانيف:

٣ـ١. محورية العقائد والأخلاق والأحكام:

إنَّ من أكثر أساليب تصنيف مسائل القرآن الكريم رواجًا، تقسيمها على ثلاثة مجاميع وهي العقائد، والأخلاق، والأحكام، ولكل من هذه المجاميع الثلاث تفاصيل وفروع، والشهيد مطهري من المؤيدين لهذا التصنيف، حيث يعدُّ الإسلام دينًا شاملاً وواقعيًّا اهتم بالجوانب المتعلقة كافة باحتياجات الإنسان، سواء كان منها الدنيويّة والأخرويّة، أم الجسميّة والروحيّة، أم العقليّة والفكريّة، أم الشعوريّة والعاطفيّة، أم الفرديّة والاجتماعيّة.

إنَّ التعاليم الإسلاميّة تنقسم على ثلاثة أقسام يتضح من خلالها جامعيّة القرآن وسعته، و هذه الأقسام الثلاث هي:

١ ـ **أصول العقائد**: وهي الأمور التي يُكلَّف كل فرد بالسعي من أجل تحقيقها وفهمها جيدًا.

٢ ـ **الأخلاقيات**: وهي الخصال والمحاسن التي ينبغي لكل مسلم أن يتحلَّى بها ويجتنب ما ينافيها.

٣ ـ **الأحكام**: وهي الأوامر المتعلقة بعمل الإنسان العينيّ والخارجيّ، سواء كانت من النشاطات المعيشيّة والمعاديّة، أم الدنيويّة والأخرويّة، أم الفرديّة والاجتماعيّة[١].

إنَّ الأستاذ مطهري كان يعتقد أنَّ المسائل المطروحة في القرآن كثيرة جدًا بحيث لا يمكن إحصاؤها على نحوٍ تفصيلي، ولكن من نظرةٍ إجماليةٍ يمكن أن تلوح بالأفق المسائل الآتية:

١ ـ اللَّه تعالى، ذاته وصفاته ووحدانيّته وما ينبغي أن ننزهه عنه، وما ينبغي أن نصفه به «الصفات السلبيّة والثبوتيّة».

٢ ـ المعاد، البعث وحشر الأموات، والمراحل بين الموت والقيامة «البرزخ».

٣- الملائكة، وسائط فيض اللَّه والقوى العالمة به وبخلقه والمطيعين لأوامره.

٤ ـ الأنبياء أو الناس الذين يتلقون الوحي الإلهيّ، ويبلغونه إلى الناس الآخرين.

٥ ـ الترغيب والتشجيع على الإيمان باللَّه والمعاد والملائكة والأنبياء والكتب السماويّة.

---

(١) مرتضى مطهريّ، مقدمهاى بر جهانبينى اسلامى (مقدمة على الرؤية الكونية الإسلاميّة)، مجموعة الآثار، ج٢، ص٦٣.

٦ـ خلق السموات والأرض، والجبال، والبحار، والنباتات، والحيوانات، والسحاب، والهواء، والمطر، والبَرَد، والشُهب، وغير ذلك.

٧ـ الدعوة لعبادة اللَّه الواحد والإخلاص في العبادة، وعدم جعل شخص أو شيء آخر شريكًا للَّه، والمنع الشديد عن عبادة غير اللَّه سواء كان إنسانًا أم ملكًا أم شمسًا أم نجمًا أم صنمًا.

٨ـ التذكير بنعم اللَّه في هذا العالم.

٩ـ النعم الخالدة للصالحين والمحسنين في ذلك العالم، والعذاب الأليم للمسيئين والخالد أحيانًا.

١٠ـ الاحتجاجات والاستدلالات حول اللَّه والقيامة والأنبياء وأمثال ذلك، وبيان جوانب من الأخبار الغيبيّة في ضمن هذه الاحتجاجات.

١١ـ التاريخ والقصص باعتبارها تجارب إنسانيّة يتضح من خلالها صدق دعوة الأنبياء ﷺ، وعاقبة الحسنى للناس الذين عملوا تبعًا لسنَّة الأنبياء ﷺ، وعاقبة السوء للذين كذَّبوا بذلك.

١٢ـ التقوى والورع وتزكية النفس.

١٣ـ الالتفات إلى النفس الأمّارة وخطر الوساوس النفسانيّة والشيطانيّة.

١٤ـ الأخلاق الفرديّة الحسنة، من قبيل: الشجاعة، والاستقامة، والصبر، والعدالة، والإحسان، والمحبة، وذكر اللَّه، ومحبَّة اللَّه، وشكر اللَّه، والخوف من اللَّه، والتوكل على اللَّه، والرضا برضا اللَّه والتسليم لأوامره، والتعقُّل والتفكُّر، والعلم والمعرفة، ونورانيّة القلب بالتقوى، وصدق الأمانة.

١٥ ـ الأخلاق الاجتماعيّة، من قبيل: الاتحاد، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتعاون على البر والتقوى، وترك العداء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل اللَّه بالأموال والأنفس.

١٦ ـ الأحكام، من قبيل: الصلاة، والصوم، والزكاة، والخمس، والحج، والجهاد، والنذر، واليمين، والبيع، والرهن، والإجارة، والهبة، والنكاح، وحقوق الزوجين، وحقوق الوالدين والأبناء، والطلاق، واللعان، والظهار، والوصية، والإرث، والقصاص، والحدود، والدين، والقضاء، والشهادة، والحلف «القسم»، والثروة، والمالكية، والحكومة، والشورى، وحق الفقراء، وحق المجتمع، وغير ذلك.

١٧ ـ الأحداث والوقائع في عصر بعثة رسول اللَّه ﷺ خلال ثلاث وثلاثين عامًا.

١٨ - خصائص رسول اللَّه ﷺ وأحواله، وصفاته الحميدة، والعتاب الموجهة له.

١٩ ـ الوصف العام لثلاث طوائف توجد في جميع الأزمة، وهم: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون.

٢٠ ـ أوصاف المؤمنين والكافرين والمنافقين في عصر البعثة.

٢١ ـ المخلوقات الغيبيّة الأخرى غير الملائكة والجنِّ والشياطين.

٢٢ ـ تسبيح موجودات العالم وتحميدها لخالقها وصانعها وطبيعة معرفتها الباطنية له.

٢٣ ـ وصف القرآن نفسه «ما يقرب من خمسين وصفاً».

٢٤ـ العالم وسننه، وزوال الدنيا وعدم صلاحيتها أن تصبح مثالاً وكمالاً مطلوبًا للإنسان، وبيان أنَّ اللَّه والآخرة والحياة الخالدة جديرة بأنَّ تحقق كمال الإنسان المطلوب.

٢٥ـ معجزات الأنبياء عليهم السلام.

٢٦ـ الاعتراف بالكتب السماويّة السابقة، لاسيّما التوراة والإنجيل، وتصحيح أخطاء هذه الكتب وتحريفاتها.

إنَّ الشهيد مطهري بعد أن ذكر هذه الأمور، أشار إلى أنَّ هذا التصنيف كان إجمالاً عمَّا جاء في القرآن، بل لا يمكن الادعاء بأنَّه كامل من ناحية الإجمال أيضًا، ولو لم نأخذ بنظر الاعتبار سوى هذه المواضيع المتنوعة حول الإنسان واللَّه والعالم وتكاليف الإنسان، وقارناها مع أي كتاب بشري حول الإنسان، سوف نُذعن إلى عدم إمكانية تقدُّم أي كتاب على القرآن؛ لأنَّ القرآن جاء بمفاهيم ومعانٍ واسعة، وطرحها على النحوالذي جعله منبعًا لإلهام العلماء في الفروع المختلفة، بحيث فتح آفاقًا جديدة في أغلب هذه المفاهيم[1].

٣ـ١ـ١. نقد وتحليل:

إنَّ هذا التصنيف بالرغم من تاريخه الطويل إلا أنَّه لم يكن كاملاً، ولم يشتمل على جميع المعارف القرآنيّة، فإنَّ بعض المسائل من قبيل علم الوجود وعلم الإنسان وعلم الطبيعة وسيرة حياة الماضين التي اعتبرها الشهيد مطهري من المسائل القرآنيّة، لا يمكن إدراجها ضمن أيٍّ من العقائد والأخلاق والأحكام.

(١) انظر: مرتضى مطهريّ: آشنايى با قرآن (التعرُّف على القرآن)، ج٤، ص١٦١؛ مرتضى مطهريّ، الوحي والنبوة، ص٨٨.

٣ـ٢. محورية العقائد والأخلاق والأحكام والإنسان:

إنَّ العلامة الطباطبائيّ ﵀ قام بإكمال التصنيف السابق، فهو بعد أن أضاف المباحث المتعلقة بالإنسان إلى قسم العقائد والأخلاق والأحكام، ذكر تصنيفه على النحو الآتي:

١ـ المعارف المتعلقة بالسماء والصفات الإلهيّة، مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والوحدانية. ولابد من الالتفات إلى أنَّ القرآن الكريم يعدُّ الذات الإلهيّة المقدّسة غنيّة عن التعريف.

٢ـ المعارف المتعلقة بالأفعال الإلهيّة، مثل: الخلق، والأمر، والإرادة، والمشيئة، والهداية، والإضلال، والقضاء والقدر، والجبر، والتفويض، والرضا، والسخط، وأمثال ذلك.

٣ـ المعارف المتعلقة بالواسطة بين اللَّه والإنسان، مثل: الحجب، واللوح، والقلم، والعرش، والكرسي، والبيت المعمور، والسماوات، والأرض، والملائكة، والشياطين، والجن، وأمثال ذلك.

٤ـ المعارف المتعلقة بالإنسان قبل الحياة الدنيا.

٥ـ المعارف المتعلقة بالإنسان في الدنيا، مثل: تاريخ نشوء الإنسان، ومعرفة النفس، وتعرُّف الأصول الاجتماعيّة، ومسألة النبوة، والرسالة، والوحي، والإلهام، والكتاب، والدين، والشريعة، ومقامات الأنبياء ﵈.

٦ـ المعارف المتعلقة بالإنسان في عوالم ما بعد الدنيا؛ أي عالم البرزخ والمعاد.

٧ـ المعارف المتعلقة بأخلاق الإنسان الحسنة أو السيئة التي تمثل مقامات

الأولياء على صراط العبوديّة؛ أي الإسلام، والإيمان، والإحسان، والإخبات، والإخلاص، وأمثال ذلك.

٨ـ الأحكام الحقوقية والفقهية.

٣ـ٢ـ١. نقد وتحليل.

إنَّ هذا التصنيف رفع إشكال عدم الجامعيّة الذي ورد على التصنيف الأول، فقد أورد العلامة ﷺ أغلب المباحث التي كانت مفقودة في التصنيف الأول ضمن المباحث المتعلقة بالإنسان، إلا أنَّ النقص الوحيد في هذا التصنيف انعدام غلبة الترتيب المنطقيّ على جميع المسائل.

٣ـ٣. محورية الإنسان:

تُقسَّم المعارف القرآنيّة في هذا التصنيف على أساس محورية الإنسان وأبعاده الوجودية، والأبعاد الوجودية للإنسان التي تكون محاور لتقسيم الأحكام ومعارف القرآن الكريم متعدّدة، فهي من قبيل: البعد الماديّ، والمعنوي، والفردي، والاجتماعي، والدنيوي، والأخروي.

٣ـ٣ـ١. نقد وتحليل:

إلى جانب أنَّ القرآن الكريم نزل من عند اللَّه تعالى لغرض هداية الإنسان، واهتم بجميع أبعاد حياته، إلا أنَّ الإنسان لم يكن هو الأصل والأساس في الرؤية الإلهيّة والقرآن الكريم، ثمّ إنّ المسائل القرآنيّة ليست مقتصرة على الأمور الإنسانية؛ وعليه، فمن الخطأ تقسيم الأحكام والمعارف القرآنيّة على أساس محوريّة الإنسان، وفضلاً عمَّا تقدَّم نجد أنَّ أبعاد الإنسان ليس واضحة جدًا، هذا أولاً. وثانيًا: إنَّ بعض المسائل المتعلقة بالإنسان لا يمكن أن نعتبرها من جملة

خصوصيات أحد الأبعاد الإنسانية[١]. وتجدر الإشارة إلى أننا إذا كنَّا قد قسمنا أهداف القرآن في الفصول السابقة على أساس إبعاد وجود الإنسان، فالسبب في ذلك يعود إلى أنَّ هدف القرآن الكريم هو هداية الإنسان ووصوله إلى الكمال في جميع أبعاده.

٣ـ٤ـ محورية التسلسل الطبيعي:

وهو تصنيف المسائل والمعارف القرآنيّة على أساس أسلوب التسلسل الطبيعي، والملاك الذي اتخذ في هذا التصنيف تسلسل الأحداث وتقدمها وتأخرها، وعلى هذا الأساس يكون الخلق مقدَّم على المسائل الأخرى في بيان المسائل القرآنيّة، فإنَّ المسائل القرآنيّة في هذا التصنيف هي عبارة عن: خلق السموات والأرض، والجبال، والشمس والقمر، والنجوم، وأبواب السماوات، والسحاب، والحياة على الأرض، وخلق الإنسان، والحالات المختلفة للإنسان، والأنبياء، وأمثال ذلك[٢].

٣ـ٤ـ١. نقد وتحليل:

لم يذكر هذا التصنيف العديد من المسائل، ومن جملتها المعارف المتعلقة باللَّه وصفاته والأحكام الفرديّة والاجتماعيّة، هذا أولاً. وثانيًا: لم يثبت بأنَّ الخلق كان بالكيفيّة التي جاءت في هذا التقسيم.

٣ـ٥. محورية اللَّه:

إنَّ أسلوب محوريّة اللَّه هو التصنيف الذي اعتمده سماحة الأستاذ مصباح اليزديّ، وتصنيفه يماثل تصنيف العلامة ﷺ من جهات، مثل جعل الأولويّة

(١) محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن الكريم، ج١ـ٣، ص١١ـ١٣.

(٢) محمد باقر الأبطحيّ، المدخل إلى التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، ص٨ و٩.

لمعرفة اللَّه، لكنَّ بين هذين التصنيفين تفاوتًا من جهات أخرى، فمثلاً أنَّ الأستاذ مصباح اليزدي ذكر كل من معرفة اللَّه ومعرفة الإنسان في قسم واحد، على خلاف العلامة الذي أوردهما في ثلاثة أقسام، ثمّ إنّه لم يذكر المسائل المتعلقة بمعرفة الطريق والدليل المرشد ضمن معرفة الإنسان، بل ذكرها مستقلّة.

إنَّ امتياز هذا التصنيف بالمقارنة مع التصانيف الأخرى هو أنَّ اللَّه خالق الوجود أصبح محورًا حقًّا وإنصافًا، هذا أولاً. وثانيًا أنَّ الترتيب المنطقيّ بين المسائل كان متحققًا، وجاءت هذه المسائل في طول بعضها بعضًا، وذُكرت المعارف القرآنيّة كمثل العين الجارية تنتقل من مرحلة لتدخل مرحلة أخرى، فعندما يمتلأ القدح في مرحلة يفيض ليملأ المرحلة اللاحقة التي تتفرع عن المرحلة السابقة، وليس إلى جانبها وفي عرضها.

في ضوء ذلك يمكن أن نأخذ نظام المعارف القرآنيّة بنظر الاعتبار بحسب الصورة الآتية:

١ ـ معرفة اللَّه.

٢ ـ معرفة الوجود.

٣ ـ معرفة الإنسان.

٤ ـ معرفة الغايات.

٥ ـ معرفة الطريق.

٦ ـ معرفة الدليل المرشد.

٧ ـ معرفة القرآن.

٨ـ الأخلاق.

٩ـ برامج القرآن العبادية.

١٠ـ أحكام القرآن الفرديّة.

١١ـ أحكام القرآن الاجتماعيّة التي تشمل المباحث الاجتماعيّة، والحقوقيّة، والسياسيّة والاقتصاديّة، وتنقسم على الفروع الآتية: الأحكام المدنية، والأحكام الاقتصادية، والأحكام القضائية، والأحكام الجنائية، والأحكام السياسيّة، والأحكام الدوليّة[1].

إنَّ التصنيف على أساس محوريّة اللَّه يتمتع بانسجام وترتيب منطقيّ أفضل بالنسبة لتصانيف المسائل القرآنيّة المختلفة، وتبعًا لهذا الطرح يمكن تقسيم جميع المعارف القرآنيّة على الأقسام المتعدّدة اللاحقة، لكن بالنظر إلى عدم إمكانية استخراج جميع مسائل القرآن الكريم إلا بالعمل الجماعيّ الواسع سنذكر العناوين العامة وقسم من العناوين الفرعيّة المتعلقة بالمسائل القرآنيّة فقط، ونكتفي بالإشارة إلى بعض الآيات المرتبطة بهذا الخصوص.

٣ـ٥ـ١. معرفة اللَّه:

إنَّ أساس الوجود هو اللَّه تعالى، فأوَّل قسم من المسائل يرتبط بمعرفة اللَّه، والتوحيد، والصفات، وكليات الأفعال الإلهيّة التي تضم المسائل الآتية:

١ـ طرق معرفة اللَّهوأدلّتها.

٢ـ معرفة معنى صفات الذات.

---

(١) محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ص١٣ـ١٦.

٣ـ العهد والميثاق الإلهيّ.

٤ ـ التقدير في نظام الخلقة.

٥ ـ القضاء والقدر.

٦ ـ إرادة اللّه واختيار الإنسان.

٧ـ التوحيد الذاتي في القرآن.

٨ـ التوحيد الربوبي.

٩ ـ الحد بين الشرك والكفر.

١٠ ـ ميزان التوحيد والشرك في العبادة.

١١ ـ تنزيه اللّه وتشبيهه.

١٢ ـ العدل الإلهيّ من وجهة نظر القرآن.

١٣ ـ لقاء اللّه وأمثال ذلك[١].

إنَّ القرآن الكريم في آيات متعدّدة يرشد الإنسان إلى براهين معرفة اللّه، وذلك بدعوته إلى التفكّر في المخلوقات[٢]، والنظام الحاكم على العالم[٣]، وحدوث العالم[٤]، وفقر العالم الماهوي[٥]، والفطرة[٦]. ثمّ إنّ هناك بعض

(١) انظر: عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، التوحيد في القرآن، ج٢؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن ج١، ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، رسالة القرآن، ج٣ و٤؛ جعفر السبحانيّ، مفاهيم القرآن، صفات الله الجماليّة والجلاليّة، ج٦.

(٢) انظر: الجاثية،٣؛ يونس/ ٦ و١٠٠؛ إبراهيم/ ١٠.

(٣) انظر: آل عمران/ ٩٠.

(٤) انظر: الطور/ ٣٥ و٣٦؛ إبراهيم/ ١٠.

(٥) انظر: فاطر/ ١٥؛ محمد/ ٣٨؛ العنكبوت/ ٦.

(٦) انظر: العنكبوت/ ٦٥؛ يونس/ ٢٢؛ الروم/ ٣٣.

الآيات التي تذكر صفات الكمال والجمال الإلهيّ، ومثالاً على ذلك نشير إلى آية يصف القرآن الكريم فيها اللّه سبحانه بأفضل وصف وبجميع صفاته الكمالية والجمالية، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وكذلك في قوله سبحانه: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

٣ـ٥ـ٢. معرفة الوجود:

بعد البحث حول كليات الأفعال الإلهيّة وصل الدور إلى الأفعال الإلهيّة؛ أي الخلق والتدبير، التي جاءت تحت عنوان«معرفة الوجود»، وهذه المسائل عبارة عن: السموات[3]، والنجوم، والأرض، والظواهر السماويّة مثل: الرعد والبرق والهواء والمطر، والظواهر الأرضيّة مثل: الجبال، والبحار، وكذلك الملائكة والجن والشيطان، وأمثال ذلك[4].

يوجد في القرآن أكثر من سبع مئة آية تشير إلى الظواهر الطبيعية[5]. وإلى جانب أنَّ القرآن الكريم لم يكن كتابًا في الفيزياء، ولا علم النبات، ولا علم

(١) الحشر/ ٢٣ و٢٤.

(٢) الحديد/ ٢ و٣.

(٣) فيما يتعلّق بعلم الوجود، انظر: أحمد شماع زاده، شكل كيهان در قرآن (شكل الوجود في القرآن)، مجلة بينات، العدد ٤٥، ربيع ٢٠٠٥م.

(٤) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج٢؛ مهدي أمين، معارف قرآن در ميزان، معارف قرآن در شناخت جهان و نظام آفرينش (معارف القرآن في الميزان، معارف القرآن في معرفة العالم ونظام الخلقة)، ج٢.

(٥) انظر: مهدي گلشني، قرآن و علوم طبيعت (القرآن وعلوم الطبيعة)، ص١٠٤.

الأرض، ولا علم الوجود، وليس هو بصدد بيان المسائل العلميّة، إلا أنَّ ما ذكره من المسائل الطبيعية هو حق[١]، لكن لابد من الالتفات إلى ضرورة الابتعاد عن تطبيق المصاديق في تفسير الآيات العلميّة حين فهم النتائج العلميّة، والعلامة الطباطبائيّ مع كونه ردِّ أسلوب التطبيق في تفسير الآيات، إلا أنَّه استعان بالعلوم الجديدة في كثير من المسائل المتعلقة بتفسير الآيات[٢].

إنَّ القرآن الكريم يشير إلى جملة من مسائل خلقة العالم وأنَّ بعضها تعتبر إعجازًا علميًّا؛ لأنَّها كشفت الستار عن المسائل العلميّة التي لم تكن معلومة للناس في ذلك الزمان، وهنا سنشير إلى بعض النماذج منها:

١ ـ إنَّ القرآن الكريم يشير إلى نكات رائعة جدًا حول المادة الأولية، وكيفية تشكيل الأجرام السماويّة، فهو يعدُّ الغاز هي المادة الأولية للأجرام.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٣].

وآية أخرى تشير إلى أنَّ السماء والأرض كانتا متلاصقة وأنَّ اللَّه تعالى فصل بينهما، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[٤].

يُستفاد من هاتين الآيتين المباركتين أنَّ منشأ السموات والأرض كان على صورة هالة من الغاز[٥].

---

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، محمد هادي معرفة، علوم القرآن، ص٤١٤.

(٢) انظر: محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص١ و٧ وج١٨، ص٣٨٢ وج١٤، ص٢٧٩؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ص٢٢٩.

(٣) فصلت/ ١١ و١٢.

(٤) الأنبياء/ ٣٠.

(٥) لقد أشير في الخطبة ٢١١ من نهج البلاغة إلى هذا الأمر، حيث قال أمير المؤمنين: «ففتقها سبع سماوات بعد ارتتقها» (انظر: نهج البلاغة/ الخطبة ١).

٢ـ إنَّ حركة الأرض من جملة مسائل إعجاز القرآن الكريم المتعلقة بعالم الخلقة، والتي جاءت على خلاف التصور الموجود في عصر النزول، وقد توصل إليها العلماء بعد حقبة من الزمن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾[١].

إنَّ بعض المفسرين يعتقد بأنَّ المراد من الكفات في هذه الآية حركة الأرض، ويقال أيضًا لسرعة طيران الطيور «كفات» لجمعه لأجنحته حال الطيران السريع حتى يتمكن من شق الهواء والتقدُّم أسرع[٢].

٣ـ الأنموذج الآخر من معارف القرآن العجيبة يتمثل في الإشارة إلى دور الجبال في تثبيت الأرض، فالقرآن الكريم يصف الجبال بالرواسي التي تمنع الأرض من الزلازل حال الحركة والدوران، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾[٣]، وفي آية أخرى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[٤].

٣ـ٥ـ٣. معرفة الإنسان:

لقد طُرحت مسائل متعدّدة ترتبط بالإنسان تحت عنوان «معرفة الإنسان»، مثل خلقة آدم، ونشأة الإنسان[٥]، والأبعاد المختلفة لوجود الإنسان، والروح وخصائصها، والعلاقة بين الروح والبدن، والمعارف، وميول الإنسان وعقله، والكرامة والإنسانية، ومسؤولية الإنسان، والاختيار، والسنن الإلهيّة، والبرزخ، ومسألة المعاد، والحشر وكيفيته، والمصير النهائيّ للإنسان، والجنَّة، وجهنم[٦]،

---

(١) المرسلات/ ٢٥.

(٢) انظر: مكارم الشيرازيّ وآخرون، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢٥، ص٤١١.

(٣) الأنبياء/ ٣١.

(٤) النبأ/ ٧.

(٥) انظر: حسن علي دادي سليماني، قرآن و آفرينش انسان (القرآن ونشأة الإنسان)، مجلة كلام اسلامي، العدد ٣٥.

(٦) فيما يتعلق بالمعاد في القرآن الكريم، انظر: ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون؛ رسالة القرآن، ج٥، المعاد وأدلة إمكانية وقوعه، ج٦، علامات القيامة والبرزخ.

والرجعة، والشفاعة، وضياع النفس الإنسانية، والوعيد ولزوم الوفاء به، وميزان الأعمال يوم القيامة، ودور الفرح والسرور وحدوده، وأمثال ذلك[١].

إنَّ القرآن الكريم ـ وكما مرَّ في الفصل العاشر ـ يصف الإنسان بأنَّه يتكون من البدن الماديّ والروح المعنويّة، بعد أن يذكر مراحل نشأته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢].

ويُفهم من آيات أخرى أنَّ المراد من الخلق الآخر، نفخ الروح في بدن الإنسان؛ لأنَّ اللَّه تعالى يقول في موضع آخر: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ﴾[٣].

إنَّ القرآن الكريم ذكر بأنَّ للإنسان حياة برزخيّة وأخرويّة، فضلاً عن الحياة الدنيويّة[٤].

---

(١) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج٣، عبد الله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، ج١٢، الفطرة في القرآن، ج١٣، معرفت شناسي در قرآن (علم المعرفة في القرآن)، ج١٤، صورت و سيرت انسان در قرآن (صورة الإنسان وسيرته في القرآن)، ج١٥، حيات حقيقى انسان در قرآن (حياة الإنسان الحقيقيّة في القرآن)، ج١٦، هدايت در قرآن (الهداية في القرآن)؛ مهدي امين، معارف قرآن در ميزان (معارف القرآن في الميزان)، ج٣، آفرينش انسان و موجودات قبل از او (نشأة الإنسان والموجودات قبله)، ج٤، فطرت انسان (فطرة الإنسان)، ج٥، تاريخ انسان و جريان مدنيت و أديان الهى (تاريخ الإنسان ومسيرة الحضارة والأديان الإلهيّة).

(٢) المؤمنون/ ١٢١٤.

(٣) السجدة/ ٧ و٨، المؤمنون/ ١٢١٤.

(٤) محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١، ص١١٢ و١١٣.

قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ﴾[١].

وتوجد آيات في القرآن الكريم وصفت آخرة الإنسان بالسرمديّة[٢]، وثمرة عمله الدنيوي، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣].

إنَّ مثل هذا الاعتقاد القرآني يهب لحياة الإنسان الماديّة وصعوباتها معنًى ومفهومًا آخر، ويجعله متفائلاً ونشطًا في أعماله الدنيويّة؛ ذلك لأنَّ الدنيا وآلامها ومعاناتها مؤقتة، ولا تُعدّ شيئًا بالقياس للثواب الإلهيّ في الدار الآخرة، فاللَّه تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٤].

ويقول سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[٥].

فضلاً عن ذلك فإنَّ القرآن الكريم يصف اللَّه تعالى بالمؤنس والقرين للإنسان؛ ليجعله آمنًا من الخوف والوحدة، قال اللَّه ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٦].

---

(١) البقرة/ ٢٨. ثمّ إنّ الآية ١١ من سورة المؤمن تشير إلى هذا الأمر أيضًا.

(٢) انظر: النحل/ ٣٢.

(٣) الزلزلة/ ٧ و٨.

(٤) الشرح/ ٥.

(٥) الحديد/ ٢٢ و٢٣.

(٦) يونس/ ٦٢٦٤.

ويؤكِّد القرآن الكريم أنَّ ذكر اللَّه هو طريق الخلاص من القلق والاضطراب، والسبب في الوصول إلى الاطمئنان القلبي، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١).

٣ـ٥ـ٤. معرفة الطريق:

ما دام الإنسان مختاراً، وما دام وجود المعرفة الإلهيّة ضرورياً لغرض الاختيار ـ لعدم كفاية المعارف البشرية ـ كان من اللازم أن تُطرح مسألة الوحي والنبوة، والمسائل المتعلقة بالوحي تُطرح عادةً في باب معرفة الطريق، وهذه المسائل هي: إمكانية الوحي والنبوة، وضرورة الوحي والنبوة(٢)، وأهداف النبوة، ومقامات الأنبياء عليهم السلام، والإعجاز، والعصمة، وخلافة الأنبياء عليهم السلام، وخليفة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، وعلم الإمام(٣). وقد قال اللَّه عزّ وجلّ بخصوص الوحي في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٤).

وفيما يتعلق بوصول الوحي إلى الناس مصونًا من التحريف(٥)، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾(٦).

---

(١) الرعد/ ٢٨.

(٢) انظر: جعفر السبحانيّ، منشور جاويد (الميثاق الخالد)، ج١٠، ضرورة بعثة الأنبياء، ج١١، قصص الأنبياء في القرآن، ج١٢، تتابع قصص الأنبياء إلى قصة النبي عيسى عليه السلام.

(٣) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج٤؛ جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، وحى و نبوت در قرآن (الوحي والنبوة في القرآن)، ج٣.

(٤) الشورى/ ٥١.

(٥) فيما يتعلق بعصمة الأنبياء في القرآن الكريم، انظر: جعفر السبحانيّ، منشور جاويد (الميثاق الخالد)، عصمة الأنبياء، ج٥.

(٦) الجن/ ٢٦٢٨.

وقد ذكر القرآن الكريم أكثر من عشرة أهداف للوحي والنبوة، وهي:

١ ـ الهداية التشريعية للناس: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

٢ ـ إتمام الحجة: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢].

٣ ـ الدعوة إلى التوحيد وعبادة اللَّه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ﴾[٣].

٤ ـ التذكير بالمعاد: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[٤].

٥ ـ إصلاح التحريفات ورفع الاختلافات الدينيّة: جاء في القرآن الكريم حول بعثة رسول اللَّه ﷺ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ﴾[٥].

٦ ـ التذكير: يخاطب القرآن رسول اللَّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٦].

٧ ـ الإنذار والتبشير: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٧].

---

(١) البقرة/ ٣٨.

(٢) النساء/ ١٦٥.

(٣) النحل/ ٣٦؛ ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ﴾ فصلت/ ١٤.

(٤) غافر/ ١٥.

(٥) المائدة/ ١٥.

(٦) الغاشية/ ٢١.

(٧) فاطر/ ٢٤.

٨ ـ محاربة الظلم والفساد: ومثالاً على ذلك إنَّ القرآن الكريم كلَّما ذكر قصة النبيّ شعيب ﷺ، كان يذكر كيف أنَّه كان يأمر بإيفاء الكيل في البيع والشراء وينهى عن التطفيف[١]، بعد أن يدعو إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۞ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

٩ ـ تمهيد الأرضيّة لإقامة العدل والقسط في المجتمع: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

١٠ ـ نجاة الناس من القيود والأغلال المرفوضة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[٤].

١١ ـ النجاة من الظلمات وهداية الناس: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٥].

٣ـ٥ـ٥. معرفة الدليل المرشد:

إنَّ معرفة الدليل المرشد تشمل المسائل الآتية: تاريخ الأنبياء ﷺ لاسيّما الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وخصائص الأنبياء ﷺ، وأساليب

(١) انظر: الأعراف/ ٨٥.
(٢) الشعراء/ ١٨١ ـ ١٨٣.
(٣) الحديد/ ٢٥.
(٤) الأعراف/ ١٥٧.
(٥) إبراهيم/ ١.

الأنبياء ﷺ التبليغية، ومقامات الأنبياء ﷺ، وكتب الأنبياء ﷺ ومضامينها، وتاريخ رسول اللّه ﷺ[١]، وتاريخ الأقوام والأمم وسائر قصص القرآن، والأقوام الصالحة وغير الصالحة[٢].

إنَّ القرآن الكريم يذكر بأنَّ لكل أمَّة نبي، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٣].

وقد وردت مجموعة من قصص الأنبياء في القرآن الكريم، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾[٤].

٣ـ٥ـ٦. معرفة القرآن:

إنَّ معرفة القرآن تشمل المسائل الفرعيّة الآتية: أسامي القرآن وأوصافه، وخصائص القرآن، والهدف من النزول، وكيفية النزول، والإعجاز، والمحكم والمتشابه، وتأويل القرآن وتفسيره، وخلود القرآن، وجامعيّة القرآن، وأهداف القرآن، وأسلوب بيان القرآن، ودور القرآن في حياة المسلمين الفرديّة والاجتماعيّة[٥].

---

(١) انظر: عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، ج٦و٧، سيره پيامبران در قرآن (سيرة أنبياء الله في القرآن)، ج٨ و٩، سيره رسول اكرم ﷺ در قرأن (سيرة رسول الله في القرآن)؛ سميع عاطف زين، التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، قصص الأنبياء في القرآن، ج٢؛ جعفر السبحانيّ، منشور جاويد (الميثاق الخالد)، ج١١، قصص پيامبران در قرآن (قصص الأنبياء في القرآن)، ج١٢، تتابع قصص الأنبياء إلى قصة النبي عيسى ﷺ.

(٢) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معارف القرآن، ج٥، مكارم الشيرازيّ وآخرون، پيام قرآن (رسالة القرآن)، ج٨ و٩و١٠.

(٣) فاطر/ ٢٤.

(٤) فصلت/ ٧٨.

(٥) انظر: محمد تقي مصباح اليزديّ، معرفة القرآن، ج١و٢، عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، القرآن في القرآن، ج١.

إنَّ القرآن الكريم يصف نفسه بأوصاف مختلفة في آيات متعدّدة، مثل: كتاب وكتب، وصحف، وحديث، وأحسن الحديث، وقول، وقرآن، وفي آيات أخرى يصف نفسه بأوصاف منتسبة إلى اللَّه تعالى، مثل: كلام اللَّه، وكلمات اللَّه، وتنزيل، ومنزَّل، ثمّ إنّ بعض الآيات القرآنيّة تصف هذا الكتاب الإلهيّ بأوصاف أخرى من قبيل: مبين، ومتشابه، ومثاني، وعربي، وتفصيل، ومفصل.

وبعض العناوين تصف القرآن الكريم بأهميته وعظم بركته وحسن قصصه، من قبيل: عظيم، وثقيل، ومجيد، ومبارك، وأحسن الحديث، وعزيز، وعلي، كما وصف القرآن الكريم نفسه بالتصديق، والمصدق، والمهيمن على الكتب السماويّة الأخرى، وهو يفتخر بألفاظ من قبيل: علم، وبرهان، وبينة وبينات، وحكمة، وحكم، وحكيم، وفرقان، وفصل، وقيم وغير ذي عوج، وحق وحق اليقين، وصدق، وبلاغ، وبالغة، ثمّ إنّ القرآن الكريم أطلق على نفسه في آيات أخرى أوصاف، مثل: ذكر، وذكرى، وتذكرة، وموعظة، وبشرى، وبشير، ونذير، وعذر، ونذر، وشفاء، ونور، وبصائر، وهدى، ورحمة.

كما يصف القرآن نفسه في الوهلة الأولى بأنَّه نازل من عند اللَّه، وذلك من أجل إثبات إلوهيته، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1].

ومن ثمَّ يستدل القرآن الكريم بالدليل العقليّ على إلهيّته من خلال الاستناد إلى آيات التحدي، ففي آيات متعدّدة يتحدَّى القرآن الكريم المخالفين ويدعوهم

(١) الزمر/ ٢٣.

إلى الإتيان بمثله[١]، أو عشر سور[٢]، أو سورة[٣] من مثله إن استطاعوا، وفي آخر المطاف يصرِّح بأنَّهم لن يتمكنوا من فعل ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٤].

وكذلك يصف القرآن الكريم نفسه بأنَّه مصون من الخطأ في ظل حماية اللَّه وحفظه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥].

٣ـ ٥ ـ ٧. الأخلاق:

بعد المسائل المتعلقة بمعرفة القرآن يأتي الدور إلى بيان المسائل الأخلاقيّة، وذلك لأنَّ الهدف من القرآن الكريم تزكية الإنسان وتعليمه، ويمكن تصنيف البحوث الأخلاقيّة على خمسة عناوين رئيسية، وهي: الأخلاق العامة، والأخلاق الإلهيّة، والأخلاق الفرديّة، والأخلاق الاجتماعيّة، والأخلاق الدوليّة.

١ ـ **مسائل الأخلاق العامة:** وهي الأصول العامة الموضوعة في علم الأخلاق، من قبيل: الاختيار وتأثر الإنسان، والمفاهيم الأخلاقيّة العامة، وأساس القيم الأخلاقيّة، والأسباب العامة للسقوط، مثل: هوى النفس والدنيا والشيطان.

---

(١) انظر قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ الطور/ ٣٣و٣٤.

(٢) انظر قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود/ ١٣.

(٣) انظر قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة/ ٢٣و٢٤.

(٤) البقرة/ ٢٤.

(٥) الحجر/ ٩.

٢ـ **مسائل الأخلاق الإلهيّة**: وتشمل علاقة الإنسان باللَّه، وأهميّة معرفة اللَّه وطرق نيل ذلك، وموانع معرفة اللَّه، والآثار النفسية والسلوكيّة لمعرفة اللَّه، ومحبَّة اللَّه، وعبادة اللَّه، وحقيقتها وفلسفتها، وأمثال ذلك.

٣ـ **مسائل الأخلاق الفرديّة**: وتشمل معنى علاقة الإنسان بنفسه، والميول الأساسية للنفس الإنسانية، والرغبة في الهيمنة، والميل إلى الخلود وعلاقة ذلك بالأخلاق، والركون إلى الملذّات، والغريزة الجنسية، والتعلُّق ببعض الأمور من قبيل: المال والولد، والجمال، والمسكن، والملبس، وأمثال ذلك.

٤ـ **مسائل الأخلاق الاجتماعيّة**: وتشمل الميل إلى الاجتماع أو النفور منه، والملاكات العامة في الأخلاق الاجتماعيّة، ومن جملة ذلك: العدل، والإحسان، وتقدُّم المصالح المعنويّة على المصالح الماديّة، وعلاقة الإنسان بالزوجة والأولاد وأفراد الأسرة، والولاية ومصاديقها الممنوعة، والإصلاح والإفساد، وآداب المعاشرة، وأمثال ذلك.

٥ـ **مسائل الأخلاق الدولية**: وتشمل الإحسان إلى غير المحاربين، وحق الدفاع عن النفس، والجهاد الابتدائيّ؛ شروطه وأهدافه، وأمثال ذلك[١].

وسنشير هنا إلى أنموذجين من نماذج المسائل الأخلاقيّة الرائعة المستفادة من القرآن الكريم:

الأنموذج الأول: هو أنَّ هذا الكتاب الإلهيّ يرفض التعامل بغير العدالة

---

(١) انظر: عبدالله جوادي آملي، التفسير الموضوعيّ للقرآن المجيد، ج١٠، مبادئ اخلاق در قرآن (مبادئ الأخلاق في القرآن)، ج١١، مراحل اخلاق در قرأن (مراحل الأخلاق في القرآن)؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، اخلاق در قرأن (الأخلاق في القرآن)، ج١ـ٣، ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، پيام قرآن (رسالة القرآن)، اخلاق در قرأن (الأخلاق في القرآن) «الدورة الثانية من رسالة القرآن» ج١ـ٣؛ عبدالله خسروپناه، گستره شريعت (وسعة الشريعة)، ص٣٣٥ـ٣٧٥.

حتى مع الظالمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١].

والأنموذج الآخر: هو أنَّ القرآن الكريم يأمر بأنَّ تُدفع السيئة بالتي هي أحسن، قال اللَّه سبحانه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٢].

٣ـ٥ـ٨. برامج القرآن العبادية:

تُطرح في قسم آخر مسائل متعلقة بالصلاة والصوم والحج والدعاء والذكر وأمثال ذلك؛ أي الأعمال التي يكون ركنها الأساسي تقوية علاقة الإنسان باللَّه، وإن أريد منها الكثير من المصالح الاجتماعيّة أيضًا، ويمكن أن يُطلق على هذا القسم «برامج القرآن العبادية» وهو يشمل قسم من أحكام القرآن الكريم، التي تعتبر من المواضيع المهمة في هذا الكتاب الإلهيّ.

إنَّ القرآن الكريم من خلال الدعوة إلى عبادة اللَّه الواحد، اكتفى في بعض الموارد بذكر أصل العبادة، وأورد بعض التفاصيل في بعض الأحيان أيضًا، فمثلاً بخصوص الصلاة يذكر حكمتها وزمانها، فضلاً عن وجوبها، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ

---

(١) المائدة/ ٨.

(٢) المؤمنون/ ٩٦.

(٣) طه/ ١٤.

(٤) العنكبوت/ ٤٥.

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾[١].

٣ـ٥ـ٩. أحكام القرآن الفرديّة:

بعد ذكر برامج القرآن العبادية يأتي الدور لذكر تفسير أحكام القرآن الفرديّة ودراستها التي تشتمل على بحوث من قبيل: الحلال والحرام والأكل والشرب «الأطعمة والأشربة، والصيد والذباحة»، وهذه الأمور هي نفس برامج القرآن العمليّة المرتبطة بعلاقة الإنسان مع نفسه.

إنَّ الأحكام ترتبط بعلم الفقه سواء كانت فردية أم اجتماعية، وهذا العلم ترعرع من جذور شجرة القرآن الطيّبة؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يستندون إلى القرآن الكريم كلَّما أرادوا تبيين حكم من الأحكام[٢].

إنَّ المنهجية الفقهيّة للقرآن الكريم تأتي بعد المنهجية الكلاميّة من حيث الرتبة، وكانت المنهجية الفقهيّة تتمتع بجاذبيّة ونطاق واسع جدًا[٣]، وقد تبلورت عنها آثار مدوّنة وقيِّمة تحت عنوان «آيات الأحكام »[٤]، تعمل على استنباط رأي القرآن في أبواب الأحكام العباديّة والفرديّة، وهناك اختلاف في وجهات النظر حول أول شخص قام بتأليف آيات الأحكام، فقد اعتبر الزركشي أنَّ إمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس الشافعي[٥] هو أول من قام بتأليف

---

(١) هود/ ١١٤.

(٢) انظر: عباس صالحي، فقه شيعى و رويكرد به قرآن (الفقه الشيعي ومنهجيته في القرآن)، مجلة پژوهش هاى قرآنى (البحوث القرآنيّة)، العدد ٤، ص٣ـ ١٤.

(٣) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٨٠٥٠٦.

(٤) انظر: محمد علي هاشم زاده، كتاب شناسى احكام قرآن (التعريف بكتب أحكام القرآن)، مجلة پژوهش هاى قرآنى (البحوث القرآنيّة)، العدد ٢، ربيع ١٩٩٥م، ص١٦٥١٨٤.

(٥) الوفاة: ٢٠٤ق.

آيات الأحكام[١]، والحق أنَّ أول من كتب حول آيات الأحكام هو محمد بن سائب الكلبي[٢]، وهو من علماء الشيعة ومفسريهم في القرن الثاني[٣]؛لأنَّ زمنه كان سابقًا لزمن الشافعي، بل حتى ابن النديم الذي هو أحد علماء أهل السُنّة قد أورد في كتاب الفهرست بأنَّه قد ألَّف كتاب آيات الأحكام،[٤]ومن أهم كتب آيات الأحكام الأخرى، هي:

١ ـ أحكام القرآن للجصاص الحنفيّ.

٢ ـ أحكام القرآن المنسوب للإمام الشافعيّ.

٣ـ أحكام القرآن لأبي يعلى الحنبليّ.

٤ ـ أحكام القرآن لكيا الهراسي الحنبليّ.

٥ ـ أحكام القرآن لابن العربي المالكيّ.

٦ ـ أحكام القرآن «فقه القرآن » للراونديّ.

٧ـ أحكام القرآن «كنز العرفإنَّ في فقه القرآن» للسيوريّ.

٨ـ زبدة البيان في أحكام القرآن للمحقق الأردبيليّ.

٣ـ٥ـ١٠. مسائل القرآن الاجتماعيّة:

إنَّ المسائل المتعلقة بمسائل القرآن الاجتماعيّة عبارة عن: الأحكام المدنيّة، والأحكام الاقتصاديّة، والأحكام القضائيّة، والأحكام الجنائيّة، والأحكام

(١) انظر: بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٣.

(٢) الوفاة: ١٤٦ق.

(٣) آقابزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١، ص٣٠٠.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٤٢.

السياسيّة، والأحكام الدوليّة، وأصالة الفرد أو المجتمع، وقانونيّة المجتمع، وتأثير المجتمع في الفرد، وتأثير الفرد في المجتمع، ودور الاختلافات في الحياة الاجتماعيّة، ومؤسسات المجتمع، والتحولات الاجتماعيّة، والقيادة، والمجتمع المثاليّ، والسنن الإلهيّة في تدبير المجتمع، وتبيين السنن الإلهيّة في المجتمع بالاستناد إلى القرآن، والانسجام ورفع الاختلافات الطائفيّة والعرقيّة[١].

إنَّ القرآن الكريم يُبطل الفوارق والاختلافات القوميّة ويعدُّ التقوى هي ملاك التفاضل، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ﴾[٢].

وهذا الكتاب الإلهيّ يدعو الجميع للتمسك بحبل اللَّه، ويعدُّ التوحيد محور الوحدة، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ﴾[٣].

---

(١) محمد تقي مصباح اليزديّ، جامعه و تاريخ در قرآن (المجتمع والتاريخ في القرآن)؛ مرتضى مطهريّ، فلسفه تاريخ در قرآن (فلسفة التاريخ في القرآن)، محمد حسن قدردان قراملكيّ، كاركرد دين در انسان و جامعه (أثر الدين على الإنسان والمجتمع)، مجلة قبسات، العدد ٢٨، صيف ٢٠٠٣م، ص١٦١ـ١٨٨.

(٢) الحجرات/ ١٣.

(٣) آل عمران/ ١٠٣.

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾[١].

ويعدُّ القرآن الكريم تحرر الإنسان من ظلم الطواغيت أحد أهداف الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢].

والقرآن في آية أخرى ـ كما مرَّ في ذكر المسائل المتعلقة بمعرفة الطريق ـ يعدُّ تحرر الناس من أغلال وقيود عقائد وخرافات عصر الجاهليّة من جملة أهداف بعثة النبيّ محمد ﷺ[٣]، ولاشك أنَّ أهداف النبيّ ﷺ تعتبر جزءًا من أهداف القرآن أيضًا؛ لأنَّه ﷺ حقق تلك الأهداف بوساطة القرآن.

بل إنَّ القرآن الكريم يذم حتى السكوت واللامبالاة، وعدم السعي لتحرير الناس من الظلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[٤].

لقد مرَّ في بحث أهداف القرآن الكريم أنَّ إقرار العدالة الاجتماعيّة من جملة الأهداف الأساسية للأنبياء ونزول الوحي[٥]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

---

(١) آل عمران/ ٦٤.

(٢) النحل/ ٣٤.

(٣) قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف/ ١٥٧.

(٤) النساء/ ٧٥.

(٥) انظر: النساء/ ٣٥؛ الرحمن/ ٧-٩؛ الأنعام/ ١٥٢؛ هود/ ٨٥؛ يونس/ ٤٧.

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[١].

٣ـ٥ـ١١. الحقوق السياسيّة:

يشتمل هذا العنوان على مسائل متعدّدة، مثل: منشأ الحق، ومنشأ اعتبار القانون ومنزلته، وملاك التقنين، وحاجة المجتمع للحكومة، والحكومة، ووظائف الحكومة، وامتياز المجتمع الإلهيّ، وشروط الشورى والبيعة، وبناء النظام السياسيّ، وخصائص القيادة في النظام ومسؤولياتها، وملاك المشروعيّة، وضرورة الحكومة، وخصائص حكومة الصالحين، ودراسة حقوق القائد والشعب، وحكومة الصالحين ومستقبل البشر، وأسباب وعوامل انحطاط وسقوط الحكومات، وأمثال ذلك[٢].

إنَّ القرآن الكريم يركِّز على أنَّ الحكم والحكومة للَّه، واللَّه تعالى هو الذي يهبها للخواص من بعض عباده، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٣]، وقال ﷻ: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[٤].

وتشير بعض الآيات إلى أنَّ اللَّه تعالى قد وهب منصب الحكم هذا إلى بعض عباده، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ[٥] وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٦]، وقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٧].

---

(١) الحديد/ ٢٥.

(٢) انظر: ناصر مكارم الشيرازيّ وآخرون، پيام قرآن (رسالة القرآن)، الحكومة في الإسلام، ج١٠؛ محمد تقي مصباح اليزديّ، حقوق و سياست در قرآن (الحقوق والسياسة في القرآن).

(٣) الأنعام/ ٥٧.

(٤) غافر/ ١٢.

(٥) لقد جاءت هذه العبارة في الآيات الآتية أيضاً: النساء / ٥٩ المائدة/ ٩٢؛ النور/ ٥١؛ محمد/ ٣٣؛ التغابن/ ١٢.

(٦) النساء/ ٥٩.

(٧) المائدة/ ٥٥.

٣ـ٥ـ١٢. الاقتصاد:

إنَّ المسائل الاقتصادية في القرآن الكريم تشمل الربا، والإنتاج وتوزيع الثروة، والتمييز والفوارق الطبقية، والخطوط العريضة للنظام المالي الخاص بالمجتمع الإسلاميّ، وأمثال ذلك[١]، فمثلًا توجد آيات من القرآن الكريم تدعو إلى رعاية أصل العدالة في مجال الاقتصاد والسوق، وتنهى عن أي نوع من النشاط غير القانوني، من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٢].

كما تأمر بعض الآيات بإقامة الوزن بالقسط في المعاملات، من قبيل قوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[٣].

٤ ـ النتيجة:

من الاستعانة بالمداليل المختلفة للكلام، والاستفادة من الأسلوب الصحيح للتفسير الموضوعي، واستخراج المسائل القرآنيّة والتصنيف المناسب لها، يتضح لنا سعة الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن الكريم.

---

(١) انظر: كاظم رجايي، معجم موضوعي آيات اقتصادي قرآن (المعجم الموضوعيّ لآيات القرآن الاقتصادية)، بالتعاون مع لجنة الاقتصاد، ولقد أجريت دراسة آيات متعددة من القرآن الكريم في هذا الكتاب باعتبارها آيات اقتصادية.

(٢) النساء/ ٢٩.

(٣) الرحمن/ ٨ و٩.

نتائج وآثار

نتائج وآثار:

١ ـ النتائج الحاصلة من أبحاث فصول الكتاب الاثني عشر:

١ ـ إنَّ مسألة الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم تمارس فعلاً مهمًّا في المسائل الدينيّة الأخرى.

٢ ـ إنَّ المنهج غير الديني في التعيين الدقيق لحدود القرآن الكريم الموضوعيّة لم يكن كافيًا، وإنَّ الاستعانة بالآيات والروايات في تعين الحدود الموضوعيّة للقرآن يعدُّ أمرًا ضروريًّا.

٣ ـ لقد تحدَّثت الآيات والروايات حول الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم، وما ورد فيها حجة في هذا المجال.

٤ ـ إنَّ أدلّة الحاجة للقرآن الكريم تدل على سعة نطاق حدود القرآن الكريم.

٥ ـ إنَّ أوصاف القرآن الكريم، مثل: العالميّة، والخلود، والكمال، وإلهيّمنة تدل على جامعيّة هذا الكتاب الإلهيّ بالمقارنة مع الكتب السماويّة الأخرى.

٦ ـ إنَّ القرآن الكريم يُعدد له أهدافًا تدل على سعة نطاق معارفه وأحكامه.

٧ـ إنَّ سعة نطاق علم النبيّ الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، ومصدريّة القرآن الكريم لهذا العلم أو كون القرآن المصدر الأصليّ لهذا العلم في أقل تقدير، يدل على سعة نطاق الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم.

٨ـ إنَّ جامعيّة القرآن الكريم التي تشير إليها الآيات والروايات تمتاز بالخصائص الآتية:

أولاً: إنَّ نطاقها أوسع من نطاق الأحكام الإلهيّة وأمور الهداية.

ثانيًا: إنَّ سعة القرآن الكريم الموضوعيّة متعلقة بشأن الهداية الخاص برسول اللّه ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثالثًا: إنَّ هذه السعة الموضوعيّة لا تُستنتج من الظاهر فقط، بل هي مرتبطة بالظاهر والباطن معًا.

٩ـ إنَّ الآراء التي تعتبر الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم مقتصرة على الأمور المعنويّة والأخرويّة؛ بسبب الاعتماد على المنهج غير الدين، هي آراء خاطئة، وكذلك لم تثبت صحة الآراء التي تعتبر جامعيّة القرآن خاصة بأمور الهداية من خلال الاعتماد على بيان أهداف القرآن الكريم.

١٠ـ إنَّ القرآن الكريم هو وسيلة هداية للناس، فضلاً عن كونه من شؤون الهداية الخاصة برسول اللّه ﷺ والأئمة عليهم السلام، وقد ذكر القرآن في ظاهره المسائل المرتبطة بعلاقة الإنسان بنفسه وخالقه وبالناس الآخرين وبالطبيعة، وأشار إلى بعض الأمور الأخرى أيضًا.

١١ـ إنَّ المسائل الظاهريّة التي وردت في القرآن الكريم تتمتع بنطاق واسع أيضًا، وهذا النطاق يشمل المسائل الدينيّة والاجتماعيّة، فضلاً عن المسائل

الفرديّة والأخروية، علاوة على ما طُرح فيه من قيم أخلاقية ومناهج كذلك.

١٢ ـ لا يمكن التوصل إلى جميع المسائل المطروحة في القرآن الكريم إلا بالتوسل بمداليل الآيات كافة؛ ولغرض كشف جميع المسائل المطروحة في القرآن الكريم، لابد من وجود عمل جماعي مع وجود التخصصات اللازمة والاستعانة بمنهج التفسير الموضوعي الصحيح والتصنيف المناسب.

٢ ـ بعض الآثار المهمة المترتبة على النتائج:

١ ـ إنَّ مجرد عدم العثور على بعض الأمور يجب أن لا يؤدي إلى إنكار وجود الحدود الواسعة للقرآن، وتقييد الآيات والروايات المرتبطة بالجامعيّة بأمور الهداية؛ ذلك لأنَّ هذه الآيات والروايات مرتبطة بمجموع ظاهر القرآن وباطنه.

٢ ـ ينبغي للباحثين المسلمين أن يستعينوا بالقرآن في بحوثهم لاسيّما العلوم الإنسانية، كونه مصدر المعرفة الإلهيّة، ولابد من الرجوع إلى القرآن الكريم أولاً والاستفادة من توجيهاته عند البحث حول أي مورد من الموارد، إلاّ إذا حصل الاطمئنان بأنَّ القرآن الكريم لم يتحدَّث حول هذا المورد.

٣ ـ ينبغي للمسؤولين في المجال الثقافي والعلميّ أن يسعوا للحصول على إرشادات القرآن، ويجعلوها ملاكًا لقراراتهم.

المصادر

المصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة.

٣ ـ الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية.

٤ ـ الأبطحيّ، سيد محمد باقر، المدخل إلى التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، النجف، الآداب، ١٣٨٩ق.

٥ ـ ابن الكوفيّ، فرات، تفسير فرات الكوفيّ، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٤١٠.

٦ ـ ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم، التفسير الكبير، بيروت، دار الكتب العلميّة، ﴿د. ت﴾.

٧ ـ ابن حنبل، أحمد، المسند، بيروت، دار الفكر، ﴿د. ت﴾.

٨ ـ ابن حيون، نعمان بن محمد، دعائم الإسلام، تحقيق محمد عبدالغفار، القاهرة، مدبولي، ﴿د. ت﴾.

٩ ـ ابن سينا، حسين بن عبداللّه، الشفاء، صحّحه وقدّم له إبراهيم مذكور، القاهرة، ﴿د. ن﴾، ١٣٨٠.

١٠ـ ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ﴿د. ت﴾.

١١ـ ابن عربي، محي الدين، الفتوحات المكيّة، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤.

١٢ـ ابن عربي، محي الدين، تفسير القرآن الكريم، طهران، ناصر خسرو، ﴿د. ت﴾.

١٣ـ ابن عربي، محي الدين، رحمة الرحمان في تفسير وإشارات القرآن، النصر، ١٤١٠.

١٤ ـ ابن عطية، محمد بن عبدالحق، المحرر الوجيز، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣.

١٥ ـ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الجبل، ١٤١١.

١٦ـ أبو حيان الأندلسيّ، محمود بن محمد، البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الفكر، ١٤١٣.

١٧ـ أحدي، محمد حسن وشكوه السادات بني جهاني، علم النفس از ديدگاه دانشمندان اسلامى، ط٥، طهران، انتشارات جامعة العلامة الطباطبائيّ، ١٩٩٢م.

١٨ـ أربري. آ. ج، عقل و وحى از نظر متفكران اسلامى، ترجمة حسن جوادي، ط٢، طهران، أمير كبير، ١٩٩٣م.

١٩ـ آريان، حميد، جامعيت قرآن در بيان مفسر الميزان، مجلة قرآن شناخت، العدد ١، السُنّة الأولى، ربيع وصيف ٢٠٠٨م.

٢٠ـ أسعدي، محمد، سايه ها و لايه هاى معنايى: درآمدي بر نظريه معناشناسى مستقل فرازهاى قرآن در پرتوى روايات تفسيرى، قم، بوستان كتاب، ٢٠٠٦م.

٣٠ـ الآلوسيّ، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،

بيروت، التجارية، ١٤١٤.

٣١ـ أمين أحمد، الكامل في الإسلام، بيروت، دار المعرفة، ﴿د. ت﴾.

٣٢ـ الأمينيّ، عبدالحسيّن أحمد، الغدير، ط١، النسخة المحققة، قم، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، ١٤١٦.

٣٣ـ الأنصاريّ، مرتضى، الرسائل (فرائد الأصول)، قم، زاهدي، ﴿د. ت﴾.

٣٤ـ الأنصاريّ، مرتضى، مطارح الأنظار، قم، آل البيت، ﴿د. ت﴾.

٣٥ـ ايازي، سيد محمد علي، فقه پژوهشى قرآنى، قم، بوستان كتاب، ٢٠٠١م.

٣٦ـ بابايي، علي أكبر وآخرون، روش شناسي تفسير قرآن كريم، تحت إشراف محمد رجبي، قم، مركز بحوث الحوزة والجامعة، طهران، سمت، ٢٠٠٠م.

٣٧ـ بابايي، علي أكبر، باطن قرآن، مجلة معرفت، العدد ٢٤، السُنّة السابعة، خريف ١٩٩٨م.

٣٨ـ باربور، ايان، علم و دين، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي، طهران، نشر الجامعة، ١٩٨٣م.

٣٩ـ بازرگان، مهدي، خدا و آخرت، هدف رسالت انبيا، ط١، طهران، رسا، ١٩٩٨م.

٤٠ـ البرقيّ، احمد بن محمد بن خالد، المحاسن، النجف، الحيدرية، ١٣٨٣ق.

٤١ـ البلاغي، محمد جواد، الهدى إلى دين المصطفى، ط٣، بيروت، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٤٠٥.

٤٢ـ بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الإنسان، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٢ق.

٤٣ـ بهروز يداللّهپور، مبأنّى و سير تاريخى تفسير موضوعى قرآن، ط١، قم، دار العلم، ٢٠٠٤م.

٤٤ ـ بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل، قرآن و علم، ترجمة ذبيح اللّه دبير، طهران، الثقافة الإسلاميّة، ١٩٨٩م.

٤٥ ـ البيهقيّ، أحمد بن الحسيّن، السنن الكبرى، بيروت، دار الفكر، ﴿د. ت﴾.

٤٦ ـ تيسن هنري، إلهيّات مسيحي، ترجمة طه ميكائيليان، حيات ابدي، ﴿د.ت﴾.

٤٧ ـ جان هيك، فلسفه دين، ترجمة بهرام راد، طهران، الهدى، ١٩٩٣م.

٤٨ ـ الجعفري، محمد تقي، ترجمة وتفسير نهج البلاغة، ط٤، طهران، الثقافة الإسلاميّة، ١٩٩٤م.

٤٩ ـ الجعفريّ، محمد تقي، تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد مولوي بلخي، ط١٢، طهران، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٩٩٤م.

٥٠ ـ الجعفريّ، محمد تقي، فلسفه دين، مقدمة محمد رضا الأسدي، ط١، طهران، انديشه معاصر، ١٩٩٦م.

٥١ ـ جليليّ، هدايت اللّه، روش شناسى تفاسير موضوعى قرآن، طهران، كوير، ١٩٩٣م.

٥٢ ـ جناباديّ، سلطان محمد (الملقب بالسلطان علي شاه)، بيان السعادة في مقامات العبادة، بيروت، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٤٠٨.

٥٣ ـ جناتي، محمد إبراهيم، منابع اجتهاد از ديدگاه مذاهب اسلامى، طهران، كيان، ١٩٩١م.

٥٤ ـ جوادي آملي، عبد اللّه، عقل در هندسه معرفت دينى، قم، إسراء، ٢٠٠٨م.

٥٥ ـ جوادي آملي، عبداللّه، الإنسان في الإسلام، ط١، قم، رجا، ١٩٩٣م

٥٦ ـ جوادي آملي، عبداللّه، تسنيم، تفسير القرآن الكريم، ط١، قم، إسراء، ١٩٩٩م.

٥٧ ـ جوادي آملي، عبداللّه، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، القرآن في

القرآن، ج١، ط٢، قم، إسراء، ١٩٩٩م.

٥٨ـ جوادي آملي، عبداللّه، ده مقاله پيرامون مبدأ و معاد، طهران، الزهراء، ١٩٩٣م.

٥٩ـ جوادي آملي، عبداللّه، زن در آيينه جلال و جمال، ط٤، طهران، رجا، ١٩٧٥م.

٦٠ـ جوادي آملي، عبداللّه، شريعت در آينه معرفت، ط١، قم، رجا، ١٩٩٣م.

٦١ـ الحائري، عبدالكريم، درر الفوائد، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٨.

٦٢ـ الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤.

٦٣ـ الحسيّني البحرانيّ، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ط١، طهران، البعثة، ١٤١٧.

٦٤ـ الحسينيّ الطهرانيّ، محمد حسين، نور ملكوت قرآن، ج٢.

٦٥ـ الحكيم، سيد محسن، حقائق الأصول، ج١.

٦٦ـ حكيمي، محمد رضا، مكتب تفكيك، ط١، طهران، الثقافة، ١٩٩٦م.

٦٧ـ الحلي (العلامة) حسن، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تصحيح حسن حسن زاده آملي، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٧.

٦٨ـ خسروپناه، عبدالحسيّن، گستره شريعت، طهران، المعارف، ٢٠٠٣م.

٦٩ـ الخمينيّ، روح اللّه، آداب الصلاة، ط٢، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينيّ قدس سره، ١٩٩٣م.

٧٠ـ دراز، محمد عبداللّه، النبأ العظيم، ط٣، الكويت، دار القلم، ١٣٩٤ق.

٧١ـ دغامين، خليل محمد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن

الكريم، دار البشير، ١٤١٦.

٧٢ـ دهخدا، علي اكبر، قاموس دهخدا، طهران، قاموس دهخدا، ﴿د. ت﴾.

٧٣ـ دهلوي الهنديّ، رحمة اللّه بن خليل الرحمان، إظهار الحق، الثقافة الإسلاميّة، ﴿د. ت﴾.

٧٤ـ ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة أبو القاسم پانيده، طهران، تعليم الثورة الإسلاميّة، ﴿د. ت﴾.

٧٥ـ الرازيّ، أبو الفتوح حسين بن علي، روض الجنان ورح الجنان في تفسير القرآن، مشهد، مؤسسة البحوث الإسلاميّة التابعة للحرم الرضوي الشريف، ١٩٩٢م.

٧٦ـ الرازيّ الشافعيّ، محمد بن عمر بن الحسيّن بن الحسن فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ﴿د. ت﴾.

٧٧ـ رجبي، محمود، انسان شناسى، قم، انتشارات مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، ١٩٩٩م.

٧٨ـ رجبي، محمود، جامعيت قرآن، كراسة دراسية، مقدمة لمرحلة الدكتوراه فرع العلوم القرآنيّة في مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث.

٧٩ـ رشيد رضا، محمد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ﴿د. ت﴾.

٨٠ـ الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والتشريع، ط١، دمشق، دار الفكر،١٤١١.

٨١ـ الزركشيّ، بدر الدين محمد بن عبداللّه، البرهان في علوم القرآن، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ﴿د. ت﴾.

٨٢ـ الزمخشريّ، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧.

٨٣ـ الزين، سميع عاطف، التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، بيروت، اللبناني، ١٤١٠.

٨٤ـ جيلسون، اتين، عقل و وحي در قرون وسطى، ترجمة شهرام پازوكي، ط٢، طهران، گروس، ١٩٩٩م.

٨٥ـ السبحاني، جعفر، تهذيب الأصول، تقريرات أبحاث آية اللّه العظمى الإمام الخمينيّ قدس سره، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٥.

٨٦ـ السبزواريّ، محمد، الجديد في تفسير القرآن المجيد، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٢.

٨٧ـ سروش، عبدالكريم، دين اقلى و اكثرى، صحيفة كيان، العدد ٤١، ١٩٩٨م.

٨٨ـ سروش، عبدالكريم، گفت وگوى زبأنَّ قرآن، مجلة فراره، العدد ١، السُنّة الأولى، شتاء ١٩٩٨م.

٨٩ـ سروش، عبدالكريم، صراطهاى مستقيم، ط١، طهران، صراط، ١٩٩٨م.

٩٠ـ سروش، عبدالكريم، فربه تر از اى دئولوژى، صراط، ١٩٩٣م.

٩١ـ سروش، عبدالكريم، قبض و بسط تئوريک شريعت، ط٣، طهران، صراط، ١٩٩٤م.

٩٢ـ سروش، عبدالكريم، مديريت و مدارا، طهران، صراط، ١٩٩٧م.

٩٣ـ السهروردىّ، شهاب الدين يحيى، سه رساله شيخ اشراق، اللمحات، تصحيح نجف قلي حبيبي، طهران: لجنة الفلسفة الإيرانية، ١٢٩٧ق.

٩٤ـ سي. تني مريل، معرفى عهد جديد، ترجمة طه ميكائيليان، ط١، طهران، حيات ابدي، ١٩٨٣م.

٩٥ـ سياح، احمد، فرهنگ بزرگ جامع نوين، ط١٧، طهران، إسلام، ١٩٩٥م.

٩٦ـ السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين، الدر المنثور في تفسير القرآن،

بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤.

٩٧ـ السيوطيّ، عبدالرحمن جلال الدين، معترك الاقتران في إعجاز القرآن، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨.

٩٨ـ السيوطيّ، عبدالرحمن جلال الدين، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، القاهرة، التجارية الكبرى، ١٣٥٢ق.

٩٩ـ شاكر، محمد كاظم، تأويل قرآن و رابطه زبأنَّ شناختى آن با تنزيل قرآن، مجلة معرفت، العدد ٢٦، ١٩٩٨م.

١٠٠ـ الشيخ الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، ط١، مؤسسة دار الحجة للشفاعة، ١٤١٦.

١٠١ـ الشيخ الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، طهران، ﴿د. ن﴾، ١٣٧٨ق.

١٠٢ـ الصادقي، محمد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسُنّة، ط٢، طهران، الثقافة الإسلاميّة، ١٤٠٨.

١٠٣ـ الصدر، السيد محمد باقر، اقتصادنا، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٨.

١٠٤ـ الصدر، السيد محمد باقر، المدرسة القرآنيّة، قم، مركز دراسات آثار الشهيد الصدر، ١٤٢١.

١٠٥ـ الصدر، السيد محمد باقر، الموجز في أصول الدين، تحقيق عبدالجبار الرفاعي.

١٠٦ـ الصدر، السيد محمد باقر، دروس في علم الأصول، تقرير محمود الهاشمي، بيروت، دار التعارف، ١٤١٠.

١٠٧ـ صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، سورة السجدة، تصحيح خواجوي، قم، بيدار، ﴿د. ت﴾.

١٠٨ـ صدر الدين الشيرازي، محمد، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة

الأربعة، ج٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٠.

١٠٩ـ صدر الدين الشيرازي، محمد، مفاتيح الغيب، طهران، وزارة الثقافة والتعليم العالي، مؤسسة المطالعات والبحوث الثقافيّة،١٩٨٤م.

١١٠ـ صدر الدين، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج٣، قم، بيدار، ١٩٨٧م.

١١١ـ صدر الدين، محمد بن إبراهيم، مبدأ و معاد، ج٣، قم، مركز انتشارات مكتب التبليغات، ٢٠٠١م.

١١٢ـ الصفار القمي، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، قم، مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤.

١١٣ـ الطباطبائيّ، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٥، طهران، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٩٩٣م.

١١٤ـ الطباطبائيّ، السيد محمد حسين، شيعة در اسلام، طهران، زيبا، ١٩٤٩م.

١١٥ـ الطباطبائيّ، السيد محمد حسين، قرآن در اسلام از ديدگاه شيعه، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٩٨٢م.

١١٦ـ الطباطبائيّ، السيد محمد حسين، مباحثى در وحى و قرآن، ط١، مركز العلوم الإسلاميّة، ١٩٨١م

١١٧ـ الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨.

١١٨ـ الطبريّ، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٢٠.

١١٩ـ الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ط١، قم، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٩.

١٢٠ـ الطوسيّ، خواجه نصير الدين، اخلاق ناصري، طهران، الخوارزمي،

١٩٨٥م.

١٢١ ـ عبد الواحد، داوود، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ترجمة فضل اللّه‌نيكآيين، طهران، نو، ١٩٨٢م.

١٢٢ ـ عبدالرزاق، علي، الإسلام وأصول الحكم، بيروت، دار المعارف، ﴿د.ت﴾.

١٢٣ ـ العراقي، آقا ضياء الدين، نهاية الأفكار في مباحث الألفاظ، تقرير محمد تقي البروجردي، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ لجماعة المدرسين، ١٤٠٥.

١٢٤ ـ العروسيّ، الحويزي، علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق سيد هاشم رسولي، ط٤، قم، اسماعيليان، ١٩٩٤م.

١٢٥ ـ عزتيّ، أبو الفضل، رابطه دين و فلسفه، تبريز، اللجنة العلميّة الدينيّة في جامعة أذربيجان، ١٣٩٧.

١٢٦ ـ علوي نجاد، سيد حيدر، ظاهر و باطن قرآن در گستره روايات، مجلة بحوث قرآنية، العدد ٥ و٦، ربيع ١٩٩٦م.

١٢٧ ـ علي اكبريان، حسن علي، در آمدي بر قلمرو قرآن، ط١، طهران، مركز بحوث الثقافة والفكر الإسلاميّ، ١٩٩٨م.

١٢٨ ـ عميد زنجاني، عباس علي، مبأنّى انديشه سياسى اسلام، طهران، مركز بحوث الثقافة والفكر الإسلاميّ، ١٩٩٥م.

١٢٩ ـ العياشيّ، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تصحيح سيد هاشم رسولي، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٤١١.

١٣٠ ـ غروي، محمد بن الحسن، مصادر الاستنباط بين الأصوليين والإخباريين، ط١، بيروت، دار الهادي، ١٤١٣.

١٣١ ـ الغزاليّ، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء العلوم، بيروت، دار المعرفة، ﴿د. ت﴾.

١٣٢ ـ الغزاليّ، أبو حامد، محمد بن محمد، جواهر القرآن، دمشق، المركز العربي، ﴿د. ت﴾.

١٣٣ ـ فاخوريّ، حنا وخليل حر، تاريخ فلسفه در جهان اسلام، ترجمة عبدالمحمد آيتي، ط٤، طهران، المركز العلميّ الثقافي، ١٩٩٤م.

١٣٤ ـ فضل اللّه، محمد حسين، من وحي القرآن، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٥.

١٣٥ ـ فنايي اشكوري، محمد، معرفت شناسى دينى، ط١، طهران، برگ، ١٩٩٥م.

١٣٦ ـ فياض لاهيجي، ملا عبدالرزاق، نص النصوص في شرح فصوص الحكم، محي الدين بن عربي.

١٣٧ ـ فياض لاهيجي، ملا عبدالرزاق، گوهر مراد، تصحيح زين العابدين قربانّي، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد، ١٩٩٣م.

١٣٨ ـ فيروزآباديّ، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧.

١٣٩ ـ فيروزآباديّ، محمد بن يعقوب، تنوير المقياس عن ابن عباس، بيروت، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٨م.

١٤٠ ـ الفيض الكاشانيّ، محسن، تفسير الصافي، بيروت، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ﴿د. ت﴾.

١٤١ ـ الفيض الكاشانيّ، محسن، علم اليقين في أصول الدين، بيدار، ١٤٠٠.

١٤٢ ـ قطب، سيد، في ضلال القرآن، دار الشروق، ١٤١٢.

١٤٣ ـ القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ط١، طهران، دار الأسوة، ١٤١٦.

١٤٤ ـ كاسير، ارنست، رسالهاى در باب انسان، ط٢، طهران، مركز بحوث العلوم الإنسانية والمطالعات الثقافيّة، ١٩٩٣م.

١٤٥ ـ الكاشانيّ، فتح اللّه، منهج الصادقين في إلزام المخالفين، طهران، الإسلاميّة، ١٩٦٥م.

١٤٦ ـ كريميّ، مصطفى، القرآن ومعرفة حدود الدين، ط٢، قم، انتشارات مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، ٢٠٠٦م.

١٤٧ ـ كرينستون، جوليوس، انتظار مسيحا در آيين يهود، ترجمة حسين توفيقي، قم، مركز دراسات وبحوث الأديان والمذاهب، ١٩٩٨م.

١٤٨ ـ الكلينيّ، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، الإسلاميّة، ٢٠٠٩م.

١٤٩ ـ غوستاف لوبون، حضارة الإسلام والعرب، ترجمة سيد هاشم الحسيّني، طهران، الإسلاميّة، ﴿د. ت﴾.

١٥٠ ـ لاريجاني، صادق، انتظار بشر از الدين، غير مطبوع، مجلة نقد ونظر، العدد ٦، ربيع ١٩٩٦م.

١٥١ ـ لاريجاني، صادق، انتظار بشر از الدين، غير مطبوع.

١٥٢ ـ لاهيجي، محمد شيخ علي شريف، تفسير شريف لاهيجي، طهران، علميّ، ١٩٨٤م.

١٥٣ ـ لگنهاوزن، محمد، اقتراح انتظار بشر از دين، مجلة نقد ونظر، العدد ٦، السُنّة الثانية، ربيع ١٩٩٦م.

١٥٤ ـ مجتهد شبستري، محمد، هرمنوتيک كتاب و سنت، ط١، طهران، طرح نو، ١٩٩٦م.

١٥٥ ـ المجلسيّ، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤١٢.

١٥٦ ـ المجلسيّ، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط٣، طهران، الإسلاميّة، ١٩٩١م.

١٥٧ ـ محمدي، علي، جايگاه عقل در نظام ارزشى، مجلة بصائر، العدد ١٠،

السُنّة الثانية.

١٥٨ ـ مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ط٣، دمشق، دار القلم، ١٤٢١.

١٥٩ ـ المشهدي، محمد بن محمد رضا، كنز الدقائق وبحر الغرائب، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد، ١٩٨٧م.

١٦٠ ـ مصباح اليزديّ، محمد تقي، رابطه قرآن با علوم بشر، مجلة كيان انديشه، العدد ٢٨.

١٦١ ـ مصباح اليزديّ، محمد تقي، حقوق و سياست در قرآن، تدوين محمد شهرابي، قم، مركز انتشارات مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، ١٩٩٨م.

١٦٢ ـ مصباح اليزديّ، محمد تقي، قرآن شناسى، تحقيق وتدوين محمود رجبي، قم، مركز انتشارات مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، ١٩٩٧م.

١٦٣ ـ مصباح اليزديّ، محمد تقي، معارف قرآن: خداشناسى، كيهان شناسى، انسان شناسى، ج١ـ٣، قم، مركز انتشارات مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، ١٩٩٧م.

١٦٤ ـ مصباح اليزديّ، محمد تقي، معارف قرآن، رهنماشناسى، ج١، قم، مركز انتشارات مؤسسة الإمام الخمينيّ قدس سره للدراسة والبحث، ١٩٩٧م.

١٦٥ ـ مطهريّ، مرتضى، آشنايى با علوم اسلامى (أصول الفقه، الفقه)، طهران، صدرا، ١٩٧٩م.

١٦٦ ـ مطهريّ، مرتضى، انسان كامل، طهران، صدرا، ١٩٩١م.

١٦٧ ـ مطهريّ، مرتضى، خاتميت، طهران، صدرا، ١٩٨٧م.

١٦٨ ـ مطهريّ، مرتضى، مجموعة الآثار، طهران، صدرا، ١٩٩٤م.

١٦٩ ـ مطهريّ، مرتضى، مجموعة الآثار، شرح الإشارات، ج٧، ط٧، طهران، صدرا، ١٩٩٤م.

١٧٠ ـ مطهريّ، مرتضى، مقدمه اى بر جهان بينى اسلامى، طهران، صدرا، ١٩٧٨م.

١٧١ ـ مطهريّ، مرتضى، وحي و نبوت، طهران، صدرا، ١٩٩١م.

١٧٢ ـ معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ط١، مشهد، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلاميّة، ١٩٦٩م.

١٧٣ ـ معرفة، محمد هادي، التفسير الأثريّ الجامع، ج١، قم، التمهيد، ٢٠٠٤م.

١٧٤ ـ معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج٢، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٥.

١٧٥ ـ معين، محمد، فرهنگ فارسى، طهران، أمير كبير، ١٩٩٦م.

١٧٦ ـ مغنيّه، محمد جواد، تفسير الكاشف، بيروت، دار العلم، ١٩٨١م.

١٧٧ ـ المفيد، أبي عبداللّه محمد بن محمد النعمان، مصنفات الشيخ المفيد، النكت الاعتقاديّة، ج٩، ط١، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

١٧٨ ـ المقريّ الفوميّ، أحمد بن محمد، المصباح المنير، تصحيح محمد محيي الدين عبدالحميد، ﴿د. ت﴾، ١٣٤٧.

١٧٩ ـ مكارم الشيرازيّ، ناصر وآخرون، پيام قرآن، طهران، الإسلاميّة، ٢٠٠٢م.

١٨٠ ـ مكارم الشيرازيّ، ناصر وآخرون، تفسير نمونه، طهران، الإسلاميّة، ١٩٨٣م.

١٨١ ـ مكارم الشيرازيّ، ناصر، قلمرو معارف قرآن كريم و ارزش فهم ما از قرآن، القسم ١، مجلة المعرفة، العدد ٥، السُنّة الثانية.

١٨٢ ـ مكارم الشيرازيّ، ناصر، گفت وگو درباره جامعيت قرآن، مجلة معرفت،

العدد ٥، ١٩٩٣م.

١٨٣ـ ملكيان، مصطفى، اقتراح انتظار بشر از دين، مجلة نقد ونظر، العدد ٦، السُنّة الثانية، ربيع ١٩٩٦م.

١٨٤ـ مولوي، جلال الدين محمد البلخي، مثنوي معنوي، تصحيح رينولد نيكلسون، ط١، قفنوس، ١٩٩٧م.

١٨٥ـ ميبديّ، أبو الفضل رشيد الدين، كشف الأسرار وعدة الأبرار، طهران، سينا، ١٩٨٢م.

١٨٦ـ ميشل، توماس، كلام مسيحي، ترجمة حسين توفيقي، قم مركز دراسات وبحوث الأديان والمذاهب، ١٩٩٨م.

١٨٧ـ نصري، عبدالله، مبأنّى رسالت انبيا در قرآن، طهران، سروش، ١٩٩٧م.

١٨٨ـ النهاونديّ، محمد بن عبدالرحيم، تفسير القرآن وتبيين الفرقان، ﴿د.ت﴾.

١٨٩ـ هاشم زاده، محمد علي، كتاب شناسى احكام قرآن، البحوث القرآنيّة، العدد ٢، خريف ١٩٩٥م.

١٩٠ـ همايي، جلال الدين، جاويدان خرد انديشه، صحيفة لجنة الفلسفة الإيرانية، السُنّة الأولى، ١٩٧٨م.

١٩١ـ الهمدانيّ، القاضي عبدالجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، القاهرة، وهبه، ١٤٠٨.

١٩٢ـ الواحديّ النيسابوريّ، أبي الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤.

١٩٣ـ واعظيّ، احمد، انسان شناسي از ديدگاه اسلام، طهران، سمت، ١٩٩٨م.

المحتويات

كلمة الناشر	٧
مقدمة	١١
الفصل الأول: الخلفية والمفاهيم والمباني	١٧
الخلفية والمفاهيم والمباني	١٩
١ ـ بيان المفاهيم الأساسية:	١٩
١ ـ ١ ـ الحدود الموضوعيّة:	٢٠
١ ـ ٢ ـ القرآن الكريم:	٢١
٢ـ خلفية الموضوع والبحث	٢٥
٣ ـ فوائد وآثار البحث عن الحدود الموضوعيّة للقرآن:	٢٩
٤ ـ النسبة بين حدود القرآن وحدود الدين الإسلاميّ:	٣٠
٤ ـ ١ ـ العقل كاشف عن الكتاب والسُنّة، وليس مصدرًا إسلاميًّا.	٣٢
٤ ـ ١ ـ ١. نبذة تاريخية عن دخول العقل إلى الاجتهاد:	٣٤
٤ ـ ١ ـ ٢. الدليل العقليّ وأقسامه:	٣٦
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ١. المستقلات العقليّة:	٣٧
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٢. غير المستقلات العقليّة:	٣٨
٤ ـ ١ ـ ٣. نقد دلالة الدليل العقليّ على الأحكام الدينيّة:	٣٩
٤ ـ ١ ـ ٣ ـ ١. مقدمات دلالة العقل على الحكم الشرعي:	٤٠
٤ ـ ١ ـ ٣ ـ ٢. مناقشة المقدمات:	٤١
٤ ـ ١ ـ ٤. نفي مصدريّة العقل للدين في الروايات:	٤٦

٤ ـ ٢. الإجماع كاشف عن سُنّة المعصوم وليس مصدراً للدين: ٤٨
٥ ـ النسبة بين حدود القرآن وحدود السُنّة: ٤٩
النتيجة: ٥٢
الفصل الثاني: مناهج ونظريات ٥٣
مناهج ونظريات ٥٥
١ـ مقدمة ٥٥
٢ ـ المنهج الصحيح للكشف عن الحدود الموضوعيّة للقرآن: ٥٦
٢ ـ ١. المناهج المتعدّدة في كشف حدود القرآن: ٥٦
٢ ـ ١ ـ ١. المناهج غير الدينيّة: ٥٦
٢ ـ ١ ـ ٢. المناهج الدينيّة: ٥٧
٢ ـ ١ ـ ٣. المنهج التركيبي: ٥٧
٢ ـ ٢. عدم كفاية المناهج غير الدينيّة والحاجة إلى النصوص الدينيّة: ٥٩
٢ ـ ٢ ـ ١. المنهج العقليّ: ٥٩
٢ ـ ٢ ـ ١ ـ ١. نقد وتحليل: ٦٠
٢ ـ ٢ ـ ٢. منهج تحديد التوقع من القرآن: ٦٠
٢ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١. نقد و تحليل: ٦٣
٢ ـ ٢ ـ ٣. منهج دراسة الدور التاريخي للقرآن: ٦٤
٢ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١. نقد وتحليل: ٦٥
٢ ـ ٣. صحة استخدام المناهج الدينيّة في معرفة حدود القرآن: ٦٨
٢ ـ ٣ ـ ٣. تَعيُّن معنى النص: ٧٠
٢ ـ ٣ ـ ٢. عدم التأثير الكامل والدائم لتوقعات
المفسر على فهم الآيات والروايات: ٧٢
٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ١. التأثير في مقام الفحص: ٧٣
٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ١ ـ ١. نقد وتحليل: ٧٣
٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٢. التأثير في مقام الفهم: ٧٥
٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١. التأثير المباشر: ٧٥
نقد وتحليل: ٧٦
٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٢. التأثير عن طريق إيجاد السؤال: ٧٧

نقد وتحليل: ٧٧
٢ـ٣ـ٢ـ٢ـ٣. التأثير عن طريق مسبقات الإيمان بالكتاب والسُنّة: ٧٨
نقد وتحليل: ٧٩
٢ـ٣ـ٢ـ٣. التسليم بحجيّة مفاد الآيات و الروايات: ٨٢
٢ـ٣ـ٢ـ٣ـ١. نقد وتحليل: ٨٣
٢ـ٣ـ٢ـ٤. حجية جواب المنهج الديني في باب حدود القرآن: ٨٤
٢ـ٣ـ٢ـ٤ـ١. الدليل القرآني: ٨٤
٢ـ٣ـ٢ـ٤ـ٢. الدليل العقليّ: ٨٥
٣ـ النظريّات: ٨٦
الفصل الثالث: الأدلّة العقلية لحدود القرآن الموضوعيّة. ٨٩
١ـ حاجة الإنسان للوحي وحدود القرآن: ٩١
١ـ ١. ضرورة القانون، وتطبيقه الصحيح، والحاجة إلى القرآن: ٩٢
١ـ ١ـ ١. نقد وتحليل: ٩٥
١ـ ٢. المعرفة والسير إلى اللّه والحاجة للقرآن: ٩٧
١ـ ٢ـ ١. نقد وتحليل: ٩٩
١ـ٣. حسن التكليف والحاجة إلى القرآن: ١٠٠
١ـ ٣ـ١. نقد وتحليل: ١٠١
١ـ ٤. الوصول إلى الكمال الإنساني والحاجة إلى القرآن: ١٠١
١ـ ٤ـ١. نقد وتحليل: ١٠٤
٢ـ التجلي الكامل للّه في القرآن: ١٠٥
٢ـ١. نقد وتحليل: ١٠٥
٣ـ النتيجة: ١٠٦
الفصل الرابع: أوصاف القرآن الكريم وحدوده الموضوعيّة ١٠٧
١ـ عالمية القرآن وحدوده: ١٠٩
١ـ١. الأدلّة والشواهد المباشرة: ١١٠
١ـ ٢. الأدلّة والشواهد غير المباشرة: ١١١
١ـ ٢ـ ١. الآيات القرآنيّة: ١١١
١ـ٢ـ٢. الروايات: ١١٢

١ـ٢ـ٣. سيرة النبيّ ﷺ العمليّة: ١١٣
١ـ٣. المراد من عالمية رسالة القرآن: ١١٣
١ـ٤. التلازم بين عالمية القرآن وسعة نطاق حدوده الموضوعيّة: ١١٤
٢ـ خلود القرآن وحدوده: ١١٤
٢ـ١. الشواهد والأدلّة المباشرة: ١١٥
٢ـ١ـ١. الآيات: ١١٥
٢ـ١ـ٢. الروايات: ١١٥
٢ـ٢. الشواهد غير المباشرة: ١١٦
٢ـ ٢ـ ١. أدلّة خلود الإسلام ورسالة النبيّ الأكرم ﷺ: ١١٦
٢ـ٢ـ٢. أدلّة خاتميّة نبوة رسول اللّه ﷺ وكون القرآن آخر الكتب الإلهيّة: ١١٧
٢ـ٢ـ٢ـ١. سورة الأحزاب «الآية ٤٠»: ١١٨
٢ـ٢ـ٢ـ٢. نهج البلاغة،«الخطبة: ١٣٣» ١١٩
٢ـ٢ـ٣. إشارة: ١١٩
٢ـ٣. التلازم بين الخلود والحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم: ١٢٢
٢ـ٣ـ١. إشكال وجواب: ١٢٤
٣ـ كمال الوحي والحدود الموضوعيّة للقرآن: ١٢٦
٣ـ١. الدليل المباشر على كمال القرآن: ١٢٨
٣ـ٢. كمال الإسلام، دليل غير مباشر على كمال القرآن: ١٢٩
٣ـ٣. تلازم كمال القرآن وحدوده: ١٣٢
٣ـ٣ـ١. عدم وجود مراتب للكمال وكمال القرآن والإسلام: ١٣٢
٣ـ٣ـ٢. للكمال وكمال القرآن مراتب: ١٣٣
٤ـ حكومة القرآن بالمقارنة مع الكتب السماويّة الأخرى: ١٣٦
٤ـ١.الأدلّة: ١٣٩
٤ـ٢. التلازم بين حاكميّة القرآن وجامعيته: ١٤٠
٤ـ٣. النتيجة: ١٤٢
الفصل الخامس: أهداف القرآن الكريم وحدوده الموضوعيّة ١٤٣
١ـ الأهداف الفكريّة: ١٤٨
١ـ١. التذكير: ١٤٨

١ـ٢. إزالة الغفلة: ١٥٠
١ـ٣. تمييز الحقّ عن الباطل وبيان الدليل على المعرفة: ١٥١
١ـ٤. رفع الاختلاف: ١٥٣
١ـ ٥. إصلاح التحريف في الدين: ١٥٤
١ـ٦. إيجاد الأرضيّة للتفكّر: ١٥٦
١ـ٧. التعريف بالتوحيد والدعوة إليه: ١٥٧
١ـ ٨. التذكير بالمعاد: ١٥٨
١ـ٩. التعليم: ١٥٨
١ـ ٩ـ١. الكتاب: ١٥٩
١ـ ٩ـ٢. الحكمة ١٦٠
١ـ ٩ـ ٣. ما لم يتمكن الناس من علمه بأنفسهم: ١٦٣
١ـ١٠. بيان حلال اللّه وحرامه: ١٦٤
١ـ ١١. ظهور الإسلام على جميع الشرائع أمر منطقيّ وعلميّ: ١٦٥
٢ـ الأهداف الفطريّة: ١٦٥
٢ـ١. علاج الأمراض الروحيّة والأخلاقيّة ١٦٦
٢ـ٢. تهيئة الأرضيّة للتقوى: ١٦٦
٢ـ٣. التزكية: ١٦٧
٢ـ٤. تحرير الناس من القيود والأغلال المرفوضة: ١٦٨
٣ـ الأهداف الغائيّة: ١٦٩
٣ـ١ الوعظ: ١٧٠
٣ـ٢. الإنذار والتبشير: ١٧١
٤ـ الأهداف السلوكيّة للقرآن: ١٧٣
٤ـ١. إقرار العدالة الاجتماعيّة: ١٧٣
٤ـ٢. الحكم على أساس القوانين الإلهيّة: ١٧٤
٤ـ٣. تثبيت المؤمنين: ١٧٦
٤ـ٤. إيصال المؤمنين إلى سبل السلام والصراط المستقيم: ١٧٧
٤ـ ٥. محاربة الطاغوت: ١٧٧
٤ـ٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١٧٨

٤ ـ ٧. تأسيس الحكومة الدينيّة: ١٧٨
٥ ـ تذكير ببعض المسائل: ١٨١
٦ ـ كيفية دلالة أهداف رسالة النبيّ والقرآن
على حدود هذا الكتاب الإلهيّ: ١٨٣
٧ ـ النتيجة ١٨٣
الفصل السادس: علم النبي ﷺ والحدود الموضوعيّة للقرآن ١٨٥
١ ـ أدلّة جامعيّة علم النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام. ١٨٧
١ ـ ١. الأدلّة العقليّة: ١٨٨
١ ـ ١ ـ ١. اقتضاء الرسالة والإمامة: ١٨٨
١ ـ ١ ـ ٢. الكمال الوجودي للنبيّ والإمام: ١٨٩
١ ـ ٢. الأدلّة القرآنيّة: ١٩٠
١ ـ ٢ ـ ١. تعليم الأنبياء عليهم السلام: ١٩٠
١ ـ ٢ ـ ١ ـ ١. معرفة رسول اللّه ﷺ
وأهل البيت عليهم السلام بالأمور التي علَّمها اللّه لآدم عليه السلام: ١٩٢
١ ـ ٢ ـ ٢. إثبات علم الأنبياء عليهم السلام: ١٩٣
١ ـ ٢ ـ ٣. الثبات في العلم: ١٩٤
١ ـ ٣. الأدلّة الروائيّة: ١٩٥
٢ ـ مصدريّة القرآن لعلم النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام: ١٩٦
٢ ـ ١. الطائفة الأولى: ١٩٧
٢ ـ ٢. الطائفة الأخرى: ٢٠١
٢ ـ ٣. الجمع بين الطائفتين من الروايات: ٢٠٤
٢ ـ كيف يكون القرآن مصدراً لسعة علم الرسول ﷺ وأهل بيته ٢٠٤
٤ ـ النتيجة: ٢٠٨
الفصل السابع: الأدلة القرآنية على الحدود الموضوعيّة للقرآن ٢١١
الأدلة القرآنية على الحدود الموضوعيّة للقرآن ٢١٣
النتيجة: ٢٣٦
الفصل الثامن: الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم في الروايات ٢٣٧
الحدود الموضوعيّة للقرآن الكريم في الروايات ٢٣٩

القسم الأول: ٢٣٩
القسم الآخر: ٢٤٠
الطائفة الأولى: ٢٤٠
الطائفة الثانية: ٢٤٢
الطائفة الثالثة: ٢٤٣
الطائفة الرابعة: ٢٤٦
النتيجة: ٢٤٦
الفصل التاسع: جامعية القرآن التامّة في الظاهر والباطن ٢٤٩
جامعية القرآن التامّة في الظاهر والباطن ٢٥١
١ ـ انعدام شؤون الهداية في ظاهر القرآن: ٢٥١
٢ ـ جامعيّة القرآن النازل: ٢٥٤
٣ ـ جامعيّة القرآن ببيان تفصيليٍّ وليس إجماليًّا وكليًّا: ٢٥٦
٤ ـ خطأ تقييد عبارة «كل شيء» بأمور الهداية: ٢٥٧
٥ ـ بطن القرآن النازل واختصاص فهمه بالمعصوم عليه السلام: ٢٥٧
٥ ـ ١. بطن القرآن: ٢٥٨
٥ ـ ١ ـ ١. الباطن من سنخ المعنى: ٢٥٩
٥ ـ ١ ـ ٢. الباطن من سنخ المصداق: ٢٦٠
٥ ـ ٢. اقتصار العلم بتمام الباطن على المعصوم عليه السلام: ٢٦٠
٦ ـ مماثلة آيات وروايات الجامعيّة لحديث الثقلين: ٢٦٦
النتيجة: ٢٦٧
الفصل العاشر: نقد الآراء الأخرى وتحليلها ٢٦٩
نقد الآراء الأخرى وتحليلها ٢٧١
١ ـ نقد الآراء المبنيّة على المنهج الدينيّ: ٢٧١
١ ـ ١. نظرة على هذه الآراء: ٢٧٢
١ ـ ١ ـ ١. تأييد إطلاق الآية: ٢٧٢
١ ـ ١ ـ ٢. تقييد إطلاق الآية: ٢٧٣
١ ـ ٢. نظرة أخرى على هذه الآراء: ٢٧٤
١ ـ ٣. الرد على دعوى وجود القيود: ٢٧٧

١ـ٣ـ١. الآيات التي تُبيِّن محدودية مواضيع القرآن: ٢٧٧
١ـ٣ـ١ـ١. الجواب: ٢٧٨
١ـ٣ـ٢. الآيات التي تُبيِّن هدف القرآن: ٢٧٩
١ـ٣ـ٢ـ١. الجواب: ٢٨٠
١ـ٣ـ٣. جامعيّة القرآن ملازمة لتعطيل قوى الإنسان الإدراكية: ٢٨٢
١ـ٣ـ٣ـ١. الجواب: ٢٨٢
٢ـ نقد الآراء المبنية على المنهج غير الديني: ٢٨٤
٢ـ١. بيان هذا الرأي: ٢٨٤
٢ـ٢. نقد وتحليل: ٢٨٥
٢ـ٢ـ١. نقد المقدمة الأولى: الحدود المشتركة
بين القرآن والعلم الإنساني. ٢٨٦
٢ـ٢ـ١ـ١. نتائج رفض هذه المقدمة: ٢٨٩
٢ـ٢ـ١ـ١ـ١. نسبية حدود القرآن: ٢٨٩
٢ـ٢ـ١ـ١ـ٢. اختصاص القرآن بالعلماء: ٢٨٩
٢ـ٢ـ٢. نقد المقدمة الثانية: ضعف العلم الإنساني غير الوحياني. ٢٩٠
٣ـ النتيجة: ٢٩٦
الفصل الحادي عشر: الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن ٢٩٧
الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن ٢٩٩
١ـ مقدمة: ٢٩٩
٢ـ أدلّة الحدود الموضوعيّة لظاهر القرآن الكريم: ٣٠٢
٢ـ١. الأدلّة العقليّة: ٣٠٢
٢ـ٢. الأدلّة النقلية: ٣٠٤
٢ـ٢ـ١. الأهداف الفكريّة: ٣٠٦
٢ـ٢ـ١ـ١. التذكير بالأمور المنسية: ٣٠٦
٢ـ٢ـ١ـ٢. إزالة الغفلة: ٣٠٨
٢ـ٢ـ١ـ٣. بيان الدليل الواضح على الأفكار الصحيحة والضروريّة: ٣٠٨
٢ـ٢ـ١ـ٤. تمييز الحق عن الباطل وبيان الدليل على المعرفة: ٣٠٩
٢ـ٢ـ١ـ٥. رفع الاختلاف: ٣٠٩

٢ـ٢ـ١ـ٦. إيجاد الأرضيّة للتفكُّر: ٣١٠
٢ـ٢ـ١ـ٧. التعريف بالتوحيد: ٣١١
٢ـ٢ـ١ـ٨. التذكير بالمعاد: ٣١١
٢ـ٢ـ٢. الأهداف الفطريّة: ٣١١
٢ـ٢ـ٢ـ١. علاج الأمراض الروحيّة والأخلاقيّة: ٣١١
٢ـ٢ـ ٢ـ٢. تهيئة الأرضيّة للتقوى: ٣١٢
٢ـ٢ـ٣. الأهداف الغائيّة: ٣١٢
٢ـ٢ـ٣ـ١. الوعظ ٣١٢
٢ـ٢ـ٣ـ٢. الإنذار والتبشير: ٣١٢
٢ـ٢ـ٤. الأهداف السلوكيّة: ٣١٢
٢ـ٢ـ٤ـ١. إقرار العدالة الاجتماعيّة: ٣١٣
٢ـ٢ـ٤ـ٢. الحكم على أساس القوانين الإلهيّة: ٣١٣
٢ـ٢ـ٤ـ ٣. الإيصال إلى سبل السلام والصراط المستقيم: ٣١٤
٣ـ ذكر القيم وحدها أو مع ذكر الحقائق والأساليب: ٣١٧
٤ ـ ذكر الكليّات وحدها أو مع ذكر الجزئيات: ٣٢٠
٥. النتيجة: ٣٢٢
الفصل الثاني عشر: أسلوب كشف مسائل القرآن وتصنيفها ٣٢٣
أسلوب كشف مسائل القرآن وتصنيفها ٣٢٥
١ ـ الاستعانة بجميع المداليل في استخراج مسائل القرآن: ٣٢٥
١ـ١.الاستعانة بالدلالات المنطقيّة: ٣٢٦
١ـ٢. الاستعانة بالدلالات المفهومية: ٣٢٧
٢ـ كشف رأي القرآن حول المسائل المختلفة
بمنهج التفسير الموضوعي: ٣٢٩
٣ـ تصنيف مسائل القرآن الكريم: ٣٣٥
٣ـ١. محورية العقائد والأخلاق والأحكام: ٣٣٧
٣ـ١ـ١. نقد وتحليل: ٣٤١
٣ـ٢. محورية العقائد والأخلاق والأحكام والإنسان: ٣٤٢
٣ـ٢ـ١. نقد وتحليل. ٣٤٣

٣ـ٣. محورية الإنسان: ٣٤٣
٣ـ٣ـ١. نقد وتحليل: ٣٤٣
٣ـ٤ـ محورية التسلسل الطبيعي: ٣٤٤
٣ـ٤ـ١. نقد وتحليل: ٣٤٤
٣ـ٥. محورية اللَّه: ٣٤٤
٣ـ٥ـ١. معرفة اللَّه: ٣٤٦
٣ـ٥ـ٢. معرفة الوجود: ٣٤٨
٣ـ٥ـ٣. معرفة الإنسان: ٣٥٠
٣ـ٥ـ٤. معرفة الطريق: ٣٥٣
٣ـ٥ـ٥. معرفة الدليل المرشد: ٣٥٥
٣ـ٥ـ٦. معرفة القرآن: ٣٥٦
٣ـ ٥ ـ ٧. الأخلاق: ٣٥٨
٣ـ٥ـ٨. برامج القرآن العبادية: ٣٦٠
٣ـ٥ـ٩. أحكام القرآن الفرديّة: ٣٦١
٣ـ٥ـ١٠. مسائل القرآن الاجتماعيّة: ٣٦٢
٣ـ٥ـ١١. الحقوق السياسيّة: ٣٦٥
٣ـ٥ـ١٢. الاقتصاد: ٣٦٦
٤ـ النتيجة: ٣٦٦
نتائج وآثار: ٣٦٧
١ـ النتائج الحاصلة من أبحاث فصول الكتاب الاثني عشر: ٣٦٩
٢ـ بعض الآثار المهمة المترتبة على النتائج: ٣٧١
المصادر ٣٧٣
المحتويات ٣٩١